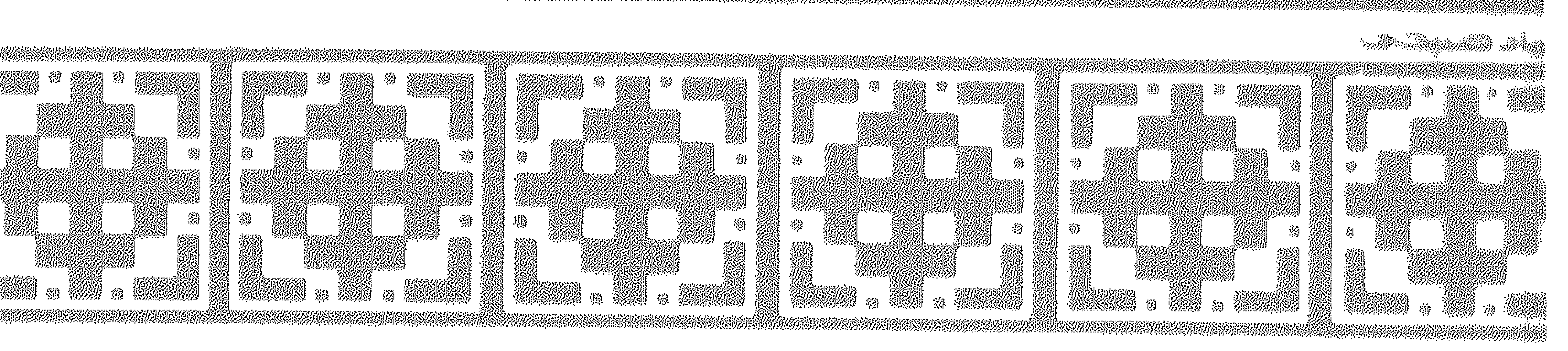
سلسلة أقوال وكتابات الآباء القديسين

٣

سياحة القلب

كنز من روحانية أقوال الآباء



تعريب وتقديم: القمص أشعياء ميخائيل - كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر

إهداءات ٢٠٠٣

القمص/ إشعياء ميخائيل

القاهرة

سلسلة أقوال وكتابات الآباء القديسين
الكتاب الثالث

سياحة القلب

كنز من أقوال الآباء القديسين

Pilgrimage of The Heart

A treasury of Eastern Christian Spirituality

Harper & Row, Publishers, San Francisco



صاحب القداسة

الأنبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية

تقديم

يبدأ الكتاب المقدس بخلقة الله للانسان على صورته ومثاله ووضعه فى الفردوس ، وينتهى الكتاب المقدس برجوع الانسان مرة أخرى لذلك الفردوس المفقود من الانسان بسبب الخطية .

وبين الفردوس المفقود والنعيم الممنوح يقف الرب يسوع ليعمل فى الانسان خلال الروح القدس فى الكنيسة حتى يرجع الانسان إلى الشركة الأولى والعلاقه الأولى .

وهذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارىء العزيز هو جوله روحيه بين دفتى الكتاب المقدس . وهذه الجوله الروحيه يقودنا فيها الآباء القديسون باقوال الحياة الأبديه المعزية للروح والمرويه لعطش النفس .

ولذلك كانت فصول هذا الكتاب الاثنى عشر هى :

١١ ـــ العبادة الجماعية ١٢ ـــ الخليقة الجديدة

وهذه الفصول تتضمن بالحق جوهر الحياة الروحيه التى يحتاج اليها الانسان . ولذلك يعتبر هذا الكتاب من أروع الكتب فى إخراج أقوال الآباء بطريقة موضوعية نافعه لحياتنا وجهادنا الروحى . ويعتبر بحق هذا الكتاب كنزاً روحياً نستطيع أن نشبع منه كل حين حتى يكون لنا شركة مع القديسين خلال أقوالهم المقدسة . وهذه الشركة هى أولاً شركة حب ثم شركة سلوك وقدوة ثم أخيراً شركة هدف واحد هو الملكوت والابديه . نطلب من الله أن يبارك كل نسخه من هذا الكتاب حتى تكون سبب بركة لكل من يقرأها بصلوات جميع الآباء القديسين وعلى رأسهم أم القديسين العذراء القديسه مريم وصلوات البابا المعلم القائد الانبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيه الذى يشجعنا دائماً ويربطنا بأقوال الآباء القديسين .

ولعظمته الشكر دائماً آمين ؟

٢٠ برمهات ١٧٠٢
تذكار قيامة العازر

القمص إشعياء ميخائيل
كنيسة الملاك بالظاهر

الفصـل الأول

الإنســـان

صــورة الله ومثـالـه

أولاً : صورة الله

١ ـــ الصورة والشبه

٢ ـــ الجسد

ثانياً : التحرك نحو المثال الذى هو المسيح .

ثالثاً : مشاركة الطبيعة الإلهية

١ ـــ شركة الطبيعة الإلهية

٢ ـــ الأبوة

٣ ـــ البنوة الإلهية

٤ ـــ قدرات الله الذاتية :

أ ـــ جوهر الله

ب ـــ النعمة

الفصل الأول
صورة الله ومثاله

« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٦) .

« وتنقصه قليلا عن الملائكة . وبمجد وبهاء تكلله » (مز ٨ : ٥) .

أولاً : صورة الله :

١ ـــ الصورة Image والشبه Likeness

إن الإنسان له جسد ونفس وروح . ويجب أن نلاحظ أن الانسان الكامل يحمل الروح التى أخذها من الله والمتحده مع الجسد . وحين تتحد هذه الروح المأخوذه من الله مع النفس فإنها تتحد مع خليقة الله ويصير الانسان روحياً وكاملاً بسبب عمل الروح وهذا هو الانسان الذى على صورة الله ومثاله . ولكن إذا لم تتحد الروح المأخوذه من الله مع النفس [بسبب شهوات هذه النفس] فإن هذا الإنسان يصير إنساناً شهوانياً له الطبيعة الحيوانية ولن يصير كاملاً ولن يحمل صورة الله فى طبيعته وتكوينه ولن يأخذ من الروح أى تشابه وسوف يصبح إنساناً غير كامل .

ولهذا فإن النفس بمفردها ليست هى الانسان كله ولكنها هى جزء منه

فقط . وأيضاً الروح بمفردها ليست هى الانسان كله ، ولكن إتحاد الروح مع النفس هو الذى يُكّون الانسان ويكمله . والانسان الكامل هو الذى يصير بلا عيب فى الجسد والنفس والروح ويقدم للرب هذه العناصر الثلاث بلا عيب .

وعلينا أن نحفظ الصوم والايمان المقدم لله ونحفظ أيضا الحب للآخرين .

القديس أريناوس

إن صورة الآب هو الابن كلمة الله وهو النور الذى من النور وهو كلمة الآب وهو أيضاً الانسان الحقيقى . والعقل الذى فى الانسان الذى خلق على صورة الله ومثاله يجب أن يشابه كلمة الله فى العمل فى النفس وعندئذ يصبح إنساناً سليماً .

القديس أكليمنضس الاسكندرى

وقال الله « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ثم عاد بعد ذلك وقال الكتاب « **فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه** . ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله » (تك ١ : ٢٦ و ٢٧) هنا نحن نلاحظ أن الله خلق الانسان على صورته Image لأن الكتاب يقول فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه بدون أى إشاره إلى كلمة على شبهه . وهذا دليل على أن الانسان قد أخذ صورة الله فى بداية خلقته . ولكن كمال

سنعيه بعد ذلك هو الذى يوصله لأن يكون على شبه الله . أى يصل إلى هذا الشبه بعد ممارسات يقظته لكى يتمثل بالله . أى أن الله قد منح الانسان إمكانيات الحصول على الكمال عن طريق منحه أن يكون على صورة الله ولكن الانسان يصل إلى هذا الكمال فى النهاية حين يكمل كل الأعمال وعندئذ يصير على الشبه الالهى Likeness .

العلامة أوريجانوس

إن الله قد أعطى الانسان أن يكون شريكاً فى صورته الذى هو الرب يسوع المسيح . وقد خلق الانسان على صورته . وبهذه النعمة فإنه يدرك صورة الله الذى هو كلمة الله . وعندئذ يستطيع الانسان فى المسيح الذى هو كلمة الله أن يعرف الآب ويتعرف على خالقه ويحيا فى سعادة وفى حياة بركة حقيقية .

القديس أثناسيوس الرسولى

إن الصورة المرسومة على الخشب والتى تلطخت أصبح لزاماً على من رسمها أن يأتى مرة ثانية لكى يعيد رسمها طالما أن الخشب المرسوم عليه الصورة لم يلق بعيداً . هكذا أيضاً المسيح ابن الله الذى هو صورة الله The Image of the Father جاء إلى أرضنا لكى يجدد الانسان ليعيده إلى

الشبه Likeness ويرجعه إلى الصورة التى فقدها .

القديس أثناسيوس الرسولى

إن الانسان مكرم جداً . لأنه لا يوجد أى مخلوق آخر خلق على صورة الله الخالق . ولم يعطِ لأى من حيوانات الأرض أو حيوانات المياه أو طيور الهواء السلطان على كل الأشياء . ولكن الله قد أنقص الانسان قليلا عن الملائكة بسبب وجوده فى الجسد . ولكن الله أعطى الانسان قوة الفهم وقوة إدراك الله الخالق . ولقد ميز الله الانسان أيضاً بأن « نفخ فى فمه نسمة حياة » (تك ٢ : ٧) . أى أن الله قد أعطى الانسان بعضا من نعمه لكى يدرك شبهه لله . ولقد أعطى الله الإنسان كرامة بسبب خلقه على صورته ولذلك أصبح مكرماً أكثر من السموات والشمس والنجوم . لأنه لأى من المخلوقات السمائية قد قيل أنها على صورة الله ؟ وهل الشمس خلقت على صورة الله بأى صورة من الصور ؟ فهذه المخلوقات الأخرى تمتلك حياة فى أجسادها المادية فقط . ولكن حيث لا يوجد عقل لهذه المخلوقات فلا يوجد لها إرادة حرة ولا مشاعر ذاتية .

القديس باسيليوس الكبير

ما هو هذا السر الذى يحيط بى ؟ إننى شريك فى صورة الله !! ولكننى لم أحافظ على ذلك السر . ولذلك جاء المسيح وإشترك فى جسدى لكى

يخلص صورة الله [أى الانسان] ولكى يجعل الجسد غير فاسد ويصنع إتحاداً ثانياً [بين الله والإنسان] يفوق الاتحاد الأول . ولقد منح الرب يسوع المسيح للانسان الطبيعة الجديدة حين إتحد هو مع الطبيعة الخاطئة [فى سر التجسد] وهذا هو أسمى شيء فى أعين كل من يفهم ذلك .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

إن الله هو المحبة وهو مصدر الحب أيضاً [١ يو ٤ : ٧ ــ ٨] ونحن نصير تلاميذ للسيد المسيح إن كان لنا حب بعضنا لبعض ولكن إذا غاب هذا الحب فإن صورة الله تنتفى وتختفى منا بالتمام وعندئذ تزول عنا كل النعم .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

٢ ــ الجسد :

قال أحد الأباء[١] :

وكما إتحد كلمة الله فى سر التجسد مع النفس والجسد البشريين . هكذا أيضاً فى الانسان الروحى فإن نعمة الروح تنتقل إلى الجسد عن طريق النفس كوسيط . وهذا يجعل الروح تختبر الأمور الالهية . وكذلك تعطى هذه الامكانية للنفس . وعندئذ لن ينحرف الجسد بالشهوات الجسدية الملموسه ولكنه يقاوم كل إرتباط بالشرور . وعندئذ يتقدس الجسد

(١) الأب اغريغوريوس بالاماس

ولا يتغرب عن الأمور الالهية .

من عظات القديس مقاريوس الكبير

• • •

إن نار الروح القدس التى يأخذها المسيحيون فى هذه الحياة [فى سر الميرون المقدس] هى التى تقود قلوبهم وهى التى تحرق شهوات الجسد . وهذه النار المقدسة توحد أعضاء الجسد وتقدسها حتى تعدها للقيامه العامه . وهى التى تمنح الجسد قوة القيامة .

من عظات القديس مقاريوس الكبير

ثانياً : التحرك نحو المثال Likeness الذى هو المسيح :

قال أحد الأباء[٢] :

كل البشر قد خلقوا على صورة الله . ولكن الوصول إلى الشبه والمثال لم يمنح إلا لأولئك الذين عن طريق الحب العظيم قد أخضعوا حريتهم لله . لأنه حين لا نحيا لذواتنا فإننا سوف نشابهه ، لأنه خلال الحب قد صالحنا لنفسه . ولكن لن يكمل هذا التصالح إلا إذا أقنعنا ذواتنا الا ننحرف عن

---

(٢) الأب ديداخوس من فوتيكا Diadochus of Photike

طريق أمجاد هذا العالم الزائل .

قال أحد الأباء[٣] :

إن الارادة الحرة هى قوة خلاص النفس حتى توجهها بالاختيار والحرية نحو ما قررته . دعنا نتأكد بأن أنفسنا تتجه فقط بإختيارها نحو كل ما هو حسن وذلك حتى تستطيع أن تحرق الافكار الشريرة بالأفكار الحسنة الصالحة .

الذى إستطاع ان يستعيد فى نفسه صورة الله ومثاله الدى هو يسوع المسيح هو ذاك الذى نال رؤية كل شىء حسب الطبيعة التى خلق عليها ويسير دائماً بيقظه مستمره كما فى وضح النهار .

• • •

لقد دبر الله الخالق أمر خلاصنا لبرجعنا ثانية إلى حالة عدم الفساد التى خلقنا عليها وتعود الينا صورة الله الأولى . ولذلك تجسد المسيح لكى يختمنا بخاتم عدم الفساد ويجعلنا مشابهين لصورته . ولأننا خالفنا وعصينا الله لذلك جاء المسيح وتجسد وأكمل الطاعه حتى يجعلنا فى شركة البركة مع الآب، ومع السماء .

وعلينا أن نتذكر بأن آدم الذى ولد من الأرض حين أخطأ وَرّث اللعنة

---

(٣) الأب سمعان اللاهوتى

الى كل الجنس البشرى من قبله . بينما عمانوئيل الذى جاء من فوق من السماء الذى هو الله بالطبيعة أعطى الشركة فى حياته لأولئك الذين إختاروا أن ينتسبوا اليه عن طريق الايمان .

القديس كيرلس الاسكندرى

الآن قد زال كل ما هو غريب عنا ليأتى الينا كل ما هو كامل ومناسب لطبيعتنا الأولى . وعندئذ نستطيع أن نرجع الى الحالة التى كنا عليها فى البدء لكى تكمل مشابهتنا لله . وهذا الأمر ليس حسب قوتنا أو قدراتنا بل هو نعمة من الله حسب غناه . لأن الله قد منحنا نعمة مشابهته الالهيه لطبيعتنا البشرية كخليقه له ، ولكن عن طريق جهادنا البشرى نستطيع فقط أن نطهر ذواتنا من الاتساخات المتراكمة من الخطية وعندئذ نسمح للجمال المختبىء فى النفس أن يشرق فينا .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

ثالثاً : مشاركة الطبيعة الالهية :

١ ـــ شركة الطبيعة الالهية :

لهذا قد صار كلمة الله إنساناً . ولهذا أصبح ابن الله إبنا للانسان لكى يمتلك الانسان كلمة الله ولكى ينال بذلك نعمة التبنى ويصير إبنا لله .

ولا توجد أى وسيلة أخرى غير تلك الوسيله [التجسد] حتى ننال نعمة عدم الفاسد وذلك حين يصير عدم الفاسد [المسيح] مثلنا وذلك حتى يصير الفاسد [الانسان] مثله . وهكذا فإن عدم الفاسد يبتلع الفساد حتى ننال نحن نعمة التبنى ونصير أولاداً له .

القديس إريناوس

إن المسيح هو قوة الآب المضيئة الذى فيه تحيا كل الأشياء وهو متحد مع الآب إتحاداً كاملاً . وحين نتحد مع المسيح الكلمة فإننا نتحد مع الآب لان المسيح هو كلمة الآب .

القديس أثناسيوس الرسولى .

إن المسيح ابن الله صار إبناً للانسان لكى يصير أبناء الانسان الذين هم أبناء آدم أولاداً لله . والمسيح المولود من الآب قبل كل الدهور ولا نستطيع أن ندرك أو نفهم هذه البنوه ، جاء إلى هذه الأرض لكى يولد فى ملء الزمان من العذراء مريم أم الله لكى يرفع الذين ولدوا فى الأرض لكى يولدوا ثانية من الله فى السماء وهو قد أعطانا ثمار الروح القدس الأولى . ولذلك فإن ابن الله بالطبيعه قد حملنا جميعاً فى شخصه حتى لا نحمل فى أنفسنا سوى الله فقط .

القديس أثناسيوس الرسولى

إن الانسان قد أصبح إبناً لله بالاتحاد مع المسيح بالولادة الروحيه [بالأسرار] وعندئذ نخلع الانسان العتيق ونلبس الطبيعه الالهيه الجديده . وحين يصبح الانسان إبناً لله فإنه يأخذ مالم يكن لديه [النعمه] ويترك مالديه [الخطيه] .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

إن المسيح هو ابن الله الوحيد بالطبيعة وهو صار بكراً من أجلنا . ولأنه صار بكراً من أجل كل المخلوقات فإن كل ما يشبهه يخلص فى شخصه .

القديس كيرلس الاسكندرى

إن الانسان يعتبر لا شيء وسط الموجودات لأنه مجرد تراب وعشب زائل ، ولكنه نال نعمة التبنى لله خالق كل الموجودات . وعندئذ صار الانسان صديقاً للعظمة الالهيه وهذا هو السر الذى لا نستطيع أن نراه أو نفهمه أو ندركه . فأى شكر يجب على الانسان أن يقدمه لله لأجل هذه النعمة ؟ وأى كلام وأى أفكار وأى ارتفاع للعقل لكى يمجد هذه النعمة الفائقه ؟ إن الانسان فاق طبيعته وتحول من الطبيعه الفاسده إلى غير الفاسده وتغير من الوجود الزائل إلى الوجود الدائم . وتبدلت طبيعته السريعة الزوال إلى كونه كائن أبدى . وبإختصار تحول من إنسان إلى اله . وفى الواقع إستحق الانسان [بالمسيح] أن يصير إبناً لله . وتمكن الانسان أن

يحوى فى ذاته عظمة الآب وأن يستغنى بكل ميراث الصلاح الذى للآب . كم هى عظيمة هذه الكنوز غير المدركه والتى يصعب التعبير عنها .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

٢ ــ الأبــوه :

إن الذى فيه خطيه لا يجرؤ أن يدعو الله أباه لأنه لا يرى فى نفسه البر والصلاح الموجودين فى الله . كما هو الحال حين لا يمكن أن يصير الله الصالح أباً للارادة الشريره . ولا يمكن أن يصير الطاهر أباً لمن هو غير طاهر . ولا يمكن أن يصير الله غير المتغير أباً للانسان الذى يتغير من جانب لآخر . ولا يمكن أن يصير لله الذى هو أب الحياه إبن يخطىء وتقوده خطيته للموت . والذى هو قدوس بالتمام لا يمكن أن يصير أباً لمن تدنست نفوسهم بالشهوات الشريره . ولا يمكن لمن يعطى الخيرات ويمنح النعم أن يكون أباً لمن هو انانى . وبالاختصار نقول بأنه لا يمكن لمن هو بار وقدوس أن يكون أباً لمن هو واقع فى أى خطيه من الخطايا .

ولكن حين تجسد المسيح وصار إنساناً وطهر الانسان من كل أنواع الخطايا والآثام منح الانسان نعمة التبنى لان الانسان لا يستطيع أن ينتسب إلى أسرة الله مالم يتطهر من كل أنواع الشرور والخطايا . لأن الانسان الخاطىء الدنس لا يمكن أن يقول ياأبى لله الطاهر البار والإ كان

الله الهاً لضعفه وخطيته لان كلمة آب إنما تعلن ما هو موجود فينا

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

ولكن لأن الرب يسوع المسيح قد علمنا أن ندعو الله أبانا فإن هذا يعلن لنا أنه قد منحنا الحياة الأبدية لكى تكون من نصيبنا . لأنه يستحيل أن يخدعنا الحق ويقول أن لنا شيئاً ونحن لا نمتلكه وأن نستخدم إسماً [أبانا] لاحق لنا فى إستخدامه . ولكن إذا دعونا الله أبانا وهو البار القدوس الخالد فانه يجب أن نبرهن بأعمالنا أن الصلة مع الله هى صلة حقيقية . فأى حماس يجب أن يكمله ضميرنا فى السلوك بنقاوه حتى يكون لنا الجرأه أن ندعو الله أبانا ؟ فإذا ما أنت رددت هذه الصلاة بشفتيك فقط بينما أنت متعلق بمحبة المال ومشغول بخداع العالم وطلب الشهره ومحبة الظهور بين البشر وأنت مستعبد للشهوات الجسديه فماذا تظن ستكون إجابة ذاك الذى يرى حياتك ويعرف ما هى صلاتك ؟

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

٣ ـ أبنـاء اللـه :

قال أحد الأباء[٤] :

نحن نؤكد بنويتنا لله عن طريق الحب . ولذلك يجب أن نحب الله

(٤) الأب نيقولاوس

كأب لنا قبل أن نلتصق به . ونحن نشابهه عن طريق الحب الذى نمتلىء به لأن الله محبه [١ يو ٤ : ١٦] ويجب أن نحيا لأجل الحب لأن مشاعر الحب تشرق فى أبناء الله الذين يكرمون اباهم عن طريق أعمالهم وهم يعلنون عن الله أبيهم بحياتهم التى يحيونها .

وعن طريق السلوك فى جدة الحياة (رو ٦ : ٤) كما يخبرنا القديس بولس الرسول فإن أولاد الله يضعون كل ثقتهم فى الله أبيهم ويمجدون أباهم الذى فى السموات مت ٥ : ١٦ ولذلك هم مولودون منه بطريقه تفوق الوصف لأنه « ليس الله اله أموات بل إله أحياء » مت ٢٢ : ٣٢ والله دائماً يتمجد فى أولاده وقد قال للاشرار « إن كنت أنا أبا فأين كرامتى » (ملا ١ : ٦) .

• • •

المسيح هو وحده الابن الوحيد والابن البكر . فهو الابن الوحيد لأنه هو الله الذى ظهر فى الجسد . والابن البكر لأنه صار إنساناً فى وسطنا وفى وسط أخوة كثيرين . ولذلك أصبحنا فيه وبه أولاداً لله خلال نعمته . وحين نتحد مع المسيح فإننا نصير واحداً فيه وشركاء معه . ووفقاً للنعمه التى نحصل عليها فى شخصه خلال الروح القدس فإننا نصير أولاداً لله .

القديس كيرلس الاسكندرى

ولذلك فإنه خلال المسيح يمنح كل الجنس البشرى مجد البنوه لله عن

طريق التبنى . لأنه ظهر كإنسان أمام الآب نيابة عنا لكى يرجعنا للمثول أمام حضرة الآب التى حرمنا منها من قبل.بسبب خطايانا . إنه جلس فى العرش كإبن حتى ننال نحن نعمة التبنى خلاله . لأن المسيح الذى يجلس فى العرش قد شابهنا فى كل شيء لأنه قد ظهر كإنسان لكى يمنحنا عظمة البنوه .

القديس كيرلس الاسكندرى

٤ ــ قدرات الله الذاتيه :

أ ــ جوهر الله ومواهبه :

لو كان ممكناً لنا أن نتأمل فى طبيعة الله ذاتها حتى نعرف ما هى طبيعة الله وما هو ليس من طبيعته ، فإننا لن نجد أى كلمات أو علامات لنعبر بها عما رأيناه وأدركناه ، ولكن لأن طبيعة الله هى أعلى من فهم الأشياء التى نراها ولذلك فإننا نسير حسب قدرات الطبيعة الالهية .

القديس باسيليوس الكبير

قال أحد الأباء(٥) :

مع أن الانسان أصبح ممكناً له أن يشارك الطبيعة الالهية إلا أنه لا

---

(٥) الأب اغريغوريوس بالاماس .

يشترك فى جوهر الله ذاته . لأنه يوجد فارق كبير بين جوهر الله وبيننا نحن الذين نشترك معه . ولكن لا يكفى وجود الله فى ذاته أو كماله لان كماله يفوق كل كمال ، ولذلك فهو فى كماله يطلب منا أن نصنع الكمال وهو قادر أن يجعلنا نفعل ذلك . ولا يكفى أن يكون الله ثابتاً غير متغير بل إن له تأثيراً بحضوره فى كل الخليقة بالقدرات التى يمنحها إياها . وبالاختصار فإننا نطلب الله حتى نستطيع أن نشترك معه فى فضائله وبمعنى آخر فإنه بالمشاركه معه فإن كل منا يستطيع أن يأخذ شيئاً مناسباً حتى نستطيع ان نشابهه فى الحياة والشركة مع الطبيعة الالهية .

لا تظن أن الله يدعنا نرى جوهره الفائق . ولكننا نصير شركاء الطبيعة الالهيه حسب مواهبه ونعمته فى التبنى والمجد .

• • •

ب ـــ النعمة :

قال أحد الأباء[٦] :

إن النعمة التى تمنح لنا هى ظهور الجمال الالهى والمجد . ولذلك نحن نتحدث عن نعمة كلمات الكتاب المقدس ونعمة الحديث معه . ولذلك هناك فرق بين نعمة الطبيعة الالهية ونعمة الشركة مع الله .

---

(٦) الأب اغريغوريوس بالاماس .

توجد نعمة ممنوحة من الله للخليقة ونعمة أخرى خاصة بذات الله . ولكن النعمة التي يأخذها القديسون التى بها يصيرون شركاء الطبيعة الالهية ليست أكثر من الله ذاته ، فكيف نقول عن هذه النعمة أنها من صنع البشر ؟

• • •

إن الذين اعتمدوا للمسيح قد أعطيت لهم النعمة بطريقة باطنية سرية ولكنها تعمل فيهم حسب إكمالهم للوصايا الالهية . وهذه النعمة لا تكف قط عن مساعدتنا فى الخفاء . وهذه النعمة تكمن فى قدراتنا حتى نعمل الصلاح أو لا نعمله وفقاً لمشيئتنا الخاصة .

القديس مرقس الناسك

قال القديس مقاريوس المصرى [إن النعمة التى تأتى للانسان لا تلغى إرادته ولا تجعله إنساناً ثابتاً فى الصلاح [بدون إراداته] . بل على العكس فإن قوة الله الموجودة فى الانسان تعطى طريقاً أمام حرية إرادته لكى تكشف له عما إذا كانت إرادة الانسان هى حسب نعمة الله أم لا] .

ومن هنا يبدأ وجود وإتحاد كل من الارادة والنعمة . فالنعمة أولاً تعمل فى الانسان من الخارج ثم تدخل وتأخذ مكاناً في الروح . ولكن النعمة لا تبدأ فى العمل الداخلى فى الانسان إلا حين يفتح ذلك الانسان للنعمة باباً عن طريق رغبته الخاصة أو يفتح فمه لكى يتقبل تلك النعمة . وهكذا فإن

النعمة مستعدة أن تساعد إذا رغب الانسان . ولكن الانسان بذاته لا يستطيع أن يصنع أو يؤسس فى ذاته الصلاح ولكنه فقط يستطيع أن يجاهد من أجل الصلاح . أما النعمة فهى التى تنشىء فى الانسان الصلاح الذى يشتاق اليه وذلك حتى يصل الانسان إلى كمال السيطرة على نفسه وعندئذ يصبح قادراً أن يُكمل كل ما هو صالح فيصل إلى أن يسّر الله به .

القديس ثيوفان الناسك

إن النعمة تعمل فى الانسان وتزوده بإستمرار بقوتها وتقدسه وتجعله لها وذلك على قدر حماس الانسان وجهاده فى الخضوع لله . ولكن الانسان لا يستطيع ولا يجب عليه أن يقف عند هذه الدرجة لأن هذه تعتبر مجرد بذرة ونقطة البداية ولكن يجب أن يستمر نور الحياة فى العمل أكثر من هذا لتقديس الروح والجسد بتمام عمل النعمة ، وأن يصير إعلان ملكية النعمة للروح والجسد معاً حيث يتم إقتلاع الشهوات التى ليست من طبيعتنا والتى هى مسيطرة علينا الآن . والنعمة ترفع الروح والجسد معاً إلى مستوى الطهارة وإلى حالتها الطبيعية التى خلقت عليها . ولا يجب أن يبقى النور مغلقاً فى ذاته بل يجب أن ينتشر على كل الوجود بكل القدرة .

ومنذ أن تعمل هذه القوى فى الانسان بما هو أكثر من طبيعته فإن روح النعمة الطاهرة تأتى إلى القلب ولكنها لا تعمل مباشرة فى الحال بسبب عدم طهارة الانسان .

ولذلك يجب أن تؤسس بعض القنوات بين روح النعمة التى فينا وبين قدراتنا ، حتى يشرق فينا الروح ويشفينا ، وعندئذ يشفى كل عضو نطلب له الشفاء .

وهذا هو نشاط وتدريب وشفاء قدراتنا حتى نرجع إلى الطهاره التى فقدناها ونصير فى قداسة عن طريق تدريبنا على الصوم والعمل والسهر والعزله والبعد عن العالم [بالنسبة للراهب] وضبط الحواس والقراءة فى الكتاب المقدس وأقوال الأباء والحضور فى الكنيسه والاعتراف والتناول بمواظبة .

القديس ثيوفان الناسك

الفصل الثانى
الطرد من الجنه
الفردوس المفقود

أولاً : الخطيه أفقدتنا الشركة :

١ ــ الموت .

٢ ــ الخطية .

ثانياً : الشيطان .

ثالثاً : فقدان الحياة الالهية .

رابعاً : الشهوات :

١ ــ الأنتصار على الشهوات .

٢ ــ الضجر والكآبة .

٣ ــ الكبرياء .

الفصل الثانى

الطرد من الجنه

الفردوس المفقود

« يارب لا توبخنى بسخطك ولا تؤذينى بغيظك .
لأن سهامك قد إنتشبت فىّ ونزلت علىّ يدك .
ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك .
ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى .
لأن أثامى قد طمت فوق رأسى .
كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل .
قد أنتنت فاحت حبر ضربى من جهة حماقتى .
لويت إنحنيت إلى الغايه . اليوم كله ذهبت حزينا .
... لأنى موشك أن أظلع ووجعى مقابلى دائماً .
لأنى أخبر بإثمى وأغتم من خطيتى » .

مز٣٨ : ١ — ٦ و ١٧ — ١٨

أولاً : الخطية أفقدتنا الشركة

١ ـ المـوت :

يتحدث الموت قائلاً :

أنا الذى هزمت كل الرجال الحكماء .
وطرحت فى الجحيم كل الذين ألقيتهم .
تعالوا أدخلوا ياأبناء يوسف .
لتنظروا الأشياء المرعبه .
لقد ترنح العظماء .
مثل جثة شمشون العظيم .
وهيكل جليات المتمرد .
الذى صنع لنفسه سريراً من الحديد .
ورقد عليه . وعندئذ قزفته .
ودفعته إلى أسفل .
وطرحته إلى باب الجحيم .
أنا نفسى قد هزمت بمفردى كثيرين .
ولكن هناك من حاول أن يهزمنى .
من الأنبياء والكهنه والرجال المشهورين .
ولكنى قد طرحتهم بقوة .
لقد هزمت ملوكاً فى جيوشهم .

ورجالاً عظماء فى قصورهم .
وأناساً أبراراً فى رفعتهم .
لقد قزفت موكباً كبيراً من الجثث إلى الجحيم .
ولقد طرحوا فيها جميعا .
ولكنها مازالت ظمأى .
ولكن واحداً وحيداً كان قريباً منها .
ولكنه كان بعيداً عنها .
وفى النهاية أوصلته إلى باب الجحيم .
الموت أنهى حديثه السخرى .
وصوت ربنا دوى فى الجحيم .
وصرخ عالياً لكى تفتح القبور واحدة فواحدة .
وإرتجف الموت وإرتعش .
ولم تعد الجحيم هى الجحيم الأولى لانها قد أضيئت .
وفى داخل الجحيم أبرق النور .
من رؤية الذى دخل اليها .
حيث أحضر جميع الموتى لكى يقابلوا
ذاك الذى كان ميتاً وهو الذى يعطى الحياة للكل .
وحالاً جاء الموتى لكى يمثلوا أمامه .
وخجل الأحياء الذين ظنوا أنهم هزموا
مانح الحياة للكل .

القديس افرآم السر

قال البعض إن الموت يخيف ويوجع الذى يدينه ضميره . ولكن الذى يحمل شهادة طيبة فى نفسه فهو يشتاق للموت كما يشتاق للحياة .

مار اسحق السريانى

إن تذكار الموت هو موت كل يوم . والتفكير فى رحيلنا من هذا العالم هو حزن وصراخ دائم .

يوحنا الدرجى

كما أن الخبز هو الطعام الأساسى للانسان كذلك فإن افتكار الموت هو أهم من كل الأعمال . إن تذكار الموت يؤثر فى أولئك المرتبطين بالعالم فيولد فيهم الحزن والوجع والطيش والكآبه . ولكن تذكار الموت وسط الذين تحرروا من كل ألم فإنه يولد فيهم طرح الهموم والصلاة الدائمة وحراسة الفكر . ولكن هذه الفضائل نفسها [طرح الهموم ــ الصلاة الدائمة ــ حراسة الفكر] هى التى تقود الى تذكار الموت وأيضاً تذكار الموت يقود إلى هذه الفضائل .

يوحنا الدرجى

إن علامة الاستعداد الكامل للموت هى الانفصال الارادى من كل الخليقة والتخلى الكلى عن الارادة الخاصة .

يوحنا الدرجى

غفلة القلب تفتر العقل . والشبع من الطعام يجفف الدموع . أما الصوم والسهر فهما يوقظان القلب . وحينما يتيقظ القلب فإن مياه الدموع تنهمر . وهذه الأمور قد تبدو قاسية للذين ينغمسون فى الملذات وفائقة المنال لأولئك الكسالى والمتراخين . ولكن الانسان النشيط فإنه بسرعة يتذوق هذه الأشياء . والذى يتذوق هذه الامور فإنه سوف يبتسم لها . أما ذاك الذى مازال يطلب هذه الأشياء فإنه سيصير أكثر ظلمه .

يوحنا الدرجى

وأنا لا أستطيع أن أبقى صامتاً أمام قصة ذلك الانسان الذى قضى كل حياته فى إهمال كامل ولم يعطِ أى إنتباه لخلاص نفسه . ولكنه مرض مرضاً شديداً وقد فارق جسده لمدة ساعة واحده . وحينما رجعت روحه إلى جسده طلب منا أن نتركه للحال . وعندئذ أغلق باب قلايته تماماً . ومكث فيها إثنى عشر عاماً دون أن ينطق كلمة واحدة لأى إنسان ولم يأكل سوى خبزاً ولم يشرب سوى ماءً فقط . وظل هكذا بلا شهوه لأى شيء . وكان دائماً مسبياً بالروح فيما رآه حين أختطف . ولم ينتقل من مكانه قط وكان دائماً يزرف دموعاً ساخنه . ولكن لما حان وقت رحيله كسرنا باب قلايته ودخلنا عليه وبعد الالحاح والسؤال أجابنا قائلاً :

إغفروا لى فإن كل من إقتنى تذكار الموت فإنه لن يخطىء قط . ولقد تعجبنا كثيراً لان هذا الانسان كان مهملاً ولكنه قد تغير هكذا وأصبح مباركاً . ولقد كشف لنا الرب فتأكدنا أنه باستحقاق التوبه حتى بعد

الاهمال الطويل فإن الله يقبل أولئك الذين يرغبون فى إصلاح أنفسهم .

يوحنا الدرجى

٢ ــ الخطيئة :

قال أحد الأباء[٧] :

إن الله قد أعطانا الوصية أن نفعل الصلاح وأن نتجنب الشر . ولكن القوة الشريرة جعلتنا نميل إلى الشر وأصبح من الصعب علينا أن نفعل ذلك الصلاح . ولكن هذه القوة الشريرة ليست من طبيعتنا الفطرية الموجودة فينا ولكن هى خارجة عنا

● ● ●

بعد عصيان الانسان إنفصلت نفسه عن الله وحلت عليه لعنة فوق لعنة [ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزك ...] تك ٣ : ١٧ ــ ١٨ وأيضا [ملعون أنت من الأرض] تك ٤ : ١١ وهكذا فإن الحسك والشوك إنتشر ونما فى قلب الانسان . وقد سلب أعداء الانسان مجده بالخديعة وألبسوه الخزى . وإنتزعوا نوره وطرحوه فى الظلمة وقتلوا نفسه بانفصاله عن الله . وإنتشر أعداء الانسان وقسموا أفكاره

---

(٧) الأب نيللوس

وألقوه من العلو الفعلى إلى الاسفل وأصبحت إسرائيل هى ذلك العبد الذى إستعبده فرعون وتسلط عليهم السادة والرؤساء حتى يقودوه إلى الاعمال الشريره ولكى يكملوا أوامرهم فى صنع الطوب .

وهذه الأرواح الشريرة قادت بنى إسرائيل إلى الانحراف عن الحكمة السمائية وقادته إلى أسفل حيث الماديات والأرضيات والأعمال الشريره والكلمات الخاطئه والشهوات والأفكار الباطله . وإذ سقط الانسان من العلو وجد نفسه فى مملكة الكراهية ضد الجنس البشرى وإبتدأوا يقودونه بقسوه لبناء المدن الشريره الخاطئه . ولكن إذا صرخ الانسان إلى الله فإنه سوف يأخذ بداية التحرر وسوف يتحرر فى شهر الزهور الجديدة [اليوم أنتم خارجون فى شهر أبيب] خر ١٣ : ٤ ويقع شهر أبيب فى وقت الربيع حيث يشير إلى النفس القادرة أن تخرج الجمال والزهور التى هى رمز للبر . وأصبحت عواصف الشتاء القاسية التى هى الجهل والظلمة قد عبرت مثل عبور العمى الناتج عن الأعمال الشريرة الدنيئه .

من عظات القديس مقاريوس الكبير

حين يتألم عضو فى الجسد فإن الجسد كله يتألم وليس فقط العضو ، هكذا فإن النفس كلها تخضع للشهوات الشريرة الخاطئة ويغطيها سلطان الشر حين يتلوث العضو الرئيسي للانسان [القلب] بالشر والخطية .

وهكذا يصبح كل الجسد ساقطاً كفريسة للشهوات والفساد .

من عظات القديس مقاريوس الكبير

• • •

ثانياً ــ الشــيطان :

قال أحد الأباء[٨] :

إن عدونا ماهر جداً وبارع فى هجومه ضدنا . وهو دائماً يستعد لهجومه ضد الانسان الشجاع المعروف المشهور فى الفضيله حتى يهزمه . أما الضعفاء فهم من خاصته فلا يجاهد ليسقطهم لأنهم من خاصته وهم مأسورون لسلطانه . ولكن الذى عنده أجنحة يستطيع أن يهرب منه ولا تنغرس سهام العدو فيه . والاشخاص الروحيون يرون الشيطان حين يهجم عليهم ولكن لا قوه لأسلحته على أجسادهم . وكل أولاد النور لا يخافونه لأن الظلمة تتبدد أمام النور . وأبناء البرّ لا يخافون من الشر لأن الله قد أعطاهم أن يسحقوا الشر تحت أقدامهم . وحين يتحول الشيطان إلى ظلمة أمامهم فإنهم يتحولون إلى نور . وحين يهجم عليهم مثل الحية فإنهم يصيرون ملحاً وحينئذ لا يستطيع أن يأكلهم . وحين يتحول إلى أفعى فإنهم يصيرون مثل الأطفال . وحين يتسلل اليهم فى شهوة الطعام فإنهم مثل فاديهم يهزمونه بالصوم . وحين يريد أن يهزمهم عن طريق شهوة العيون فإنهم يرفعون أعينهم

---

(٨) الأب أفراهات

إلى الأعالى فى السماء . وحين يريد أن يخدعهم بالاغراء فإنهم لا يعيرونه أى إلتفات . وحين يريد أن يحاربهم علانيه فإنهم يتسلحون بالدرع [الايمان] ويقفون قباله . وحين يريد أن يدخل اليهم عن طريق النوم فإنهم يقومون ويسهرون ويرنمون المزامير ويصلون . وحين يهاجمهم بشهوة حب القنيه فإنهم يعطون ما عندهم للفقراء . وحين يدخل اليهم عن طريق لذة المذاق فإنهم لا يذوقون شيئاً عالمين أن هذه الأشياء ستتحول إلى مرارة . وحين يحاربهم بشهوة النساء فإنهم ينعزلون بمفردهم ولا يخالطون بنات حواء قط .

من أقوال القديس أوغريس بخصوص حروب الشياطين :

١ ــ حينما ترى الشياطين أنك متحمس فى صلواتك فإنهم يقترحون عليك أموراً كثيره حتى يتشتت ذهنك بها . وهم يقدمون لك الأنطباع بأن هناك أشياء كثيره يجب أن تأخذ إهتمامك . وبإختصار هم يثيرون فكرك ويحركون عقلك لكى تفكر فى هذه الأمور . وحين تفشل حيلتهم فإنهم يحزنون وتملأهم الغيره .

٢ ــ إن إبليس يغار من الانسان الذى يصلى لأنه عن طريق الصلاه سوف تزول الرذائل . ولذلك فإن إبليس لا يكف أن يثير الأفكار التى تشتت المصلى فى أمور كثيره بالسرحان فيها . ويثير فيه سائر الشهوات الجسدية . وهو بذلك إنما يحاول أن يضع بعض العراقيل أمام الانسان المجاهد فى الصلاة فى رحلته إلى الله .

٣ ــ لماذا تحاول الشياطين أن تسقطنا فى شهوة الطعام والنجاسة ومحبة

المال والحقد والغيظ وتجعل سائر الشهوات الشريره موجوده فينا ؟ إن السبب فى ذلك هو جعل الروح مظلمه بهذه الشرور وعندئذ تصير بالتدريج فى حالة لا تليق بالصلاه . لأنه حين يمتلىء الانسان بالشهوات الشريره فإنه لن يصير حراً فى الصلاة وطلب كلمة الله .

٤ ـــ حينما تفشل كل الحيل الشيطانيه فى تشتيت ذهننا فى الصلاة فإن العدو يبدأ فى عمل حركات لإخلال توازن الجسد حتى تثار الروح حين يضع أمامنا بعض الأشكال والصور المختلفه [هذه الحرب خاصه بالقديسين المتقدمين فى عمل الصلاة مثل الانبا أنطونيوس والانبا باخوميوس] وعندئذ فإن الانسان الذى إعتاد أن يتشتت ذهنه بالافكار فإنه يسقط من الصلاة إلى أسفل وعندئذ تنحرف الروح التى تبحث بحسب طبيعتها عن المعرفة غير المادية التى تفوق الكل .

٥ ـــ درب نفسك مثل الرياضى الماهر وتعلم ألا تكون مضطربا حتى لو أبصرت فجأه بعض الأشباح أو حتى السيوف الموجهه نحوك أو شعاعاً من نور موجه أمام وجهك بل وحتى لو رأيت أشباحاً وحشيه فى صورة بشعه يقفون أمامك وباطلاً يحاولون أن ينقضوا عليك . وحين تحمل شهادة إيمانك فإنك ستواجه عدوك بثقة مستعده .

٦ ـــ إنتبه حتى لا تقودك الشياطين الشريرة لأن تشتت ذهنك بالمناظر.

ولكن كن حكيماً وإنتبه للصلاة وأدع الله لكى ينير قلبك إذا كانت الأفكار الشريرة تأتيك من قبل الشياطين . وإذا لم تتبدد هذه الخداعات بسرعة فتشجع لأن الكلاب لا تحمل أى قوة . ولكن صل لله وفجأه سوف يبددها عنك عن طريق إرتباطك غير المنظور بقوة قيادته غير المرئيه ..

٧ ــ جاهد لكى تحصل على عمق الاتضاع وعندئذ لن تؤذيك الشياطين الماكره ولن يصيبك أى سوء لأنه يوصى ملائكته لكى يحرسوك ولسوف يطرح الله عنك كل قوة معادية .

٨ ــ إن الشياطين قد تسبب لك بعض الأحداث والضربات التى يسمعها الانسان الذى يمارس الصلاة الطاهرة ، وهو لن يفقد الشجاعة ولا الذهن الحاضر بل هو دائماً يصرخ إلى الله ويقول : لا أخاف شراً لأنك أنت معى . وسوف يضيف صلوات أخرى مثل هذه .

٩ ــ لو هددتك الشياطين (+) وظهرت لك فى الجو وحاربتك بشدة لكى تحطم روحك أو تضرب جسدك فلا تجعل نفسك تضطرب من أجل تهديداتهم لأنهم يخيفوك حتى يختبروا معدنك . إنهم يرغبون أن يروا ما إذا كنت ستعاملهم بقسوه أم أنك سوف

(+) هذه الحرب الخاصة بظهور الشياطين فى أشكال معينه لتخويف الانسان وإرعابه إنما لا تحدث إلا مع الأباء القديسين المتقدمين فى روحياتهم .

تتجاهلهم وتحتقرهم وكيف ستسلك فى الصلاة والشركة مع الله ضابط الكل الذى يرعى الجميع .

١٠ ــ إن الشياطين تعمل فى الليل مع الانسان الروحى لكى تجعله يخضع لهم فيزعجوه . أما فى النهار فإنها تحيط به عن طريق مضايقات الناس وإفتراءاتهم ومتاعبهم .

القديس أوغريس

إن الشياطين يملأون عقولنا بالخيالات وقد يظهرون فى أشكال مختلفة حتى يثيروا فينا الشهوات . وبصفة عامه فهم يثيروننا بالشهوات وحتى أثناء النوم فهم يزرعون فينا أحلاماً شريره وخيالات متنوعه واكثر من هدا فإن شياطين الزنا كثيراً ما يأخذون شكل الخنازير أو الحمير أو حيوانات ناريه متوحشه . أما شياطين الغضب فإنها أحياناً تأخذ شكل الأوثان أو الأسود . وشيطان الشرب والنهم يأخذ شكل رجل عربى . وشيطان الطمع يأخذ شكل ذئاب أو نمور . وشيطان الغوايه يتحول إلى شكل حيات أو ثعابين أو دياب . وشيطان الخزى يتحوّل إلى كلاب . وشيطان الكسل يتحول إلى قطط .

وخيالاتنا تحول أشكال الشياطين إلى ثلاث أنواع وفقاً لطبيعة النفس ، فإما أن تكون فى شكل طيور أو شكل حيوانات متوحشه أو شكل حيوانات مستأنسه وفقاً لقوى النفس الثلاث التى هى الرغبات والمثيرات

والأفكار . لأن الرؤساء الأشرار الثلاثه للشهوات يقومون ضد الثلاث قوى ويثيرون الخيالات المتعلقه بالشهوات التى تثير النفس وهى متخذه أشكالاً مختفيه

القديس اغريغوريوس السينائى

ثالثاً ـــ فقـدان الحيـاه الالهيـه :

لو أنك لم تؤمن بالمسيح وهربت من يديه فإنك ستصبح إنساناً غير كامل لأنك لم تطعه . ولكنه سوف يستمر فى دعوتك لأن حكمة الله كامله وغير ناقصه . لان المسيح يستطيع أن يقيم من الحجارة أولاداً لابراهيم . ولذلك فإن الانسان الذى لم يحصل على تلك البنوه فإن السبب راجع إلى نفسه وعدم كماله مثل النور الذى لا يستطيع بعض الأشخاص ان يروه لفقدان بصرهم ، فيبقى النور كما هو ويعمل هؤلاء العميان فى الظلام بسبب خطاياهم . وكما أن النور لا يفرض ذاته على أحد بالغصب هكذا الله لا يفرض على أى أحد أن يعبده . ولذلك فإن الأشخاص الذين إرتدوا عن النور الممنوح من الآب وكسروا ناموس الحريه فإنهم فعلوا ذلك عن طريق خطأهم الشخصى رغم أنهم خلقوا أحراراً وموهوبين من القوه .

القديس إريناوس

إن الانحراف ونسيان أن الانسان مخلوق على صورة الله هو علامة على

أن النفس لم تعد ترى الله بالقوه التى بداخلها بعد أن كانت على صورة الله . ولكن إذا تحررت النفس من ذاتها ومن الشهوات الجسديه التى فيها فإن المرآه التى فيها سوف تتنقى وعندئذ يصير لها القدره أن ترى [المسيح] صورة الآب ولا تعود ترى تلك الأشياء الحسيه التى كانت تحملها .

القديس أثناسيوس الرسولى

رابعاً ـــ الشـــهوات :

١ ـــ الانتصـار على الشـهوات :

هناك طريقاً واحداً نبدأ به لترويض الشهوات حتى نستطيع أن نضبط النفس ألا وهو اليقظه وحراسة القلب . وحين يتنقى القلب من الشهوات فإن الانسان سوف يكرس قلبه بالتمام لصلاة المزامير ويحارب ضد الأفكار وعندئذ يستطيع أن ينظر إلى السماء بعينيه الجسديتين أو يتأمل فى السماء بعينيه الروحيتين التى للنفس ويصلى بالحق فى طهاره وبر .

القديس ثيوفان الناسك

إذا رغبت فى الحصول على النُصرّة على الشهوات فإدخل إلى نفسك عن طريق الصلاة ومعونة الله ثم إنزل إلى عمق قلبك وإسحق تلك القوى الثلاث التى هى النسيان والكسل والأهمال . لان هذه الأمور الثلاثة هى

التى تحرك كل أعدائنا الروحين . وهذه الثلاثة [النسيان والكسل والإهمال] هى التى تحرك كل الشهوات الأخرى . ولذلك أرجع إلى قلبك ثانية لتمارس وتحيا فى قوة ضبط النفس . وعن طريق اليقظة الدائمة ومثابرة الفكر وبمعونة الله التى من فوق فإنك سوف تكتشف تلك الشرور الغير مكشوفه لكثيرين وبسهولة سوف تطردها بعيداً بأسلحة البر بتذكار ما هو صالح وبالشوق الذى يدفع النفس للخلاص وذلك عن طريق المعونة التى من السماء .

القديس مرقس الناسك

ولكن يجب أن تدرك بأنك لا تستطيع أن تحصل على حياة النصره مادام هناك شهوات تسيطر عليك وتحيا فيك حتى ولو كنت غير منغمس فيها تماماً . لأن الشهوات مثلها مثل الرطوبة الموجودة فى الوقود فالخشب المبلل لا يمكن أن يشتعل ولكن حين يجفف وتشعل فيه النار فإن النار ستكمل جفافه وعندئذ سوف يلتقط النار شيئاً فشيئاً وسوف تنتهى الرطوبة ويشتعل كل الخشب . هكذا فإن كل قوى النفس وأعمال الجسد هى وقود حياتنا . ولكن طالما أن الانسان غير منتبه إلى خلاص نفسه فإن شهواته سوف تتشبع بالرطوبه . وقبل أن تطرح الشهوات خارجاً فإنها سوف تمنع إشتعال الروح . والشهوات تخترق كلاً من النفس والجسد معاً وتسيطر أيضاً على روح الانسان وضميره وحريته ثم تملك عليه بالتمام . وكما أن هذه الشهوات لها صداقه وإرتباط مع الشياطين فإن الشياطين تسيطر على

الانسان عن طريق الشهوات . وباطلاً يظن ذلك الانسان أنه ممكن أن يصير سيداً مادام هو تحت سيطرة الشهوات . ولذلك يجب عليك أن تسلح نفسك ضد شهواتك وأن تهزم هذه الشهوات وتطردها خارجاً عن نفسك وعن جسدك . وهذا الجهاد ضد الشهوات لا يمكن أن تتخلى عنه قط لأن هذه الشهوات لن تتخلى عنك بإرادتها .

القديس ثيوفان الناسك

إن بعض هذه الشهوات يحارب الجسد والبعض الآخر يحارب النفس وبعض هذه الشهوات خاص بالجسد [مثل شهوة الزنا] والبعض الاخر خاص بالجزء المثير فى النفس [مثل شهوة الغضب] والبعض الآخر خاص بالأفكار . وشهوات الأفكار بعضها خاص بالفكر والآخر خاص بحكم الانسان . وكل هذه الشهوات تتعاون مع بعضها بعضاً بطرق مختلفه ويؤثر بعضها فى الآخر . ولهذا فهى تتغير من موقف لآخر .

أما الشهوات الخاصه بالجزء المثير فى النفس فهى الغضب والحقد والشجار والنرفزه والغطرسه والافتخار وما شابه ذلك أما شهوات الرغبة فهى الجشع والغوايه والنهم والإفراط ومحبة المال ومحبة الذات التى هى أصل لكل الشرور . أما شهوات الجسد فهى الزنا والنجاسه وعدم الطهارة والشراهه فى الأكل والكسل وغياب العقل وعدم الاحتشام والارتباط بالعالم والارتباط بالحياة . أما شهوات الكلام واللسان فهى عدم الايمان والتجديف والخداع والمكر وحب الاستطلاع وذوو الرأيين وصانع الوشايه والأفتراء ولو

الآخرين وذمهم والثرثره والتظاهر والكذب والكلام البذيء وكلام التفاخر والكلام اللئيم وإقحام الانسان لنفسه فى المقدمه وإذلال الآخرين بالكلام والأنتفاخ والحلفان الكاذب والكلام الباطل . أما شهوات العقل فهى الخداع وغرور النفس وتمجيد الذات والمناقشه والتهور والرضا بالنفس والعناد والتمرد والأحلام والتصنع وحب الظهور وحب الشهره والأفتخار الذى هو أول وآخر الشرور . أما شهوات الفكر فهى السرحان والتبلد والأستعباد لأفكار الظلمة والعمى والمراوغه والاقتراح والتقليد والانحراف وتحريف الأمور والمعارضه وما شابه ذلك وباختصار كل الأفكار الشريره من إحساس داخلى أو تدبير . وتنقسم الأفكار إلى ثلاثة أنواع وفقا لقوى النفس الثلاث مثل الصلاح الذى ينقسم ايضاً إلى ثلاثة أنواع حسب ما هو متفق مع طبيعتنا .

القديس إغريغوريوس السينائى

من الصعب أن ندرك السهام الشريره نظراً لكثرتها وتنوعها ولكن قيل أن الشهوات تأتى الينا فى إحدى صورتين ، فهى أما أن تأتى فى صورة خيالات داخليه أو تأثيرات خارجيه ولكن السبب الوحيد لها هو الأفتخار . والأولى [الخيالات الداخليه] هى مصدر للثانية [التأثيرات الخارجية] والثانية كثيراً ما تكون سبباً للثالثه التى هى الجنون . وسبب خداع الفكر فى الخداعات التخيليه هو الاصرار على معرفة كل شيء وهذه هى التى تقود إلى شهوات الأفكار وتقود الانسان إلى الخطأ خلال الأحلام

التى تولد التجديف الذى يقود إلى الخوف سواء كان وقت النوم أو وقت اليقظه . لأن إنتفاخ الانسان يتبعه شهوة التخيلات ثم بعد التخيلات يأتى التجديف وبعد التجديف يأتى الخوف ثم بعد الخوف يأتى الترنح ثم يأتى الجنون حيث يخرج الانسان عن صوابه وهذا هو النوع الأول من شهوات الفكر التى تأتى من التخيلات .

أما النوع الثانى من شهوات الفكر الذى يأتى مں المؤثرات الخارجيه فهو يأتى أولاً من شهوة الزنا التى تأتى من رغباتنا الطبيعيه . وشهوة الزنا تولد الكلام غير الطاهر الذى لا يمكن كبحه حيث يشتعل كل كيان الانسان ويظلم العقل حيث يلتصق [خيالياً] مع الاجساد التى يتخيلها وهذا الاشتعال المسموم يقود العقل إلى الجنون والعته . وفى هذه الحالة فإن الانسان المخدوع يقود نفسه إلى التنبوء [الكاذب] ويعطى تكهنات غير صادقة حيث يؤكد أنه رأى قديسين معينين ويكرر بعض الكلمات التى يؤكد أنه قد سمعها منهم حيث يكون هذا الانسان قد تسمم عقله بجنون الشهوات . ولقد تغيرت طبيعته وظهر كأنه إنسان مسّه روح شرير حيث قد إنخدع هذا الانسان بروح الشهوات الفكريه . ورغم أنه يجلس فى أماكن القديسين إلا أنه يتخيل أنه قد ألهم من القديسين ويعلن بعض الرؤى التى يتخيل أنه قد أخذها من هؤلاء القديسين . ولكن مثل هذا الانسان يجب أن نطلق عليه الممسوس من الأرواح الشريره والمخدوع والساقط . وهو ليس نبياً للحاضر أو المستقبل لأن شيطان الفحشاء قد أضل عقله بنار الزنا وقاده إلى الجنون وقدم له أحلاماً مضلله عن بعض

القديسين الذين يتخيل أنه يسمع كلامهم ويرى وجوههم . ولكن يحدث أحياناً أن الشياطين أنفسهم يظهرون له ويخيفونه بالاضطراب ويقودونه ويستعبدونه لكي يفعل الاثم رغما عن إرادته ثم يقودونه أخيراً الى الجحيم .

القديس اغريغوريوس السينائى

٢ ـ الكآبه والضجر :

إن كل الشهوات الأخرى تؤثر فقط على جزء من أجزاء النفس سواء على الجزء التفكيرى أو على الرغبات أو على المثيرات وذلك مثل النسيان أو الجهل . أما الكآبه فإنها تخيم على كل قوى النفس . ويتحول كل نَفَسْ إلى إنفعال . ولذلك تصير هذه الكآبه أثقل من أى شهوة أخرى .

إن كلمات الرب عن الصبر هى التى تعطى الانسان اسير الكآبه القوه ضدها [بصبركم تقتنون أنفسكم] لو ٢١ : ١٩ .

مار اسحق السريانى

ياليتنا لا نقلق إذا ما صرنا فى الظلمة وأنا أعنى تلك الظلمة الخاصة حيث تصير النفس فى حالة ضعف ويخيم الظلام على ذلك الانسان سواء كان مواظبا على قراءة الكتاب المقدس ومتمماً لقانونه الروحى أم لا فإن الظلمة يتبعها ظلمه تخيم عليه .

وهذا الانسان المصاب بالكآبه غالباً ما يترك عمله الروحى ولا يستطيع

أن يقترب منه وعندئذ يمتلىء باليأس والخوف ويفقد تماماً الرجاء فى الله وتعزية الايمان بالله وتمتلىء حياته بالشك والخوف . ولكن الله لا يترك هذه النفس لمدة طويله ولكنه حالاً يصنع لها طريقاً « للنجاة » ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » ١ كو ١٠ : ١٣ ولكننى أخبرك وأعطيك هذه النصيحه ؛ إذا لم يكن لديك القدره على أن تملك نفسك وتحكم عليها بسجود الصلاه ، لف رأسك فى غطائك ونم حتى تعبر ساعة الظلمه هذه .

مار اسحق السريانى

ولكن لا تترك قلايتك[٩] :

إن الذين يخضعون لهذه التجربة هم أولئك الذين يشتاقون لحياة ضبط الفكر ويطلبون عزاء الايمان ولذلك فإن الذى يعزيهم ويقلقهم فى هذه الساعه هو تقلبات الفكر . وغالباً ما تكون تقلبات الفكر هذه مصحوبه بالافكار الشريره . وغالباً ما يسقط ذلك الانسان فى الشك فى القيامه وفى أشياء أخرى كثيره من الأفضل عدم الحديث عنها .

أما الذين ينشغلون بالأعمال اليدويه فهم أحرار بالتمام من مثل هذه

---

(٩) هذه الحرب خاصة بالرهبان المتوحدين الذين يمارسون حياة الوحده .

التجارب ، ولكنهم يقاتلون بأنواع أخرى من الضجر معروفه لكل أحد ولكنها تختلف عن تلك السابقة .

مبارك هو ذلك الانسان الذى يحتمل ذلك الضجر بدون أن يخرج من باب قلايته . ولكن هذا الجهاد لن ينتهى فى ساعة واحده ولن ترجع النعمه فجأه لتدخل فى النفس وإنما يحدث ذلك بالتدريج وسوف يحل شيئاً محل شيء آخر ، وقت تحل فيه التجارب ووقت آخر يحل فيه العزاء .

مار اسحق السريانى

٣ ـــ الكبرياء والافتخار :

الكبرياء هو دعوه من الشيطان لأنكار الله ، هو إحتقار الانسان لأخيه ، هو مصدر إدانة الآخرين وهو سبب الافتخار وعلامة العقم الروحى والهروب من المعونه الالهيه ، ومقدمة الجنون ، وإعلان لكل السقطات ، وموطيء أقدام الشياطين ، ومصدر الغضب ، وباب الرياء ، وإمداد الشياطين وزيادة الخطايا ، ومثال لعدم الشفقه وإنكارها وقسوة الفضوليه والحكم غير الانسانى ومقاومة الله وأساس التجديف .

يوحنا الدرجى

إن الله يقاوم المستكبرين فمن ذا الذى يمكن أن يتحنن عليهم ؟ إن كل

قلب متعجرف هو غير طاهر أمام الله فمن ذا الذى يستطيع أن يطهر هذا الانسان .

يوحنا الدرجى

إنه من العار أن تتفاخر بما هو للآخرين بل إنطق بما يجعلك تستحق مواهب الله . تفاخر فقط بما تستحقه وتمتلكه من قبل ميلادك ، لأن كل ما حصلت عليه بعد ميلادك حتى ميلادك نفسه هو عطيه من الله . فقط هذه الفضائل التى حصلت عليها بدون معونة العقل [الغرائز الفطريه] هى التى تخصك لأن العقل هو الذى أعطى لك من الله . كذلك كل إنتصار حصلت عليه هو من عمل الله .

يوحنا الدرجى

الانسان المتعجرف هو مثل الرمان المعفن . فهو من الداخل ملآن فساداً ولكن من الخارج متوهج بالجمال .

يوحنا الدرجى .

الفصل الثالث
الكلمة صار جسداً

أولاً : الايمان الارثوذكسى بالمسيح

١ ــ يسوع المسيح هو اله حقيقى وإنسان حقيقى .

٢ ــ المسيح هو الشفيع .

٣ ــ المسيح هو المخلص .

ثانياً : الكنيسة هى جسد المسيح .

ثالثاً : عمل الأسرار .

١ ــ ما هى الاسرار .

٢ ــ المعمودية هى السر الأول .

٣ ــ الكهنوت .

الكلمـة صـار جســداً

« الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل الخليقه . فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى ومالا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله وقد خلق . الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل . وهو رأس الجسد الكنيسة . الذى هو البداءه بكر من الأموات لكى يكون هو متقدماً فى كل شيء » كو ١ : ١٥ — ١٨ .

أولاً : الايمان الأرثوذكسى بالمسيح :

١ ــ يسوع المسيح هو إله حقيقى وإنسان حقيقى .

المجد للكلمة الذى صار جسداً .

المجد لكلمة الآب القدوس .

الذى أخذ جسداً .

إنصتى له أيتها الأذنان .

وابصريه أيتها العينان .

وإلمسيه أيتها اليدان .

وأأكله أيها الفم .
قدموا له التمجيد ايتها الأعضاء والحواس .
لأنه جاء وأحيا كل الجسد .
القديسه مريم حملت الطفل الصامت .
بينما مخبأ فيه كل الألسنه .
يوسف قد حمله .
وفيه إختبأت الطبائع
الأكثر قدماً اكثر من غيرها .
القدوس صار طفلاً صغيراً .
وفيه خبأت كنوز الحكمه
التى تكفى الكل .
القدوس رضع اللبن من القديسه مريم .
وهو الذى يرضع كل الخلائق من جوده .
هو مصدر الحياه .
الموتى يرضعون من حياته فيحيون
بدون أن يستنشقوا الهواء .
لا يحيا إنسان بدون الابن .
ولا يعيش الانسان إلا بنفس الحياة .
الذى يحى الكل
وعليه تعتمد الأرواح التى فوق والتى تحت .
حينما رضع اللبن من القديسه مريم

كان يُرضع الجميع من الحياة .
وحينما كان مضجعاً فى حضن أمه
كان يرقد فى حضنه كل الخلائق .
كان صامتا كطفل .
ولكن كانت كل خلائقه
تصنع وصاياه .
لأنه بدون المسيح البكر
لا يستطيع إنسان أن يقترب للآب.
الذى هو مساوٍ له .
إنه عاش على الأرض ثلاثة وثلاثين عاماً .
وهو الذى يأمر كل المخلوقات .
وهو الذى يتقبلْ كل ذبائح التسبيح
من الذين هم فوق وأسفل .
هو قدوس فى السماء فوق .
وقدوس فى الأرض تحت .
وقدوس فى كل الأشياء .
وقدوس مع كل أحد .
وبينما كان الجسد فى رحم العذراء
كانت قوته تكُوّن كل الأعضاء .
وبينما حملت العذراء به فى الرحم
كان هو يخلق كل الأطفال

فى رحم أمهاتهم .
لم يكن جسده ضعيفاً فى رحم العذراء .
ولم يكن بلا قوة وهو فى بطن العذراء
كما أن جسده لم يكن ضعيفاً على الصليب .
لأنه بينما كان على الصليب كان يحى الموتى .
كان بجسده يحييهم .
بل بارادته كان يحى الجميع .
كان قدوس وهو معلق على الصليب .
حيث كانت قوته تجعل كل الخلائق تتحرك .

القديس مار افرام السريانى

قال أحد الأباء[١٠] :

دعنا أيها الأخوه المحبوبون أن نشتاق لنجد المسيح حيث هو موجود فى جماله وجاذبيته . نحن نرى أناساً كثيرين تجذبهم شهوة الأشياء العابره ويتحملون الكثير فى سبيل ذلك من تعب وجهاد . إنهم يسافرون مسافات عديده وربما يهملون زوجاتهم وأولادهم وكل مجد ومتعه ويفضلون على ذلك الوصول إلى هدفهم وغرضهم . ألا يجب أن نخلص أنفسنا وأجسادنا ونحتمل حتى الموت من أجل ملك الملوك ورب الأرباب (١ تيمو ٦:١٥)

---

(١٠) الأب سمعان اللاهوتى .

الذى هو الخالق والضابط لكل الأشياء ؟ وكيف نهرب من أمام وجهه ؟ (مز ١٣٩ : ٧) ولذلك ياإخوتى نحن لا نستطيع أن نهرب من وجه الرب أو نقاومه . هيا نقدم أنفسنا كعبيد له لأنه هو ربنا والهنا لأنه من أجلنا « أخذ صورة عبد » ومات لأجلنا . هيا نتواضع تحت يده القويه (١ بط ٥ : ٦) الذى منح الحياة للجميع وأعطاها بغنى خلال الروح القدس لأولئك الذين يطلبونها .

• • •

أيها المولود الغريب الجديد الذى جاء إلى عالمنا لكى يربطنا بالآب . غير المخلوق صار موجوداً . غير المحوى صار محوياً بواسطة دخوله فى الروح العاقله . وأصبح وسيطاً بين الله الآب وبين الانسان . وهو الذى يمنح الغنى صار فقيراً . هو أخذ جسداً مثل أجسادنا حتى ندرك نحن غنى صلاحه . وهو الكامل أخلى نفسه من مجد الألوهيه لفترة من الزمن حتى تكون لنا شركة فى كماله . ولكن ما هو غنى صلاحه ؟ وما هو هذا السر الغامض حولى ؟ أن تكون لى شركة فى صورته . هو إشترك فى جسدى حتى يخلص شبهه ويجعل جسدى غير فاسد . وهذا السر [سر الشركة معه] عظيم لمن يفهمه .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

٢ ـــ المسيح هو الشفيع :

قال أحد الأباء[١١] :

المسيح هو الوسيط الذى من خلاله يسكب الآب علينا كل الأشياء الصالحه ، وهو الذى يمنحنا دائماً كل الخيرات . ولكن لا يكفى أن يكون دور المسيح هو فقط الوسيط للحصول على كل ما يشفع لأجلنا فيه . فهو يشفع فينا دائماً ويطلب عنا أمام الآب ، ولكن ليس كما يفعل السفير بالكلام والالتماس بل هو يشفع فينا بالعمل ، لأنه قد وحدنا مع نفسه وجعلنا مستحقين أن نشترك خلاله فى كل النعم التى له .

وكما أن بصر العينين يأتى من النور ، فالمحرومون من النور لا يستطيعون أن يبصروا ، هكذا فإن الاتحاد الدائم مع المسيح هو ضرورى جداً للنفس حتى تحيا فى سلام كامل وطمأنينه . وكما أن العين لا تستطيع أن تبصر بدون النور هكذا فإن النفس لا يمكن أن تمتلك الحياة الحقيقية والسلام بدون المسيح لأنه هو الذى صالحنا مع الله الآب وهو صانع هذا السلام الذى بدونه نصير أعداءاً لله ونصير بلا رجاء فى شركة المواهب التى تأتى الينا منه .

فإذا لم يتحد أى أحد مع المسيح بالمعمودية وإذا لم يستمر هذا الاتحاد بعد المعمودية فإنه سوف يحسب كعدو لله وسوف يحرم من غنى الله

---

(١١) الأب نيقولاوس

ولكن ما الذى جعل الله الآب يتصالح مع الجنس البشرى ؟ ببساطة نقول لان الابن الحبيب قد صار إنساناً ولذلك فإن الله الآب يتصالح شخصياً مع كل إنسان يختم بخاتم الابن الوحيد [فى المعمودية] ويأخذ جسده [بالتناول] ويتحد معه ويصير روحاً واحداً . وبدون ذلك فإن كل منا يصير فى الانسان العتيق مبغوضاً من الله ولا يكون له أى شركة معه .

• • •

٣ ـــ المسيح هو المُخلّص :

ولكن كيف نستطيع أن نشترك فى نعمة البنوه مالم نتسلم من الله الآب خلال الابن التبعيه . ولذلك لم نكن نستطيع أن ننال نعمة التبنى مالم يتجسد المسيح ويدخل فى شركة معنا . ولذلك فإن المسيح إجتاز كل أعمار الحياة وأعاد الكل إلى الاتحاد معه . ولذلك فإن المسيح قد إحتوى فى نفسه كل الخليقه البشريه. حتى يقتل الخطيه وينزع جبروت الموت وسلطانه ويحى الانسان وبذلك يجعل كل أعماله حقيقيه .

القديس إريناوس

لأنه حين محيت صورة الله منا بسبب خطايانا كان على المسيح ـــ صورة الله ـــ أن يأتى ويتجسد ليعيد الصوره ويجددها على نفس الماده . لأنه رغم أن ألوان الصوره قد محيت من على الخشب إلا أن الخشب مازال موجوداً ولم يلق . هكذا فإن المسيح ابن الله القدوس هو صورة الآب جاء

إلى عالمنا لكى يجدد الانسان الذى خلق على صورة الله ويرجع اليه ما فقده .

القديس أثناسيوس الرسولى

بالمسيح يسوع ربنا قد دعى الانسان لكى ينال النعمة الأولى . لأنه عن طريق المسيح يرجع الانسان الساقط ويشفى الضائع . الذى بيده أرجع اليه المنحرف . من ذا الذى يستطيع أن يرجع ذلك الانسان إلا ذاك الذى هو رب الطبيعة لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يمنح الحياه وأن يعيد تماماً ما قد فقد . وهذا هو ما تعملناه ودرسناه من إعلان الحق [الانجيل] وهو أن الله هو الذى خلق الانسان وهو الذى خلصه حين سقط .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

ثانياً ـــ الكنيسة هى جسد المسيح :

هو [المسيح] قد صنع الكنيسة التى هى جسده وقد أسسها على الحب خلال زيادة الايمان حتى نصل إلى الاتحاد « إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله » أفسس ٤ : ١٣ .

فإذا كانت الكنيسة هى جسد المبيح فإن المسيح هو رأس هذ الجسد ، وهو الذى أوجد كيان الكنيسة بجسده . ربما أصدقاء العريس يرون ذلك حينما يعطون كل قلبهم لذلك العريس ولكن فى الكنيسة يرون

بأكثر وضوح ما هو غير مرئى مثل غير القادرين أن يبصروا الشمس مواجهه فهم يستطيعون أن يروا إنعكاسها فى الماء . هكذا فإن أصدقاء العريس يرون شمس البر حينما ينظرون إلى وجه الكنيسه كمرآه نقيه وعندئذ يصير المسيح مرئياً بانعكاس نوره فى الكنيسة .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

فى المسيح الأبدى غير المخلوق الموجود قبل كل الدهور . وهو بالتمام غير المدرك وغير المعبر عنه لكل الخليقة العاقله . هذا هو الذى ظهر فى الجسد فأصبح مدركاً للخليقة العاقله . ولهذا فإنه فى المسيح تستطيع الكنيسة أن تبصر وأن تتحدث ويستطيع من ينصت للكنيسة أن يفهم هذا . وما أريد أن أقوله هو بخصوص أسرار الخلاص التى أعلنها لنا الله فى ظهوره فى الجسد . وبعد أن وحدنا معه فى نفسه عن طريق سر الفداء وموت الجسد الذى أخذه من العذراء القديسه مريم إستمر فى تقديس طبيعتنا العتيقه بطبيعته غير الفاسده ، وهذا هو ما فعله خلال الكنيسة المتحده معه خلال شركة أعضائها فى الأسرار عن طريق غذائهم من جسده الموجود فى الكنيسة . وعن طريق التناسق الكامل مع الكنيسة فإن كل الأعضاء تنمو عن طريق الايمان فى شخصه .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

ثالثاً : عمـل الأسـرار :

١ ـــ ما هى الأسـرار :

قال أحد الأباء[١٢] :

هناك أمران يقودانتا إلى الله وفيهما يكمل كل خلاص البشر . الأمر الأول هو الأسرار المقدسه حيث يكمل فيها كل خلاص البشر . والثانى هو تدريب الاراده نحو الفضيله .

والإنسان ليس عليه أكثر من أن يتحمل ويثابر لأجل الحفاظ على ما أعطى له من كنوز ، وبالتالى فإن الانسان يحفظ كل البركات بقوة الأسرار التى أعطيت له . وكل سر إنما له عمل خاص ومشاركة فى الروح القدس وفى مواهبه .

وبينما لا يجب على الانسان أن يعلن المواهب الروحيه التى حصل عليها من الأسرار ألا أنه لا يجب أن نجهل سبب تلك القوه . إن إستنارة المعموديه مقدمه لأولئك الذين نالوها فاغتسلوا ثم تظهر الفضائل بعد ذلك خلال حلاوة الشركة مع المسيح وخلال الألم الذى تتحمله النفس حينما تتطهر العين التى للنفس عن طريق محبة المسيح .

---

(١٢) الأب نيقولاوس .

وهنا نحن ندرك كيف إكتسبنا الحياه الحقيقيه عن طريق موت المخلص . وهذا هو الطريق الذى من خلاله نحصل على الحياه التى تدخل نفوسنا عن طريق الاشتراك فى الأسرار حيث نغتسل بالمعموديه ونتقدس بالميرون ونشترك فى المائده المقدسه . وعندئذ يأتى المسيح الينا ويسكن فينا ويتحد معنا وينمو ليصير واحداً معنا ويخمد الخطيه التى فينا ويسكب فينا حياته الخاصه ويجعلنا نشترك فى النصره التى له . كم هو عظيم بره الخاص . إنه يكلل أولئك الذين إغتلسوا بالمعموديه وإشتركوا فى مائدته . كيف نفسر ذلك النصر وذلك الاكليل الذى هو ثمر الجهاد والحلاوه الذى يأتى من إغتسال المعموديه والميرون المقدس والتناول من مائدة الرب . وحين نشترك فى تلك الأسرار فإننا نرتل التمجيد لمن جاهد ونحتفل بنصرة الرب ونعظم اكليل الحب غير المنطوق به للمسيح المصلوب وللجروح والطعنات ، والموت الذى للرب ونجعلها لنا ونطلبها لأنفسنا عن طريق إحتمال ما يمكن أن يأتى علينا . ونصير جسداً واحداً مع ذاك الذى مات وقام وعندئذ نتمتع بالبركات التى تأتى علينا من موت الرب والآمه .

وننتقل الآن من المعموديه التى تغسلنا من الخطيه إلى الميرون الذى يقدسنا ويجعلنا نشترك فى نعمه وإلى التناول حيث نحيا نفس الحياه التى يحياها هو وذلك حتى نصير الهه معه فى العالم الآتى ونصير ورثه معه ليكون لنا نفس الغنى وسوف نملك معه فى ذلك الملك . وهذا كله مشروط بأن نغلق أنفسنا عن هذه الحياه ونحيا تحت الثياب الملوكى . ولذلك يجب أن نطرح جانباً مباهج هذه الحياه حتى نخضع لمواهبه ونتمسك بنعمته ولا

نرفض الاكليل الذى أعده الله لنا عن طريق إحتمالنا بعض الالام والجهاد .

هذه هى الحياه فى المسيح التى تعدنا لها الأسرار . ولكن يجب أن نتحدث عن كل سر على حده ثم بعد ذلك نعتبر الأعمال التى تلائم الفضيله .

٢ ـــ المعموديه هي السـر الأول(١٣) :

تسبيحة المعموديه للقديس مار افرآم السرياني .

١ ـــ إن ثيابكم تتلألأ أيها الأخوه مثل الثلج وجميل هو جمال إشراقكم الذى يشبه الملائكه .

٢ ـــ لقد صرتم مثل الملائكه عندما صعدتم أيها الأحباء من نهر الأردن متحصنين بدرع الروح القدس .

٣ ـــ لقد دخلتم حجرة الزفاف [جرن المعمودية] التى لا تخيب قط . ولقد أخذتم مجد مكانة آدم الأولى التى لبستموها بالمعموديه .

٤ ـــ إن نتيجة الدينونه كانت بسبب خطية آدم . أما الآن فإن النصر قد أحرزتموه .

---

(١٣) اكتفى الكتاب فى هذا الفصل بالحديث عن سرى المعموديه والكهنوت فقط على اعتبار أن الأول هو سر الولاده والدخول إلى البنوه والثانى هو أب الأسرار كلها . ولم يتحدث عن الأسرار الاخرى ليس لأهمالها أو عدم أهميتها ولكن للتركيز فى هدف الكتاب وهو الرجوع إلى صورة الله التى خلقنا عليها .

٥ ـــ إن ثيابكم تشرق . وأكاليلكم الصالحه أعدتها لكم أيادى الكهنه هذا اليوم .

٦ ـــ لقد حصل آدم على الويل والحسره وهو فى الجنه . أما أنتم فقد أخذتم المجد فى هذا اليوم .

٧ ـــ لقد لبستم درع النصره أيها الأحباء فى تلك الساعه التى توسل فيها الكاهن أن يحل عليكم الروح القدس .

٨ ـــ لقد فرحت الملائكه . ولقد سمع البشر وهم فى الأسفل صوت التهليل فى يوم العيد ياإخوتى حيث لا فساد ولا شر .

٩ ـــ لقد أخذتم ياإخوتى الصلاح الذى فى السماء ولذلك كونوا حذرين من الشيطان حتى لا يفسدكم .

١٠ ـــ فى هذا اليوم [العماد] فتح لك الملك السمائى أبوابه وجعلك تدخل عدن .

١١ ـــ إن الأكاليل غير المضمحله قد وضعت على رؤوسكم وتسابيح المجد بدأت حتى تغنيها شفاهكم .

١٢ ـــ إن آدم قد طرده الله نتيجة خطيته وأصبح فى حزن . ولكن الله جعلك فى فرح وبهجة العرس السمائى .

١٣ ـــ من ذا الذى لا يفرح فى عرسه ياإخوتى ؟ لأن الآب والابن والروح القدس يفرحون معك .

١٤ ـــ عندئذ [بعد المعموديه] يصير الآب قوة لك . والابن فداءك .

والروح القدس حارسك .

١٥ ـــ إن الشهداء بدمائهم يمجدون أكاليلهم ولكن أنت أيها الفادى تتمجد فينا بدمك .

١٦ ـــ إن الملائكه والسهارى الذين يفرحون من أجل التائبين سوف يفرحون لك لأنك صرت شبيهاً لهم .

١٧ ـــ إن الثمره التى أكلها آدم فى الجنه حل محلها الثمره الجديدة التى تأكلها اليوم بفمك بفرح .

١٨ ـــ فادينا قدم دمه عن طريق شجرة الحياه [الصليب] التى لم يأكل منها آدم بسبب خطيته .

١٩ ـــ إن الشيطان قد صنع حرباً وهزم به آدم وبنيه ولكن فى هذا اليوم خلال المعموديه قد أخضعنا الشيطان وهزمناه .

٢٠ ـــ عظيم هو ذلك النصر . وأنت فى ذلك اليوم قد حصلت على النصر وإذا أهملت ذلك النصر فإنك لن ترث .

٢١ ـــ المجد لأولئك اللابسين [ثياب المعموديه] المجد لأولاد آدم المولودين من الماء [والروح بالمعموديه] ليتهم يفرحون ويطوبون .

٢٢ ـــ المجد لذاك الذى كسى كنيسته بالمجد . المجد لذاك الذى رفع كل جنس بنى آدم .

القديس مار افرام السريانى

إنك قد تسلمت فى المعموديه درعاً روحياً لا يفنى . ولذلك فإنك قد غرست فى الفردوس غير المنظور . وقد أخذت إسماً جديداً لم يكن لديك من قبل . إنك كنت من قبل موعوظاً ولكنك الآن تدعى مؤمنا . إنك قد غرست وسط أشجار الزيتون الروحيه وقد قطعت من الزيتونه البريه إلى شجرة الزيتون الجيده . إنك نقلت من الشر إلى البر ومن الفساد إلى الطهاره وصرت شريكا فى الكرمه المقدسه . وإذا ثبت فى الكرمه المقدسه فإنك سوف تنمو مثل الغصن المثمر . ولكن إن لم تثبت فى الكرمه فإنك سوف تحرق بالنار . دعنا إذن نحمل الثمار اللائقه . إن الله لا يريد أن يحدث معنا كما حدث مع شجرة التين غير المثمره . إن يسوع لم يأتِ بعد لكى يلعننا من أجل عرينا ، لعل الكل يستطيع أن يقول « أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله » مز ٥٢ : ٨ وليس المقصود هو أن ندرك بحواسنا شجرة الزيتون بل بعقولنا وبامتلائنا بالنور . وعمل الله هو أن يغرس وأن يروى ولكن عملك أنت أن تأخذ وأن تحرس الشجرة . ولا تحتقر النعمه لأنها أعطيت لك مجانا ولكن خذها وخبئها بكل خشوع .

القديس كيرلس الأورشليمى

إذا لم يأخذ أى أحد نعمة المعموديه فإنه لن ينال الخلاص ما عدا الشهداء الذين تسفك دماؤهم فإنهم يدخلون الملكوت ولو لم يكونوا قد إعتمدوا بعد . لأنه حين طعن المخلص فى جنبه على الصليب فإنه خرج منه دم وماء . وهكذا فإن البشر الذين يحيون وقت السلام فإنهم يعتمدون

بالماء وفى وقت الاضطهاد فإنهم يعمدون بالدم . ولذلك فإن المخلص يقول للشهداء مانحاً إياهم نعمة المعمودية « إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله » مت ٢١ : ٣١ .

القديس كيرلس أسقف أورشليم

إن التعليم الرمزى يكشف لنا أن الانسان المعمد يغطس ثلاث مرات فى الماء مثل الرب يسوع المسيح الذى أمضى ثلاث أيام وثلاث ليالى فى القبر . ووفقا للتقاليد المقدسه فإن رئيس هذا العالم لم يجد أى شيء فى المسيح . ثم يلبس المعمد ملابس بيضاء إشارة إلى التغيير الذى حدث فى حياة المعمد حيث يدخل فيه روح التقوى بدلاً من الجحود والتحجر والإنحراف والفوضى وعندئذ يتحول كل شيء فى الانسان ويصبح مملوءاً بالحياة المنيرة . ودهن الأعضاء بالميرون المقدس يجعل الانسان مرتبطاً بالتمام بالروح القدس . ولذلك فإن هذه النعمه التى تصنع الكمال والرائحه الزكيه هى لأولئك الذين حسبوا مستحقين لنوال الأسرار وشركة الروح القدس ليدركوا روحياً ما هو متعذر إدراكه . وختام الأمر كله فإن الأسقف يدعو الانسان المعمد إلى سر الأفخارستيا ويمنحه الشركه مع الله فى الخفاء الكامل .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

نحن نطلق على سر المعموديه الهبه أو النعمه أو الاستناره أو الختم

والمسحه ونطلق عليها أيضاً كل شيء مكرم .

نحن ندعوها الهبه لأنها تعطى لنا بلا مقابل . ونحن ندعوها النعمه لأنها تعزى حتى الخطاه . ونطلق عليها المعموديه لأن خطايانا تدفن فى الماء . ونطلق عليها المسحه لأنها عمل كهنوتى وملوكى لكل من يدهن به . ونحن ندعوها بالاستناره من أجل إشراقها . ونحن ندعوها باللباس لأنها تخفى خزينا . ونحن ندعوها بالمغسله لأنها تغسلنا . ونحن نطلق عليها الختم لأنها تحفظنا . وهى أكثر من هذا إعلان لسلطاننا . بها تفرح السماء وتمجدها الملائكه بسبب إنضمامنا للأسرة السمائيه . إنها صورة السعاده السمائيه . ياليتنا نستطيع أن نسبح أنشودة المعموديه ولكننا لا نستطيع لعدم إستحقاقنا أن نفعل ذلك .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

٣ ــ الكهنوت :

إن الكهنه يمارسون الأسرار تحت توجيهات وأوامر الاساقفه القديسين ويقومون بالأعمال الالهيه فى الأسرار المقدسه التى لها رموز سريه . ويرسلون للأسقف أولئك الذين إستنيروا بفهم الأسرار التى حصلوا عليها .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

قال أحد الأباء[14] :

وهكذا يحمل الكهنه القوه . ولكن هذه ليست قوه الكهنه فى ذواتهم بل هى قوة ذاك الذى يخدمونه فى البشاره بالانجيل « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الامم مباشراً لانجيل الله ككاهن » رو ١٥ : ١٦ فى روح التواضع حيث يحيون بلا لوم إذ يقدم الكهنه ذواتهم للرب أولاً « أنتم عبيد للذى تطيعونه » رو ٦ : ١٦ ويسلكون فى حياة الكمال والقداسه والذبيحه المرضيه وفى العمل الطاهر فى العباده « فأطلب اليكم أيها الأخوه برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيه مقدسه مرضيه عند الله عبادتكم العقليه » رو ١٢ : ١ وكذلك « حفظ الإنسان نفسه بلا دنس فى العالم » يع ١ : ٢٧ وأيضاً « جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم » ١ كو ٦ : ١٩ وبإختصار يحيا الكهنه فى روحانيه ويظهرون فى الهيكل أمام الله لأجل الشعب (عب ٩ : ٢٤) حيث يتقدمهم المسيح الكاهن الأعظم ويقدمون الذبيحه الكامله والمحوله بقوة الروح القدس . وهم قد تحولوا إلى صورة المسيح الذى مات من أجلنا وقام فى مجد الوهيته . وبالاتضاع الكامل فإنهم يتوبون ليلاً ونهاراً وهم ينوحون ويصلون بدموع ليس فقط من أجل أنفسهم ولكن أيضاً من أجل القطيع الذى يثق فيهم .

هؤلاء الكهنه لهم حق الحل والربط [مت ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨]

(١٤) الاب سمعان اللاهوتى

وهم يمارسون الأعمال الكهنوتيه ويعلمون وهم لم يأخذوا هذه الرتبه من أى إنسان بل من الله أقيموا لهذا العمل . [عب ٥ : ٤] ولكن الذى يأتى عن طريق البشر وخلال البشر فهم سراق ولصوص كما قال الرب [يو ١٠ : ٧ — ٨] .

● ● ●

يجب أن يتحصن الكاهن بالأسلحه القويه والعزيمه الصلبه والتقوى الدائمه . ويجب أن يكون يقظاً فى كل شىء حتى لا يوجد أى أحد عرياناً وغير محروس وملوث ومضروب من الشيطان بالضربات المميته . لأن كثيرين يقفون حول الكاهن ويحاولون أن يجرحوه ويسقطوه لأسفل ، ليس فقط أعداؤه ولكن أيضاً كثير من الذين يتظاهرون بأنهم يحبوه . ولذلك يجب أن يهتم بالنفوس ويحرسها كما عملت نعمة الله فى حفظ أجساد القديسين فى أتون النار . إن النار المتقده ليست هى الاشجار التى تحترق ولا القار (الزفت) الذى يغلي بل هو شىء أسوأ من كل ذلك ، لانه ليست النار الماديه هى الخطره بل كل القذائف من الحقد الذى يحيط بهم الذى هو أخطر من تلك النيران التى كانت تحيط بأجساد الثلاثة فتيه .

وحين تكون حياة الكهنه كامله فى كل أمر من الأمور فإن حيل الشياطين لا يمكن أن تؤذيهم . ولكن إن كان الكاهن — ككائن بشرى — مخطئاً فى أى أمر صغير فإن كل بقيه أعماله الصالحه لا يمكن أن تدفع كلمات إدانته من المشتكين عليه . وهذه العثرات الصغيره فى حياة الكاهن تسبغ ظلاً على كل بقية حياته . لأن كل أحد يريد أن يدين

الكاهن ليس كأنه إنسان فى الجسد ولا كأنه كائن بشرى بل ينظرون اليه كأنه ملاك وغير مستثنى من ضعفات الآخرين .

القديس يوحنا فم الذهب

قال أحد الأباء[١٥] :

١ ـــ أى عظمه لشخصية الكاهن ؟ هو فى شركة وحديث دائم مع الله . والله دائماً يستجيب لسؤاله وصلواته . وحينما يهاجم الكاهن بالشهوات فإنه يجاهد حتى لا تدخل هذه الشهوات إلى قلبه حيث يجب أن يملأ الرب يسوع المسيح كل قلبه تماماً . الكاهن هو ملاك وليس إنسان ولذلك يجب أن يدفع عنه بعيداً كل أمر عالمى . أيها الرب دع كهنتك يلبسون البر وإجعلهم يتذكرون دائماً دعوتهم العظيمة ولا تدعهم يسقطون فى فخاخ العالم والشيطان بل إجعلهم يخلصون من هموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء التى تدخل قلوبهم . وكما أن النور والحراره لا ينفصلان عن الشمس هكذا فإن القداسه والتوجيه والحب والشفقه للكل يجب ألا تنفصل عن شخص الكاهن . لأنه أى كرامه يحملها هذا الكاهن ؟ إنه المسيح الذى يتحدث معه دائماً ... نعم المسيح !!! الله نفسه !!! جسده ودمه اللذان يحملهما الكاهن باستمرار . ولذلك فإن الكاهن يجب

---

(١٥) الأب يوحنا من كرونستات

أن يحمل نفس روحانية المسيح وسط القطيع وأن يكون مثل الشمس التى تعطى بطبيعتها النور للكل وتمنح الدفء والحياة للجميع وأن يكون للجميع مثل أهميه النفس للجسد .

يجب أن يجاهد الكاهن بكل الطرق لكى تبقى فى نفسه الشجاعة والجراه أمام الأعداء الجسديين الذين يزرعون دائماً الخوف الخادع والرعب الغبى وإلا لن يستطيع أن يدفع الرذائل البشرية أو يحتفل الاحتفال الحقيقى بالأسرار . إن الشجاعة هى نعمة عظيمة من الله وهى كنز عظيم للنفس لأنها تعمل بمهارة خصوصاً فى الحرب الروحيه .

٢ ـــ إن الاحتفال بالقداس الالهى يستوجب نفساً مرتفعه غير مرتبطه بأى شهوات عالميه ولا مرتبطه بأى إغراءات أرضيه ويجب أن يكون قلب الكاهن مقدساً ومملوءاً بأشعة الروح القدس ومزيناً بالحب نحو الله ونحو كل جنس البشر وكل نفس بشريه . وفوق الكل يحمل حباً لكل النفوس المسيحيه . ويكون له قلب حساس يرتفع إلى الله بالصلاة ومملوءاً بنار الروح القدس التى حلت على جماعة الرسل فى شكل ألسنة ناريه . هذه النار ضروريه جداً لقلوبنا البارده لكى تلتهب وتصير رقيقه ولكى تذيب قلوبنا وتطهرها وتضىء فيها وتجددها . أين إذن يوجد هذا الكاهن المستحق لهذه النعمة الذى يشبه السيرافيم الذى يشتعل قلبه بالحب أمام الرب ويشكره من أجل نعمه وإحسانه .وحكمته التى أعلنت لنا وبنا ؟ أنا هو أول الخطاه

الذين يحتفلون بهذه الأسرار السمائيه لأننى أحمل قلباً نجساً مربوطاً ومقيداً بالشهوات والاهتمامات الأرضية .

أيها الرب الناظر إلى أعماق قلبى إنضح علىّ بزوفاك فأطهر إغسلنى فأبيض أكثر من الثلج . إنه ليس عجباً يارب إذا منحت نعمتك للأطهار . وليس شيئاً عظيماً إذا خلصت الأبرار . ولكن أرنى عظم رحمتك لى أنا الخاطىء .

٣ ــ ياكاهن الله آمن بكل قلبك . ثق فى النعمة التى أعطيت لك من الله أن تصلى من أجل شعب الله . ولا تدع موهبة الله هذه تصير بلا فائده فيك لأنك بها تستطيع أن تخلص نفوساً كثيرة . إن الله يسمع بسرعة إلى صلاتك العميقه من أجل شعبه . وبسهوله يبسط مراحمه عليهم كما فعل مع صلوات موسى وهارون وصموئيل والرسل . أغصب نفسك للصلاة فى كل فرصه ؛ فى الكنيسة حين تمارس الأسرار ، وفى منزلك الخاص ، وحين تمارس كل الطقوس ، وخلال الصلوات والتشكرات ، فى كل مكان وفى كل وقت فكر فى خلاص رعية الله . وإنك بذلك لسوف تحصل أيضاً على نعمة عظيمة من الله لأجل نفسك .

وحينما تصلى بدموع وحب لأجل قطيع الرب وتحاربك الأفكار أنك صرت شيئاً فقل لنفسك : لست أنا الذى أصلى ولكن الروح هو الذى يصلى بكلمات لا ينطق بها وهو الذى يقودنى ويربطنى

برباط حبه المقدس ويكرسنى له باخلاص . وإن لذة الصلاة والحب هى التى تدفعنى للصلاة .

• • •

الفصل الرابع
عمل الروح القدس

أولاً : فهم الانجيل .

ثانياً : عمل الروح القدس :

١ ـــ طبيعة الروح القدس .

٢ ـــ الحلاوه .

ثالثاً : قيادة الروح القدس :

١ ـــ الافراز .

٢ ـــ الرؤى .

٣ ـــ فى القلب .

٤ ـــ اليقظة الالهيه .

رابعاً : بناء جسد المسيح .

الفصل الرابع
عمل الروح القدس

« مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه . فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله . لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الانسان إلا روح الانسان الذى فيه . هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبه لنا من الله . التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمه إنسانيه بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل مالروح الله لأنه عنده جهاله ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحيا . وأما الروحى فيحكم فى كل شيء وهو لا يحكم فيه من أحد . لأنه من عرف فكر الرب فيعمله . وأما نحن فلنا فكر المسيح » .

١ كو ٢ : ٩ — ١٦

أولاً : فهم الانجيل :

إن بداية طريق الحياة هو دائماً تدبير الفكر وفقاً لكلمة الله وأن يحيا

الانسان فى حياة التجرد وأن يملأ الانسان نفسه بالله حتى يقتنى منه الكمال . فإذا شغلت ذاتك بدراسة كلمة الله فإن هذا سوف يساعدك للنمو فى حياة التجرد . وإذا إقتنيت حياة التجرد فإن هذا سوف يساعدك على النمو فى دراسة كلمة الله . وهكذا فإن كليهما يؤثر فى الآخر لبناء حياة الفضيلة فى النفس .

مار اسحق السريانى

إذا أردت أن تدفع عن نفسك بعيداً الانحرافات الخاطئه التى دخلت إلى النفس فلا شيء يساعد الانسان على ذلك أكثر من محبة دراسة الكتاب المقدس وفهم الافكار العميقه التى تحويه . وحينما تنشغل بنور حكمة الكلمة المخبأه فإن الانسان سوف يترك العالم خلفه ، وسوف ينسى كل ما فى العالم بقدر ما يستنير من نور الكلمه التى يقتنيها . بل حتى لو أن العقل لم يدرك سوى المعانى السطحيه للكتاب المقدس ولم يستطع أن يخترق المعانى العميقه التى فيه فإنه سوف ينشغل بالحماس لفهم أفكار الكلمة بخصوص المعجزات وحدها وسوف يمنع الفكر من الجرى وراء الأمور الجسديه والعالميه .

مار اسحق السريانى

قبل أن يمتلىء الانسان من الروح القدس المعزى فهو محتاج إلى الكتاب المقدس لكى يحفر الصلاح فى ذاكرته وأن يحفظ جهاده دائماً نحو الصلاح

الذى يتجدد باستمرار بالقراءه فى الكتاب المقدس وأن يحفظ نفسه من الطرق الشريره الخبيثه لأنه لم يقتن بعد قوة الروح التى تقاوم الاخطاء وتحفظ النفس من الأفكار . وحينما تخترق قوة الروح قوى النفس التى تعمل فى الانسان فعندئذ يحل قانون الكتاب المقدس ووصايا الروح فى جذور قلب الانسان وسوف يتعلم الانسان فى الخفاء من الروح ولن يحتاج إلى تعليم الحواس وسيكون للقلب تعاليمه الخاصه . ولكن ربما يخطىء ذلك الانسان ولكنه للحال سوف يرجع ويتبع التعليم . ولكن حينما يأتى التعليم من الروح القدس فإن تذكار التعليم سوف يحفظ ولا يمس .

مار اسحق السريانى

لا تقترب إلى أسرار الكلمه التى يحويها الكتاب المقدس بدون الصلاه وطلب معونة الله . كأن تقول : يارب إفتح قلبى لآخذ القوة التى تحويها كلمات الكتاب المقدس . إن الصلاة هى بمثابة المفتاح للمعانى الحقيقية التى قيلت فى الكتاب المقدس .

مار اسحق السريانى

إن الطريق الصحيح لفهم الكتاب المقدس وطلب معانيه هو الكتاب المقدس نفسه . وقد وجدنا فى سفر الامثال لسليمان الحكيم مثل هذه التوجيهات لأختيار كلمة الله . فقد قال الحكيم سليمان « ألم أكتب لك أموراً شريفه من جهة مؤامرة ومعرفة . لأعلمك قط كلام الحق لترد جواب

الحق للذين أرسلوك » أم ٢٠ : ٢١ — ٢٢

ولذلك يجب على الانسان أن يفكر فى المعانى الالهيه ثلاث مرات فى نفسه حتى يتعلم الانسان البسيط المعانى الواضحه لقصص الكتاب المقدس . ولكن إذا تقدم الانسان وإبتدأ يتأمل أكثر من هذا فإنه سوف يتعلم الكثير من الكتاب المقدس . وهؤلاء الكاملين يشبهون الذين تحدث عنهم بولس الرسول قائلاً « لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمه ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون . بل نتكلم بحكمة الله فى سر الحكمه المكتوبه التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا » ١ كو ٢ : ٦ — ٧ .

ومثل هؤلاء الناس يجب أن يتعلموا روح الناموس « فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطيه » رو ٧ : ١٤ لأن « الناموس إذ له ظل الخيرات العتيده » عب ١٠ : ١ ولذلك يتعلم هؤلاء الكاملين روح الكتاب المقدس . وكما أن الكيان البشرى يتكون من جسد ونفس وروح هكذا أيضاً أسرار الكتاب المقدس فإن الله منحها الغنى الجزيل من أجل خلاص الانسان .

العلامه أوريجانوس

إن الله الملك قد أرسل الكتاب المقدس كرسالة للبشر لكى يدعوهم أن يطلبوا الله ويؤمنوا به وأن يسألوا ويأخذوا المواهب السمائية من الله

الكائن لأنه مكتوب « قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينه لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهيه » ٢ بط ١ : ٤ .

ولكن إذا لم يتقدم الانسان ليطلب ويأخذ فإنه لن يستفيد شيئاً من قراءة الكتاب المقدس ولكنه سوف يخضع للموت لأنه لم يرغب أن يأُخذ من الملك السمائى موهبة الحياة التى بدونها يصير مستحيلاً أن يأخذ الحياه غير الفاسده الذى هو المسيح .

القديس مكاريوس

عمل الروح القدس :

١ ـ طبيعة الروح القدس :

لقد مجد الابن [المسيح] الخليقه ورفعها فى الروح القدس وتبناها لكى يقدمها للآب . ولكن الروح القدس الذى وحد الخليقه مع الابن الكلمه لن ينفصل عن العالم المخلوق مثل الذى منح التبنى للعالم المخلوق فلم يعودوا غرباء عن البنوه . فإذا ما نحن أخذنا هذا التبنى فإننا سوف نتحد مع الابن الكلمه الذى يعطى الخليقه نعمة مشاركة الطبيعة الالهية .

القديس أثناسيوس الرسولى

إن كل ما هو للآب هو للابن أيضاً . والاشياء الموهوبه لنا من الابن

هى خلال الروح القدس وهى نِعَمْ من الآب . وحينما يسكن فينا الروح القدس فإن الكلمة [المسيح] الذى يعطينا الروح القدس سيكون فينا أيضاً . والابن الكلمة هو واحد مع الآب .

القديس أثناسيوس الرسولى

لأن الروح القدس هو صانع كل الأشياء وهو الذى يملأ الكل بشخصه . وهو الذى يحتوى كل الأشياء ويملأ كل العالم بكيانه . ولكن لا يمكن للعالم إدراك قوة الروح القدس . ولكن الروح القدس هو الذى يمنح الصلاح للاشرار [إذا تابوا] لأن الروح القدس هو البر بالطبيعة وهو يقدس من ليس مقدساً . وهو غير محدود ولكنه يسكن فى المحدود . ويعطى شركة لمن ليس له شركة . ويملأ غير الممتلىء . وهو غير المحوى الذى يحتويه البشر . وهو الميراث الذى يمجد الانسان . وهو واحد مع الآب ومع الابن . وهو نار مثل الله لكى يعلن لنا ما أخذناه . وبسبب تجسد الابن الكلمه فإن الروح الخالق عن طريق المعموديه يخلقنا من جديد . والروح القدس هو الذى يعرف كل شىء ويعلمنا كل شىء . وهو يَهُبْ حيث يريد ويرغب . وهو يرشد ويتحدث . ويبعدنا عن الغضب والسقوط . وهو يكشف لنا نفسه . وهو النور والحياه الذى يشرق ويشتعل فينا . والروح القدس هذا هو الذى يكملنا عن طريق الشركة فى سر العماد . وهو يفعل كل الأشياء التى يفعلها الله . ويجعل كل الأشياء طاهرة ونقيه . والروح

القدس هو القوه الذاتيه غير المتغيره الضابط للكل وهو الذى يسمو فوق كل ذكاء وطهاره وخشوع .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

حينما تحصل المخلوقات العاقله على وجودها وكيانها من الله الآب وتحصل على عقلها من الكلمة وعلى قداستها من الروح القدس ، عندئذ تستطيع هذه النفوس أن تأخذ إمكانيات المسيح فى البر . لأن هذه النفوس تكون قد تقدست بالروح القدس . والذين تقدموا خلال التقديس فإنهم ينالون الحكمه بخلال قوة عمل روح الله . لأن الذين ربطهم الروح القدس مع الله فإنهم لن ينفصلوا عنه قط . لأن عمل الحكمه [المسيح] هو لكى يعلمهم ويقودهم إلى حياة الكمال عن طريق تقويتهم وإزدياد تقديسهم من الروح القدس . وخلال التقديس فقط فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى الله .

العلامة أوريجانوس

إن الروح القدس هو الذى يكمل المخلوقات العاقله ويتمم تفوقهم ويجعلهم على شبه الله ولن يعودوا يحيون بعد حسب الجسد « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » رو ٨ : ١٤ وسوف يدعون أبناء الله « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه »

رو ٨ : ٢٩ وعندئذ يصير ذلك الانسان إنساناً روحياً .

القديس باسيليوس الكبير

كما أن قوة البصر هى فى العين السليمه هكذا عمل الروح القدس هو فى النفس التى تطهرت . وهكذا يصلى بولس الرسول لأجل أهل أفسس حتى تستنير عيونهم بروح الحكمه « ذاكراً إياكم فى صلواتى كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمه والاعلان فى معرفته مستنيره عيون أذهانكم » أفسس ١ : ١٦ — ١٨

القديس باسيليوس الكبير

إنه يستحيل علينا أن نحمل صورة الله غير المنظور بغير إستنارة الروح . ويتعذر علينا أيضاً أن نثبت أنظارنا على الصورة الالهيه عن طريق إستنارة الروح . لأن سلامة الرؤية هو ضرورى مثل ضروريته لرؤية الأشياء الحسيه . وهكذا فإنه من المناسب والملائم أن تحل إشراقة المجد الالهى عن طريق إستنارة الروح للتعبير عن الصوره الالهيه وعندئذ سوف ينقاد اليه [إلى المسيح] كل من ختم ونقش عليه صورته وشبهه .

القديس باسيليوس الكبير

لا يمكن أن يعطينا الروح القدس أى نعمة منفصلاً عن كيان الله لأن موسى النبى يقول بصراحه أن الله بعد أن أوجد الانسان نفخ فيه روح

حياة . ويقول الرب يسوع إقبلوا الروح القدس . وموسى قال « نفخة حياة » لأن الطبيعة الالهيه هى الحياة الحقيقيه . لأن فيه نحن نوجد ونحيا ونتحرك . ويقول المخلص أن الروح القدس هو الذى يشهد له ويذكرنا بكل ما قاله وباختصار فإن الروح القدس هو الذى يقدم لنا المسيح . والروح القدس هو الذى يعيد طبيعتنا إلى حالتها الأولى حيث يعيد صياغتنا لنرجع إلى الصوره الأصليه خلال التقديس . وحينما يشكلنا الروح خلال التقديس فإننا نصير على صورة الله . وهكذا يقول الرسول بولس أنه يتمخض من أجل أولاده إلى أن يتصور المسيح فيهم . والمسيح يتصور فينا خلال الروح القدس الذى يعيد خلقتنا ثانيه على صورة الله . الروح القدس هو الله الذى يعيد صياغتنا لنكون على صورته ليس خلال أى نعمة ماديه ولكن خلال منحنا ذاته [أى الروح القدس] لنكون شركاء الطبيعة الالهيه لأولئك الذين يستحقون ذلك .

القديس كيرلس الاسكندرى

إن الروح القدس لا يعيدنا إلى صورة الله مثل من يرسم أى صورة مرئيه مرة أخرى . ولكن لأن الروح القدس هو الله وهو منبثق من الآب فهو نفسه يطبع فينا الصورة الالهيه بطريقه غير منظوره . وهو يطبع تلك الصوره فى قلوب أولئك الذين يأخذونه مثل الختم فى الشمع . وخلال الشركة والتشابه معه فإنه يشكل طبيعتنا بالتمام حسب صورة الأصل الجميله ، ويعيد صياغه الانسان مرة أخرى لتكون على صورة الله . كيف

يكون إذن هو الخالق ؟ لأن فيه تتحول طبيعتنا لتكون على صورة الله لكى نصبح شركاء مع الله .

القديس كيرلس الاسكندرى

قال أحد الأباء[16] :

١ ــ أنت ترى إذن أن أولئك الذين لا يمتلكون الروح هم أولئك الغير مؤمنين . لأن المسيح « لم يفعل خطيه ولا وجد فى فمه مكر » ١بط ٢ : ٢٢ لأنه إذا قال أنه يعطى الروح القدس لأولئك الذين يؤمنون به فإن أولئك الذين لا يمتلكون الروح القدس هم غير المؤمنين بقلوبهم .

٢ ــ إن التبنى خلال التجديد هو عمل الروح القدس الذى يجعلنا آلهه عن طريق التدبير والنعمه حتى ندعى وارثين لله ووارثين مع المسيح . حيث نرى الله ونرى المسيح نفسه يحيا فينا وفقاً لقدرته الالهيه ويتحرك حولنا بطريقه واعيه .

٣ ــ فى الواقع إن تعليم الروح القدس ينبع فينا كل المعرفه وكل الفطنه والحكمه والمعرفه الخفيه وقوة المعجزات ونعمة النبوه والتحدث بألسنه كثيره وتفاسيرها وحماية.وقيادة المدن المختلفة والناس وإدراك الخيرات العتيده ونوال ملكوت السموات ، والتبنى الالهى وأن نلبس المسيح

(١٦) الأب سمعان اللاهوتى .

ونعرف أسراره الخاصه بعمل الخلاص . ونستطيع أن نقول باختصار أن غير المؤمنين لا يستطيعون أن ينالوا كل ذلك . ولكننا نحن بعد نوال نعمة الايمان نستطيع أن نعرف ونفكر ونقول بأن كل هذا يأتى من تعليم الروح القدس .

٤ ـــ فى حالة الزيجه الروحيه مع المسيح فإن المسيحين يلتهبون بالروح القدس ، ويصيرون مشتعلين مثل النار فى نفوسهم ، ويحمل الانسان المسيحى نار الروح القدس أيضاً فى جسده . وعندئذ يصير الله ضرورياً للنفس مثل ضرورة النفس للجسد .

٥ ـــ إنك لن تستطيع أن تدرك الله مالم يكشف لك خلال الروح القدس . لأن الروح يعلمنا كل شيء ويشرق فينا بالنور الذى يفوق الوصف . وسوف يكشف لك الطريق العقلى والحقائق الواضحه على قدر ما تستطيع أن ترى ، وعلى قدر ما تستطيع أن تقبل . ووفقاً لقياس طهارة نفسك فإنك سوف تصير على شبه الله حينما تسلك بالتمام حسب كلامه ، ليس فقط فى ضبط النفس والشجاعة ولكن أيضاً فى محبته لبنى البشر ، وكذلك فى تحمل التجارب بصبر ، وفى محبتك لأعدائك . عندئذ فإن الخالق سوف يرسل لك روحه القدوس . أنا لا أتحدث إلا عن نفسك أنت وعن الروح الذى يأتيك من الله ويسكن فيك بالتمام . وهو سوف يشرق فيك ويرسل نوره ويجددك بالتمام . وأنت الفاسد يحولك إلى غير فاسد . وسوف يصنع فيك منزلاً جديداً بدلاً من ذلك المهجور أعنى منزل

نفسك . وسوف يجعل جسدك كله جسداً غير فاسد . وسوف يجعلك الهاً بالنعمه مشابهاً لمثالك .

• • •

ياللعجب ياللسر الفائق غير المعروف للكل . أما الذين هم مسجونون للشهوات . أنا أعنى أولئك الذين لم يحصلوا على طهارة القلب ، أولئك الذين لم يطلبوا القلب الملتهب بالروح القدس ، أولئك الذين لا يؤمنون أن الله يعطى الروح القدس للذين يطلبونه بالحق . لأولئك غير المؤمنين فإن الروح القدس لن يأتى اليهم . ولأنهم لم يولدوا من الله فهم يعيشون دون أن يحصلوا على الروح القدس ، ولم تفتح عيونهم بعد ولم يروا النور الالهى . ففى جرن المعموديه يشرق الروح القدس ويحتضن أولئك المستحقين الذين هم بداخل المعموديه . ولكن ما هو هذا الاستحقاق ؟ ! لأن الروح القدس هو الله فإنه يصبغ بالتمام أولئك الذين يأخذونه فى داخلهم ويجعلهم جدداً بالتمام . فهو يجددهم بطريقه عجيبه . وهكذا فإن الروح القدس غير الفاسد يعطى عدم فساد . ولان الروح القدس خالد فهو يعطى الخلود . ولأنه النور الذى لا ينطفىء قط فإنه يحول الذين يأتون اليه إلى نور ويحل فيهم . ولأنه هو الحياه فإنه يمنح الحياه للكل . ولأنه من نفس طبيعة المسيح وجوهره وله نفس المجد الذى للمسيح وهو أيضاً متحد معه فإنه يحول الذين يحل فيهم لكى يكونوا مشابهين للمسيح . والروح القدس هو المحسن الينا . وهو يريد أن يكون كل منا مثله تماماً .

فإذا فهمت ذلك فأسرع لكى تأخذ الروح الذى يأتى من الله وهو

مقدس لكى تصير وارثاً لملكوت السموات للأبد .

هكذا فإنه يجب على كل أحد أن يغصب نفسه لكى يطلب الرب لكى يجعله مستحقاً أن يأخذ ويجد الكنز السمائى للروح القدس لكى يكون قادراً بسهوله وبسرعه أن يكمل وصايا الرب بلا لوم وبكل كمال بعد أن كان قبلاً لا يستطيع أن يتممها بنجاح بغض النظر عن المحاولات التى يكون قد حاولها من قبل . ولكن الانسان الذى قد وجد الرب الذى هو الكنز الحقيقى عن طريق طلب الروح بايمان وصبر عظيم فإنه سوف يحصل على ثمار الروح القدس وسوف يكمل عندئذ كل البر وكل وصايا الرب التى أمره الروح القدس أن يفعلها بطهاره وبكمال وبلا لوم . هكذا أيضاً مع أولئك الأغنياء بالروح القدس فإنهم يمتلكون بالحقيقه زمالة الروح القدس فى أنفسهم . وحينما يتحدثون بكلام الحق فى أحاديثهم ومناقشاتهم لكى يعلموا الآخرين فإنهم يتحدثون من نفس الكنز المختبىء فيهم . ومن ذلك الكنز المختبىء فيهم فإنهم يعلمون الآخرين الذين يصغون إلى أحاديثهم . وهم لا يخافون من أن ينقص كنزهم الذى يمتلكونه فى أنفسهم ، ذاك الكنز السمائى للبر الذى منه يطعم أولئك الجياع الطعام الروحى .

القديس مكاريوس

٢ ـ الحلاوة والعذوبه :

قال أحد الأباء[١٧] :

لو أننا رغبنا فى القداسه بشوق فإن الروح القدس سوف يبدأ فى منح النفس ضميراً واعياً لكى يتذوق حلاوة الله . وسوف يعرف العقل ما هى المكافأة الأخيرة التى تحتويها الحياة الروحيه . ولكنه بعد ذلك سوف يخبىء هذه المكافأة الثمينه الممنوحه . ولو أننا أحرزنا كل الفضائل فإننا سوف نحسب أنفسنا كلا شيء لاننا لم تنل بعد الحب الالهى فى شكله الأخير .

والنفس سوف تجاهد فى كل ذلك لانها مازالت محتاجه إلى الحب الالهى ولأنها مازالت تحت المستوى العالى للحياه الروحيه فهى لا تستطيع أن تتذوق عمل ذلك الحب ولذلك كان عليها من الضرورى أن تغصب ذاتها على العمل حتى تستطيع أن تختبر الحب الالهى الكامل والواعى . لأنه لا يستطيع أى أحد أن يحرز كال الحب بينما مازال هو فى الجسد ماعدا أولئك القديسين الذين يجاهدون حتى الاستشهاد ويعترفون بإيمانهم بالرغم من كل الاضطهادات . لان الذى وصل إلى درجة الاستشهاد هذه فإنه يكون قد تحول بالتمام ولم يعد يحس بسهولة بأى رغبة جسديه أو ماديه .

وهكذا فإن أولئك الذين تقدموا نحو الكمال قد صاروا قادرين أن يختبروا ذلك الحب باستمرار . ولكن لا يستطيع أى أحد أن يختبر ذلك الكمال

---

(١٧) الأب ديداخوس Diadochus

مالم يخلع ذلك المائت [٢ كو ٥ : ٤] .

• • •

من ذا الذى يستطيع أن يصف حلاوة الشهد لأولئك الذين لم يتذوقوه ؟ إنه بالمقارنه يصير أصعب أن تشرح ذلك الحب الالهى لأولئك الذين لم يتذوقوه . هذه العذوبه الالهيه وذاك النبع الحى للفرح الذى ينبع من الصلاة الطاهرة الحقيقية التى للقلب حيث يقول الرب يسوع المسيح « الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديه » يو ٤ : ١٤ هذه الحلاوه الروحيه هى فى نفس الوقت شعاع من النور وجمال غير مدرك وهى الرغبة القصوى للمعرفه الالهيه وهى سر مشاركة الطبيعة الالهيه . وهى تبقى غير معبر عنها حتى بعد التعبير عن جزء منها وغير معروفه حتى بعد معرفة جزء منها وغير مدركه حتى بعد إدراك جزء منها .

وهذا ما قاله القديس باسيليوس الكبير [إن جمال الله لا يمكن التعبير عنه أو وصفه لأنه يشرق مثل النور . ولا تستطيع أى كلمه أن تصفه ولا أى أذن أن تستلمه . وإذا ما نحن وصفنا نور الفجر أو وضوح نور القمر أو إشراق أشعة الشمس فإنه ليس شىء من كل هذا يمكن مقارنته مع مجد النور الحقيقى . ولن تصير هذه التشبيهات أكثر من عمق الليل وإضطراب الظلام بمقارنته مع وضوح نور النهار] .

وحينما تدرك العين الجسديه هذا الجمال غير المرئى وحينما تتقبل النفس والفكر ذلك النور الالهى فإن الانسان سوف يصرخ لان الحياة الأرضية قد

خدعته وسيقول « ويلى لغربتى فى ماشك لسكنى فى خيام قيدار » مز ١٢٠ :٥ .

إن الذين لديهم الفهم الروحى للتأمل فى الجمال الالهى يصلون من أجل رؤية الجمال الالهي وإستمراره حتى الأبديه .

رهبان منطقة كالستوس

إنك تقول أنك تخاف من عدم القدره على نوال الحب الروحى ولكنك بالتأكيد لا تقدر أن تفكر أنك تستطيع أن تفعل اى شيء . نحن نصلى لا لنحصل على حلاوة الروح ولكننا نصلى لأن هذا هو واجبنا فى الصلاة لخدمة الله . أيضاً فإن الحلاوة الروحيه لازمه مع الخدمه الحقيقيه .

إن الأمر الضرورى فى الصلاة هو أن نشعر بوقوفنا أمام الله فى خشوع ورهبه وبفكر ثابت متحد مع القلب . وهذا الخشوع هو الذى يولد إنسحاق القلب أمام الله . وهذا الاحساس بالخوف والنوح أمام عين الله هو الذى يقود إلى القلب المنسحق والمتواضع الذى هو من ضروريات الصلاة القلبيه الداخليه ولتذوق كل صلاة أخرى . وعندئذ نستطيع أن نحكم ما إذا كانت صلواتنا رفعت كما يجب أم لا ؟ فالعلامه على الصلاه المقبوله هى وجود الانسحاق والاتضاع . أما إذا كان الانسحاق والاتضاع غير موجودين فإن الصلاة لا تكون مقبوله ويجب أن نرجع ثانيه لنتعلم الصلاة .

فإذا كان ينقصنا هذا الانسحاق والتذلل فإن هناك كبرياءاً روحياً يقودنا

إلى الخداع الضار المؤذى وعندئذ سوف تتبدد الحلاوة والدفء ويبقى فقط تذكارها وسوف يخيل للروح أنها تمتلك الانسحاق والاتضاع . ولذلك عليك أن تخاف من هذا وعليك أن تضاعف وتزيد فى قلبك خوف الله والاتضاع والسجود المنسحق أمام الله وأن تسير دائماً فى حضرة الله لان هذا هو جوهر الموضوع .

القديس ثيوفان الناسك

قيادة الروح القدس :

١ ــ الافراز :

إن الافراز فى المبتدئين هو المعرفه الحقيقيه وفى النفوس المتوسطه هو الحواس الروحيه التى بلا خطأ التى تميز بين الخير الحقيقى وبين الشر . وفى الكاملين هى المعرفه التى يمتلكونها عن طريق الاستناره الالهيه والتى يستنير بنورها كل ما هو مظلم فى الآخرين .

وبصفة عامه فإن الافراز هو الفهم الأكيد للاراده الالهيه فى كل مناسبه وفى كل مكان وفى كل أمر . وهى توجد فقط فى أولئك الأنقياء فى قلوبهم وفى أجسادهم وفى أفواههم .

يوحنا الدرجي

وهنا مشتملات الافراز :

١ ـ الطاعه	١٣ ـ العمل اليدوى الشاق
٢ ـ الصوم	١٤ ـ انسحاق النفس
٣ ـ لبس المسوح	١٥ ـ التذلل
٤ ـ الرماد	١٦ ـ نسيان أخطاء الآخرين
٥ ـ الدموع	١٧ ـ المحبة الأخويه
٦ ـ الاعتراف	١٨ ـ الوداعة
٧ ـ الصمت	١٩ ـ بساطة الايمان
٨ ـ الاتضاع	٢٠ ـ التحرر من الاهتمامات العالميه
٩ ـ السهر	٢١ ـ الانفصال عن الأقارب [للرهبان]
١٠ ـ الشجاعة	٢٢ ـ التجرد
١١ ـ احتمال البرد	٢٣ ـ البساطة البريئه
١٢ ـ الألم	٢٤ ـ قبول الاهانات

إن الافراز هو نظام جيد للمتقدمين ودليل تقدمهم هو عدم وجود المجد الباطل والتحرر من الغضب والرجاء الصالح والصمت والتذكار الدائم فى الدينونة والشفقه وأضافة الآخرين والاعتدال فى تأنيب الآخرين والصلاة التى بلاألم وإهمال الذات .

يوحنا الدرجى

إن العقل الروحى مرتبط دائماً بالفهم الروحى . وسواء كان هذا الفهم

الروحى فينا أم لا فإننا يجب ألا نكف عن طلبه . وعندما يأتى الينا هذا الفهم الروحى فإن الحواس الخارجيه سوف تكف عن عملها الطبيعى ، وكما قال أحد الأباء : عندئذ سوف نحصل على الحواس الروحيه .

يوحنا الدرجى

كما قد يحدث أننا نلتقط ضفدعه حينما نرفع المياه من البئر هكذا أيضاً كثيراً ما نخطىء ونسقط فى الرذيله حينما نريد ان ننال الفضيله وكثيرا ما تشتبك الرذيله مع الفضيله دون أن ندرى ، مثلما يحدث أن تشتبك الشراهه مع إضافة الغرباء ، والشهوه مع الحب ، والمكر مع الحكمه ، والخبث مع الشكر ، وكثيراً ما يختلط النفاق والتسويف والكسل والعناد وتصلب الرأى وعدم الطاعه مع الوداعه . وكثيراً ما يختلط إحتقار الأوامر مع الصمت ، والغرور مع الفرح ، والتراخى مع الرجاء ، والحكم القاسى مع المحبه ، واليأس والكسل مع الهدوء ، والمراره مع الطهاره ، والشهره مع الاتضاع . وفوق كل هذا يجب أن نشفى من السم الذى يتبع المجد الباطل .

يوحنا الدرجى

إن الرذيلة أو الشهوه لم توجد أصلاً فى طبيعتنا ، لأن الله لم يخلق

الشهوات ، ولكنه أوجد فينا طبائع كثيره من الفضائل من بينها الرحمة والشفقه للجميع حتى للوثنيين ، والحب حتى للحيوانات الخرساء ، والبكاء على ضياع أى أحد ، والايمان الذى ينبع من داخلنا ، والرجاء وطلب الأفضل . والحب هو الفضيله الطبيعية التى فينا التى هى « تكميل الناموس » رو ١٣ : ١٠ والذى يعتذر عن نوال الفضائل بسبب عدم قدرته فإنه سوف يخجل ويخزى .

يوحنا الدرجى

فى كل فهمك وطرق حياتك وسلوكك فى امورك الخارجية أو الروحية إجعل هذا هو قانونك وإسأل نفسك دائماً هل أنا أصنع هذا الأمر وفقاً لمشيئة الله أم لا ؟ وعلى سبيل المثال اقتن الاتضاع فى عمل الأشياء سواء كانت أشياء بسيطه أم عظيمة لأن النمو فى الاتضاع هو إكمال لارادة الرب خصوصاً بالنسبة لنا نحن الذين مازلنا صغاراً فى الحياة الروحيه . أما المتوسطون فى حياتهم الروحية فإن الأختبار هو توقف الاضطراب الداخلى . أما الكاملون فالاختبار هو زيادة النور الالهى فيهم .

يوحنا الدرجى

إن الذين يريدون أن يتدربوا على تنفيذ مشيئة الرب يجب أولاً أن يقمعوا إرادتهم الخاصه ، وعندئذ يصلون إلى الله بإيمان وبساطة مخلصه ، ثم سؤال الأباء والأخوه بإتضاع قلبى وبدون أى أفكار شك وعندئذ يقبلون نصيحتهم

كما لو كانت من فم الله ، حتى لو كانت نصيحتهم هي عكس رغبتهم ، وحتى لو كان هؤلاء الذين ينصحونهم أشخاصاً غير روحيين . لأن الله ليس بظالم وسوف لا يطرح نفوسهم البريئه المتواضعه التى تخضع لنصيحة وحكم الآخرين ، حتى لو كان أولئك الذين يسألونهم مثل الحيوانات المتوحشه . لان الله هو الذى يتحدث بطريقة غير مرئيه على أفواه الذين ينصحونهم .

وهكذا فإن الذين يسلكون بهذه القاعده بدون أى شك فإنهم يمتلئون باتضاع عظيم لأنه إذا عبر أى أحد عن ضيقته عن طريق الحان العود فإنه سوف يتعزى « أميل أذنى إلى مثل وأوضح بعود لغزى » مز ٤٩ : ٤ فكم وكم يكون تعليم ونصيحة العقل الناطق والنفس الناطقة التى هى أكثر قدره من الجماد .

يوحنا الدرجى

الافراز هو نور فى الظلمة ، وهو رجوع الانحراف إلى الطريق ، وإشراق النور فى الذين إظلمّ نورهم . الإنسان الحكيم يجد فى الافراز صحه حيث يتبدد المرض .

يوحنا الدرجى

إن الله ليس هو خالق الشر وسبب وجوده . والذين يقولون بأن

الشهوات هى جزء من طبيعة النفس فإنهم مخدوعون ولا يعلمون أننا بذلك نكون قد حولنا أصلنا الطبيعى إلى شهوات . وعلى سبيل المثال فإن الطبيعة قد أوجدت فينا الاحتياج إلى النسل ولكننا قد حولنا هذا الاحتياج إلى شهوة الزنا . وقد أوجدت فينا الطبيعه الغضب ضد الخطيه ولكننا إستخدمنا ذلك ضد أخوتنا . والطبيعة أوجدت فينا المنافسه من أجل الحصول على الفضيله ولكننا نجرى وراء الشر . إنها طبيعة النفس أن تشتاق إلى المجد ولكن هذا المجد هو المجد الالهى الذى فى الأعالى . إنها الطبيعة التى تعلمنا الجهاد ولكن الجهاد ضد الشياطين . إن الفرح أيضاً هو جزء من طبيعتنا ولكن الفرح فى الرب وفى سلام أخوتنا . إن الطبيعة أوجدت فينا أيضا الغضب ولكن لكى نستخدمه ضد الشياطين أعداء نفوسنا . لقد منحنا الله الرغبة فى السرور ولكن ليس للخلاعه والفجور .

يوحنا الدرجى

إن النفس العمّاله تجعل الشياطين يقومون ضد بعضهم بعضاً . وعلى قدر ما تزداد التجارب فينا على قدر ما تزيد أكاليلنا . والذى لا تحاربه الشياطين فإنه لن يكلل قط . ولكن المجاهد الذى لا يفشل ولا ييأس بل يتغلب على أخطائه العارضه فإن الملائكه سوف تمجده كبطل .

يوحنا الدرجى

إن الشيطان عدونا لديه عاده خبيثه قديمه وهى تشكيل وتنويع خططه

فى الهجوم على أولئك الذين بدأوا فى الجهاد الروحى . فهو يغير طريقة هجومه باستخدام أسلحة متنوعه ضدهم وذلك عن طريق تغيير نفسه فى نوايا الناس .

والطريقة الأولى لهجوم العدو لأولئك الكسالى فى ارادتهم والضعفاء فى أفكارهم هى عن طريق التجارب الشهوانية الشديده والعنيفه . وإن الشيطان يفعل ذلك لكى يخيفهم من طريق الجهاد الروحى ليجعل الطريق صعبا وشاقاً لهم وليجعلهم يقولون : إذا كانت بداية الطريق هكذا صعبة وقاسية فهل يستطيع أى أحد أن يحتمل إلى النهاية جميع التجارب التى تأتى عليه . والوسيلة الثانية للهجوم الشيطانى على أولئك الذين يرى الشيطان أنهم مملوءون من الشجاعة ويحتقرون الموت ويؤدون أعمالهم بكل حماس هى أنه لا يذهب أولاً لكى يقابلهم ولا يدخل معهم فى معارك لمعرفتهم الشديده بأن المجاهد الحماس ليس سهلاً أن يهزم . ولكن حينما يتركون أفكارهم هذه ويعتمدون على ذواتهم فإنهم يبدأون فى الهزيمة عن طريق خداع الفكر الذى ينبع من أنفسهم ، وعندئذ يبدأون فى الهلاك عن طريق إنحراف أفكارهم التى تأتى من الكسل ثم يبردون فى أفكارهم وقلوبهم وعندئذ يهاجمهم الشيطان بدون أى شفقه .

أما الطريقة الثالثه لهجوم العدو فهى هذه : حينما يرى أن الأنسان قد نال قوه من الله مكافأة على حماسه ودعوته لله بإيمان فإنه يحاول أن يجد طرقاً أخرى لكى يجعل الملاك الذى يساعد ذلك المجاهد ينسحب ويتركه . ولذلك يبدأ يزرع فيه أفكار الكبرياء لكى يجعله يظن أنه بقوته الخاصه

جعل نفسه آمنا من خصمه وعدوه .

أما الوسيله الرابعة التى يستخدمها عدونا فهى الهجوم الدائم على الانسان خلال إحتياجات الطبيعه [الجوع والغريزه الجنسيه] ولكن طالما يدرك ذلك الانسان ضعفه وشعوره الحقيقى فإنه للحال يحفظ نفسه من الكسل ويصير واعياً . ولكن لا يستطيع أى أحد أن يدرك ضعفه إلا إذا سمح له الله بالتجارب البسيطه الجسديه أو النفسيه أن تحاربه ، وعندئذ ينال التحرر من تلك التجارب ، لأنه سوف يرى بوضوح حقارة مجهوده وما وصل اليه . وسوف يكتشف أن حرصه وزهده وحراسته لنفسه التى خلالها يجد الأمان لن تفيده ، وأن خلاصه لن يأتى من كل جهاده الذاتى ، وسوف يدرك أنه لا شيء بامكانياته الشخصيه ولكنه سوف يخلص بمعونة الله فقط .

مار اسحق السريانى

كما تعيق السحب وصول نور الشمس إلى الأرض هكذا النفس التى إنحرفت لمده من الزمن عن العزاء الروحى فإن الظلمه الداخليه عندئذ تملأ النفس ، وعندئذ يظلم نور النعمه بسبب سحاب الشهوات التى تغطى النفس . وبسبب إنعدام الفرح فى داخلك فإن العقل يكون قد غطى بظلمه غير مألوفه ، وعندئذ لا تضطرب أفكارك ، ولكن أصبر وتأنى وإقرأ كتب الأباء المعلمين وإغصب نفسك على الصلاة وإنتظر المعونه وهى ستأتى سريعاً . وكما أن الأرض تمتلىء من أشعة الشمس التى تبدد كل

السحب ، هكذا الصلاة تبدد كل سحب الشهوات التى فى النفس وتضىء العقل بنور التعزيه والفرح .

مار اسحق السريانى

٢ ـــ الأحـــلام :

قال أحد الأباء[١٨] :

إن الأحلام التى تظهر للنفس خلال محبة الله هى بلا خطأ وهى معيار لسلامة النفس . وهذه الاحلام لا تتغير من شكل لآخر . وهى لا تزعج حواسنا الداخلية وليس لها صدى مع أى سخريه ولا تتحول فجأه إلى تهديد . ولكن بهدوء عظيم تقترب تلك الاحلام إلى النفس وتملأها بالبهجه الروحيه . والنتيجه أنه بعد يقظه الجسد فإن النفس تستحق الفرح المعطى لها عن طريق الأحلام .

أما الخيالات الشيطانية فإنها على العكس من ذلك لا تبقى فى نفس الشكل ولا تدوم على نفس الصوره لمدة طويله . لأن الشياطين لا يمتلكون أى صوره من صور الحياه لأنهم قد ورثوا الخداع . ولا يمكن أن ترضى الاحلام الشيطانيه نفوسنا لمده طويله لأنهم يصيحون ويهددون وهم غالباً ما يحولون ذواتهم إلى شكل جنود وأحياناً يزعجون النفس بصراخهم . ولكن

---

(١٨) الأب ديداخوس .

حينما يتنقى العقل فإنه يدرك خداع الشياطين بمعرفة حقيقتهم حيث تتحدى وتثير فى النفوس الغضب .

ولكن قد يحدث أن الاحلام الجيده لا تجلب فرحاً للنفس ولكن تزرع فى النفس حزناً مقبولاً ودموعاً غير مصحوبه باليأس ولكن هذا يحدث فقط للنفوس التى تقدمت جداً فى التواضع .

وبعد أن ميزنا بين الاحلام الجيده والرديئه كما سمعنا ذلك من الذين لهم خبره . ولكن فى طلبنا للطهاره فإن القانون الآمن هو ألا نثق فى أى شيء يظهر لنا فى الاحلام . لأن الاحلام ليست أكثر من خيالات تعكس أفكارنا المنحرفه أو هى إنعكاس لخبث الشياطين .

وحتى لو أن الله فى صلاحه أرسل لنا بعض الرؤى ونحن قد رفضناها وفقاً لهذا القانون فإن الرب يسوع الحبيب لن يغضب منا وهو يعرف أننا نسلك فى طريق رفض جميع الأحلام بسبب حيل الشياطين . وأيضا التمييز بين الأحلام كثيراً ما نخطيء فيه .

• • •

٣ ـ القلب :

القلب هو الإنسان وهو الروح الداخلى . فى القلب توجد اليقظه والضمير وفكر الله وإتكال الانسان الكامل على الله وكل الكنوز الأبديه التى للحياه الروحيه .

ولكن أين يوجد القلب ؟ حيث يوجد الحزن والفرح وكل الأحاسيس والانفعالات يوجد القلب . قف فى القلب بكل إنتباه ، ولتقف فى القلب بإحساس وجود الله فيه ولكن كيف يوجد الله فى القلب ؟ لا تفحص ذلك ولكن أطلب وتوسل إلى الله أن يمنحك فى الوقت المناسب أن يسكب حبه فيك بالنعمة التى يعطيها لك .

القديس ثيوفان الناسك

إن نعمة الله تنقش فى القلب قانون الروح ، ولذلك نحن لا نضع ثقتنا فقط فى الكتاب المقدس المكتوب ولكن أيضاً فى النعمه الالهيه المكتوبه فى ألواح قلوبنا « لا فى ألواح حجريه بل فى ألواح قلب لحميه » ٢ كو ٣ : ٣ . وهذا هو قانون الروح والأسرار السمائيه ، لأن القلب يقود ويسود على كل أعضاء الجسد . وحينما تنسكب النعمه على القلب فإنها تسيطر على كل الأعضاء والأفكار ، لأنه فى القلب يسكن الفكر وأيضاً كل أفكار النفس وكل رجائها وهكذا تخترق النعمه كل أعضاء الجسد .

من عظات القديس مقاريوس

نحن نخضع لتأثيرات القلب العميقه ، ولذلك نحن نصل إلى معانى الكتاب المقدس ليس بقراءة النصوص ولكن بممارسة ما فيها . ولذلك فإن عقلنا سوف يصل إلى الصلاه غير الفاسده حيث لا ينطق بأى كلمه ولكن بعمل القلب الملتهب الذى ينتج من نشوة القلب عن طريق فطنة الروح التى لا يمكن تعليلها . وعندئذ يعال العقل من النعمه بدون أى

مساعده من الحواس أو أى شيء مادى ملموس . وعندئذ يصرخ الانسان وينسحق لله بأنات لا ينطق بها .

القديس يوحنا كاسيان

قال أحد الأباء[١٩] :

حينما نقرأ فى كتابات الأباء القديسين عن مكان القلب حيث يتحد به العقل فى الصلاة ، فإننا يجب أن نفهم أن المقصود من ذلك هو العمل الروحى للقلب الذى أوجده الله الخالق فى الجزء العلوى من القلب . وهذا العمل الروحى للقلب هو الذى يميز القلب البشرى عن قلب الحيوانات . لأن الحيوانات لها عمل الرغبة والارادة والغضب مثل الانسان تماماً . أما العمل الروحى فى القلب فهو يختلف عن ذلك تماماً وهو يختلف عن العقل لأنه عمل الحب نحو الله ونحو الآخرين وفى شعور التوبه والاتضاع والوداعه وانسحاق الروح والحزن العميق على خطايانا . فهذه الاحاسيس الروحيه غير موجوده نهائياً لدى الحيوانات . ومعنى اتحاد العقل مع القلب هو إتحاد الافكار الروحيه النابعه من العقل مع الأحاسيس الروحيه التى للقلب .

٤ ـــ العنايه الالهيه :

تأكد أن الله الذى يحميك هو دائماً معك . وهو مرافق لكل الخليقه .

---

(١٩) الأب أغناطيوس الروسى .

وإنك تحت قيادة ذاك الذى يرفع أحدى يديه ويعطى أمراً فيطاع وهو الذى يعطى حركة لكل الأشياء . ولذلك قف فى الصلاه بثبات وكن فرحاً لأنه لا يستطيع أن يتحرك ضدك الشياطين ولا الحيوانات المتوحشه ولا الناس الأشرار ولن يقدروا أن يحطموك مالم يسمح الله الحاكم بذلك ويعطيهم حداً لا يتخطونه . لذلك قل لنفسك : إنه يوجد من يحمينى ويحرسنى . ولا يمكن لأى خليقه أن تقوم ضدى مالم تأخذ تصريحاً بذلك من فوق . وإذا كانت هذه هى إرادة سيدى أن يسمح للأشرار بأن يحكموا الخليقه فإننى سوف أقبل ذلك بدون أى حزن لأننى أريد أن أكمل إرادة الرب .

وبهذه الطريقه فإنك سوف تمتلىء بالفرح وسط التجارب والالام . وتأكد أن يد الله هى التى تحكمك ولذلك قوِ قلبك بأن تثق فى الرب .

مار اسحق السريانى

إرفع عينيك دائماً للرب . لأن رعاية الله وحمايته تغطى كل البشر ولكنها غير مرئيه ولكنها تظهر فقط لأولئك الذين ينقون ذواتهم من الخطيه ويفكرون فى الله ولا يذكرون سواه . وقد يسمح الله لهم بدخول التجارب ولكنهم يدركون أيضاً رعاية الله كما لو كانوا يرونها بالعين الماديه وفقاً لمقياس معين ، حيث تقود رعاية الله كل أحد للشجاعة فى وقت التجارب مثل يعقوب ويشوع والثلاثة فتيه وبطرس وكل القديسين حيث أن رعاية الله قد ظهرت

لهم فى صور بشريه لكى تقويهم وتثبتهم فى البر .

مار اسحق السريانى

على قدر ما يرفض الانسان كل معونة بشرية وكل أمل بشرى ويتبع الله بالايمان وبالقلب النقى فإن النعمه سوف تتبعه وتظهر قوتها فى مساعدته بكافة الطرق . وتظهر النعمه أولاً فى قوة الأشياء المنظوره وهى تساعد الانسان برعايته لكى يختبر رعاية الله التى ترعاه . وبعد أن يختبر الانسان رعاية الله فى الأمور الجسديه المنظوره فإن سوف يحصل بعد ذلك على المعونه فى الأمور الخفيه .

لان النعمه تجعل الضيقات كأنها لا شىء ولذلك يسهل على الانسان (عن طريق النعمه) أن يتعرف على معنى وهدف الضيقات والعلاقة المتبادلة بين الضيقات وخداعاتها . وكيف تقوم التجارب من واحد لآخر وتؤذى النفس . وأن النعمه تضع أمام عينى الانسان خزى حيل الشياطين ، وأن تعرف ذلك الانسان ما يجهله من التجارب . والنعمة تقود الإنسان أن يطلب من الله الخالق عن طريق الصلاة من أجل كل شىء سواء كان عظيماً أو بسيطاً .

مار اسحق السريانى.

٥ ـ بناء جسد المسيح :

قال أحد الأباء[٢٠] :

إن البشر من رجال ونساء وأولاد ينقسمون إلى أجناس وأمم ولغات وأسلوب حياة وعمل ومعرفة وشرف وحظ . ولكن الكنيسه تعيد خلقتهم فى الروح وتتعامل معهم بطريقه الهيه . وكلهم يأخذون من الكنيسة طبيعة متماثله لا يمكن أن تقهر بل الكل يتحد ولا ينفصل أى أحد عن تلك العلاقه . والكل يتحدث مع الآخر ببساطه وبقوة إيمان غير منقسم . لأن المسيح هو الكل فى الكل الذى يحوى الكل فى نفسه . ولا يصير عداوه بين أحد وآخر ولا يشعر أى أحد أنه غريب عن الجماعه حيث يظهر كل أحد محبته وسلامه للآخرين .

(٢٠) الأب مكسيموس المعترف .

الفصل الخامس
تدريب الإنسان على التعاون

أولاً : الحرب الروحيه :

١ ــ المعركة الروحية .

٢ ــ الاعتزال .

٣ ــ الفضيله .

٤ ــ الصوم .

ثانياً : الخطايا الثمانيه الرئيسيه :

١ ــ الضمير.

٢ ــ المجد الباطل .

ثالثاً : الأفكار الجسدية :

١ ــ التجارب .

٢ ــ الأفكار .

رابعاً : طهارة القلب .

الفصل الخامس

تدريب الإنسان على التعاون

« لأعرفه وقوة قيامته وشركة الامه متشبهاً بموته . لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات . ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع . أيها الاخوه أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع . فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » .

فى ٣ : ١٠ ـــ ١٥ .

أولاً : الحرب الروحيه :

١ ـــ المعركة الروحيه :

قال أحد الأباء[٢١] :

الذى لم يحصل على الاسلحه الروحيه فإنه لن يستطيع أن يقف فى يوم

---

(٢١) الأب سمعان اللاهوتى .

المعركه « البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس » أفس ٦ : ١١ . أما من يفقد تلك الاسلحه فإنه لن يستطيع أن يحيا فى سلام وحريه . لأن الحرب التى فى داخل أنفسنا ليست مثل الحرب والاسلحه التى خارجها ولكنها أقسى منها جداً . وكما يستخدم البشر الاسلحه ضد بعضهم بعضاً وهم يحيطون أنفسهم بالقوه ويحرسون ذواتهم هكذا أيضاً الحرب الروحيه . ولكن هناك فرق بين الحرب الروحيه والحرب العالميه لأن الحرب الروحيه هى دائمه وبلا توقف وجنود المسيح يجب أن يتسلحوا دائماً بأسلحتهم ليلاً ونهاراً وكل لحظه حتى وقت الاكل والشرب « فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » ١ كو ١٠ : ٣١ إن عدونا لا نشعر به ونحن نواجهه وهو دائماً يحاربنا حتى لو أننا لا نراه . وهو دائماً يتطلع الينا حتى إذا ما وجد بعضاً من أعضائنا غير محميه فإنه يغتابها بأسلحته ويقتلنا . ومن يريد حماية نفسه لا يجب أن يستريح ومن يريد أن يخلص لا يجب أن يهرب . ولما كانت التجارب ضروريه فيجب أن نواجهها إما بالنصره والحياه أو بالهزيمه والموت .

قال أحد الأباء[٢٢] :

إن الذين يريدون أن يسيروا فى الحياة الروحيه لابد أن يدخلوا الحرب الروحيه القاسيه فى كل لحظه خلال أفكارهم . وهذه هى الحرب الروحيه

(٢٢) الأب يوحنا من كرونستات .

أن كل نفوسنا يجب أن تحمل كل لحظه العين النقيه التى تستطيع أن تلاحظ وترى الافكار التى تدخل إلى قلوبنا من الشيطان لكى تطردها . ويجب أن يشتعل القلب دائماً بالايمان والحب حتى لا يجد الشيطان أى مدخل الينا فيهزمنا بالخطيه ويصبح من الصعب نزعها حتى بالدموع . فلا تسمح لقلبك أن يفتر خصوصاً وقت الصلاة . وتجنب كل حين خطورة عدم اللامبالاه ، لأننا كثيراً ما نصلى بشفاهنا ويكون القلب منحرفاً وغير مؤمن أو ضعيفاً فى الايمان . وهكذا كثيراً ما يتظاهر البشر أنهم قريبون من الله بشفاههم ولكن قلوبهم تكون بعيده عن الله . وخلال صلواتنا فإن الشيطان يبذل كل جهده أن يبرد قلوبنا ويملأها بالخداع فى كل أمر . لذلك صلِ وقوِ نفسك وقوِ قلبك ولا تخف من التجارب ولا تهرب منها . لأنه حيث لا يوجد جهاد لا توجد فضيله . وحيث لا توجد تجارب من أجل الايمان والحب فلا يمكن أن يوجد الايمان أو الحب . لأن إيماننا وثقتنا وحبنا يتبرهن ويظهر فى المقاومات والصعوبات والأحزان الخارجيه والداخليه والظروف والأعواز .

٢ ــ الاعــتزال :

من أقوال يوحنا الدرجى فى الوحده ما يلى (+) :

١ ــ إعتزال الجسد هو المعرفه وثمرة التعود والشعور . وإعتزال النفس هو معرفة الانسان لأفكاره وهو العقل الحصين .

٢ ــ صديق العزله هو الشجاعه والقوه الثابته للأفكار التى تحفظ السهر

(+) خاصة بالرهبان

على باب القلب وتطرد وتقاوم كل الأفكار الشريره التى تأتى :
والذى يحيا فى عزلة القلب سوف يفهم أموراً كثيره أما الذى مازال طفلاً فإنه يصير جاهلاً وغير واعٍ بها .

٣ ــ بداية العزله هى طرح كل انزعاج خارج النفس ونهاية العزله هو عدم الخوف من أى انزعاج وأن يبقى الانسان لا يحسّ بها ، بل حتى لو خرج خارج عزلته بدون أن ينطق بكلمه فهو شفوق ومقدسٌ ونبع للمحبه وهو لا يبدأ بالحديث ولا يتحرك بالغضب .

٤ ــ إن قلاية المتوحد هى سجن لجسده . ولكن يشرق فيه شعاع المعرفه .

٥ ــ إن الاعتزال مناسب فى الوقت المناسب إذا كان هناك مرشد . لان حياة الرهبنه الملائكيه تحتاج إلى الوحده والعزله وأنا أعنى الوحده الجسديه والنفسيه والروحيه .

٦ ــ الذى إختبر حياة الوحده فإنه دخل إلى عمق الأسرار لأن أذن المتوحد تسمع من الله كلمات عجيبه وكما يقول سفر أيوب « ثم الىّ تسللت كلمة فقبلت أذنى منها ركزاً . فى الهواجس من رؤى الليل عند وقوع سبات على الناس . أصابنى رعب ورعده فرجفت كل عظامى . فمرت روح على وجهى . إقشعر شعر جسدى . وقفت ولكنى لم أعرف منظرها شبه قدام عينىّ سمعت صوتاً منخفضاً ... » أى ٤ : ١٢ ــ ١٨ .

٣ ـ الفضيله :

تخيل الفضيله كما تتخيل الجسد . وتأمل فيها كما تتأمل النفس . والأثنان [الجسد والنفس] كلاهما يكونان الرجل الكامل الذى صار واحداً بالروح لكلا جزئيه اللذين هما الجسد والنفس .

وكما أنه يصعب على النفس أن تعلن وجودها بصوره جسديه هكذا يستحيل أيضاً على النفس أن تصل إلى التأمل بدون العمل النشيط فى الفضيله .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٢٢] :

الذى تقدم فى الفضيله وإمتلأ بالمعرفه فإنه يرى الأشياء كما وجدت فى طبيعتها . وهو يقول ويفعل كل شىء بفهم ولا ينحرف عن ذلك . لأننا نصير فضلاء أو خطاه وفقاً لاستخدام الاشياء بحكمه أم بغباء .

إن بعض الفضائل خاص بالجسد والآخر خاص بالنفس . أما الفضائل الخاصه بالجسد فهى الصوم والسهر والنوم على الأرض العاريه والخدمه والعمل اليدوى حتى لا يصير الانسان عبئاً على الآخرين وحتى يستطيع أن يعطى صدقه . أما فضائل النفس فهى المحبه والشهامه والوداعه وضبط

(٢٢) الأب مكسيموس المعترف .

النفس والصلاه . وإذا لم نقدر أن نمارس الفضائل الجسديه بسبب المرض أو ضعف الحاله الجسديه فإن الرب الذى يعرف السبب سوف يغفر لنا ذلك بلطفه ولكن إذا لم نمارس فضائل النفس فإنه لا يوجد لدينا عدر فى ذلك لانه لا يوجد أى عائق لذلك .

• • •

إن ربنا يسوع المسيح هو مصدر كل الفضائل . لان البشر الذين لهم شركة مع الله هم الذين يحرزون الفضائل لأن الله نفسه هو أساس كل الفضائل .

نحن نبدأ بالفضائل الخارجيه الخاصة بالنسك وممارساته ثم نبدأ فى الفضائل الأخرى التى ترتبط بعضها ببعض . مثل الصلاة التى تعتمد على المحبه والمحبه تعتمد على الفرح والفرح يعتمد على الوداعه والوداعه تعتمد على التواضع والتواضع يعتمد على الخدمه والخدمه على الرجاء والرجاء على الايمان والايمان على الطاعه والطاعه تعتمد على البساطه . وهكذا الرذائل التى هى عكس هذا فإنها مرتبطه بعضها ببعض مثل الكراهيه التى هى مرتبطه بالغضب والغضب بالافتخار والافتخار بالمجد الباطل والمجد الباطل بعدم الايمان وعدم الايمان بقساوة القلب . وهكذا فإن الرذائل متداخله مع بعضها مثل الفضائل المتداخله والمعتمده على بعضها .

القديس مكاريوس

إن الفضائل تريد أن نريدها فقط لانها موجوده فينا وتنبع من داخلنا . والفضائل توجد حينما تحتفظ النفس بحالتها التى خلقت عليها . وهى تحتفظ بحالتها الطبيعيه حين تبقى على حالتها التى وجدت عليها وحينئذ ترجع إلى حالة الكمال والاستقامه والجمال . لأن النفس تصير مستقيمه حينما يكون العقل فى حالته الطبيعيه التى خلق عليها . ولكن حين تنحرف النفس عن حالتها الطبيعيه فهذه هى التى تدعى الرذيله .

القديس أثناسيوس الرسولى .

٤ ــ الصــوم :

إن المخلص بدأ عمل خلاصنا بالصوم . وهكذا فإن كل الذين يتبعون خطوات المخلص يبنون على هذا الأساس بداية إحتمالهم . لان الصوم هو السلاح الذى أسسه الله . من ذا الذى يهرب من اللوم إذا ما أهمل الصوم ؟ إذا كان واضع الناموس قد صام فكيف يعتذر عن الصوم أولئك الواجب عليهم أن يصوموا ؟ وهذا هو السبب الذى لأجله لا ينتصر جنس البشر . وبسبب الصوم لا يستطيع الشيطان أن يهزمنا لأنه عن طريق سلاح الصوم قد نزع من الشيطان كل قوة خارجيه . وحالما يرى الشيطان أى أحد منا يمتلك هذا السلاح فانه يخاف من الهزيمه ويتعذب منا لانه يتذكر ويفكر فى هزيمته التى حدثت فى البريه من المخلص وعندئذ تتحطم قوته . وصومنا يبدد الشيطان بقوة الرب يسوع المسيح الذى صام فبدده . إن الإنسان الذى يتسلح بالصوم هو دائماً ملتهب بالحماس . والذى يثبت فى

الصوم فإنه يحفظ عقله ثابتاً ومستعداً أن يقاتل ويقاوم كل الشهوات الخاطئه .

مار اسحق السريانى

إن عقل من يصوم يصلى برذانة . أما عقل من لا يضبط جسده فهو مملوء بالنجاسه .

مار اسحق السريانى

إن من يدلل بطنه ويظن أنه يستطيع أن يهزم شيطان الزنا يشبه من يحاول أن يطفىء النار بالبترول .

مار اسحق السريانى

إعلم أن الشيطان دائماً يختبىء فى البطن ولا يدع الانسان يرضى ولو أكل كل خيرات مصر وشرب نيلها . ولكن بعد أن يأكل الانسان الطعام فإن الروح النجس يذهب عنه ويرسل له روح الزنا يمسكه ويقيده لأنه حينما تمتلىء البطن لا يستطيع الانسان أن يقاوم شيطان الزنا الذى يقيد أرجلنا وأيدينا وعن طريق النوم يفعل معنا كل ما يسره وينجس الجسد والنفس بنجاساته وأحلامه وخيالاته .

مار اسحق السريانى

إن الصوم هو قهر الطبيعه . وهو قطع كل شيء ينبع من شهوة الطعام . هو إمتناع الشهوه وقلع الأفكار الشريره والتحرر من الاحلام . وهو مصدر الصلاه الطاهره . وهو نور النفس وحراسة العقل والتخلص من العمى وباب تأنيب الضمير والصراخ المتواضع والانسحاق المبهج وهدوء اللسان وسبب الصمت وحراسة الطاعه والنوم المشرق وصحة الجسد وسبب عدم الشهوات ومحو الخطايا وباب الفردوس وبهجته .

مار اسحق السرياني

قال أحد الأباء[٢٣] :

إن الصوم يطرح الأرواح الشريره والخطايا المستتره التي تختبيء في النفس كما تطرد الشمس الضباب . أن الصوم يؤهلنا لرؤية الأمور الروحيه حيث يوجد المسيح الشمس الذي لا يغرب قط بل يشرق دائماً بلا توقف . إن الصوم يساعد على السهر والتأمل ويلين قساوة القلب . وحيثما يوجد التغلب على شهوة الاكل فإن تأنيب الضمير ينشأ . ولذلك أتوسل اليكم أيها الأخوه أن يجاهد كل منا لكي يحدث هذا معنا . وحيثما يوجد هذا الصوم فإننا سوف نتطهر من بحر الشهوات، ونعبر من التجارب التي يثيرها العدو القاسي وعندئذ نتغلب على الشهوات .

(٢٣) الأب سمعان اللاهوتي .

ثانياً ــ الخطايا الثمانيه الرئيسيه :

قال أحد الآباء[٢٤] أنه توجد ثمانية خطايا رئيسيه للنفس ينبع منها العديد من التجارب وهى :

١ ــ الشراهه
٢ ــ الزنا
٣ ــ الحسد
٤ ــ الغضب
٥ ــ الحزن
٦ ــ الضجر
٧ ــ المجد الباطل
٨ ــ الكبرياء

(+) توجد ثمانية أفكار رئيسيه تنبع منهاً كل الأفكار الأخرى وهى :

١ ــ شراهة الأكل
٢ ــ الزنا
٣ ــ محبة المال
٤ ــ التذمر
٥ ــ الغضب
٦ ــ اليأس
٧ ــ المجد الباطل
٨ ــ الكبرياء

وسواء هذه الافكار تزعج النفس أم لا وسواء تثير فينا الشهوات أم لا فإن الأمر متوقف علينا .

القديس أوغريس

(٢٤) الأب نيللوس .

إن الحرب مع الشهوات هى حرب ضروريه مع العقل . ونحن ننتصر فيها على كا ما يتعلق بالشهوات ونجاهد لكى نطردها . ولكن هناك أيضاً جهاد آخر مع الأفعال التى نصنعها عن عمد لكى ننتصر على الشهوات وعلى سبيل المثال لكى ننتصر على شهوة محبة المال يجب أن نتصدق بالمال بحريتنا . ولكى نحارب الكبرياء يجب أن نختار الأعمال الحقيره . ولكى نهزم شهوة التسليه يجب أن نبقى فى منازلنا .

فهناك طريقتان لطرد الشهوات . الطريقه الأولى هى أن ندفع الشهوات من داخلنا حتى لا نعطى مكاناً لشهوات أخرى أما الطريقه الثانيه فهى ان نجاهد بالافعال الحسنه لكى نطرد الشهوات الشريره . وهكذا فإن الطريقتين تقدران أن تهزما أى نوع من الشهوات التى تهاجمنا .

القديس ثيوفان الناسك

١ ــ الضجر :

إن الضجر متعلق بالاكتئاب وهو خاص بالرهبان المتوحدين ويحارب الذين يحيون فى البريه ويزعج الرهبان خاصة فى منتصف النهار . وهو مثل الحمى يأتى فى وقت منتظم ويتعب النفس المريضه . وبعض الآباء أعلنوا أن الضجر هو شيطان الظهيره الذى تحدث عنه المزمور التسعين . والضجر يحارب العقل غير السعيد . والضجر يدعو الراهب أن يغير مكانه ويجعله متضايقاً ويتذمر من أخيه ومن أى عمل آخر ويجعل الانسان فاتراً وهامداً . والضجر يجعل الراهب لا يرغب فى المكوث فى القلايه ولا أن يستمر فى

القراءه . ولكن يجب أن نحزن وننوح لكى نبقى فى نفس المكان . والضجر يجعلنا لا نحرز أى تقدم ويصيرنا بلا ثمر ، ويتركنا فارغين من كل فائدة روحيه وبلا رجاء وفارغين . والضجر يدعو الراهب أن يخرج من قلايته أو من ديره لكى يفيد الآخرين . ولكن يجب أن يبقى فى قلايته حيث لا يمكن أن يشفى بدون تعب وجهاد . وبإختصار لا توجد أى صحة لنا إلا فى المكوث فى مكاننا ولا ننتقل منه إلى أى مكان آخر حتى لو هلكنا داخله .

إن الرسول بولس مثل طبيب روحانى يشفينا من مرض الضجر بأن يوصينا أن نحرص أن نكون هادئين ونعمل بأيدينا .

القديس يوحنا كاسيان

٢ ـــ المجد الباطل :

المجد الباطل هو تغيير الطبيعه ، وانحراف السلوك ، وتبديد العمل ، وضياع الحلاوه ، وانحراف الكنوز ، وهو عدم الايمان ، وتحطيم السفينه فى الميناء ، ومقدمه للكبرياء . ومثل النحله فى الجرن هى صغيره جداً ولكنها تنتظر الثمار حين تجمع حتى تسرقها وتأكلها ، هكذا المجد الباطل الذى ينتظر غنى الفضائل حتى يبددها .

يوحنا الدرجى

مثل الشمس التى تشرق على الكل هكذا المجد الباطل الذى يظلل على كل الانشطة . فالمجد الباطل يحاربنا حين نصوم وحين نأكل ، وحين نلبس ملابس قيمة وحين نلبس ملابس حقيره ، وحين نتكلم وحين نصمت فان المجد الباطل يحاربنا وينخسنا .

يوحنا الدرجى

إن الذين لهم حياة روحيه متقدمه هم الذين يحتملون الضيقات بفرح وإحتمال ولكن القديسين فقط هم الذين يحتملون المديح بدون أى ضرر .

يوحنا الدرجى

إنه عمل عظيم أن تنزع من النفس تأثير مديح البشر ولكن مقاومة مديح الشياطين هو عمل أعظم .

يوحنا الدرجى

إن المجد الباطل هو الذى يجعل الانسان المتعالى يفتخر . أما المحتقرون فإنهم يستنكرونه .

يوحنا الدرجى

حكى لى أحد الأباء المنسحقين ما يلى :

حينما كنت أجلس فى الاجتماع جاءنى شيطان المجد الباطل وشيطان الافتخار وجلسا بجوارى كل منها على جانب . وتحدث معى شيطان المجد الباطل وناقشنى لأقص بعض الرؤى التى رأيتها فى البريه ولكن حالما صرخت فى وجهه قائلا « ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتى » مز ٤٠ : ١٤ وعندئذ همس شيطان الافتخار قائلا لى : حسنا فعلت حسنا فعلت ، لقد صرت عظيماً بهزيمتك لأمى المخزيه ، وعندئذ أكملت الآيه « ليرجع من أجل خزيهم القائلون هه هه » مز ٧٠ : ٣ . ولما سألت هذا الأب كيف يكون المجد الباطل أم الافتخار ؟ قال لى : إن الأفتخار يرفع الانسان وحين ترتفع النفس فإن الكبرياء يمسكها ويرفعها إلى السماء ثم يلقيها إلى أسفل حيث الجحيم .

يوحنا الدرجى

هناك بعض الناس يعيشون فى العالم ويقضون حياتهم فى السهر والصوم ويمارسون النسك ولكن نسكهم هذا هو نسك خادع لأنهم زرعوا فضائل كثيره ولكنها كانت تروى بالمجد الباطل والمديح وحين ذهب هؤلاء الناس إلى البريه تبددت كل ثمارهم ويبست فى الحال لأن مياه الحب لم توجد فى ممارساتهم .

يوحنا الدرجى

ثالثاً ـــ فلســفة الأفــكار :

١ ـــ التجــارب :

مثل الفتاه التى يغازلها الرجال فتجرى إلى والديها وتمسك ثيابهما وتصرخ اليهما طالبة المعونه هكذا أيضاً النفس كلما تضايقها الشياطين وتخيفها بالتجارب فإنها تسرع لكى تلتصق بالله وتتوسل اليه فى صلاة بلا توقف . وكلما تتتابع التجارب واحده بعد الأخرى فإنها تضاعف تضرعاتها . ولكن حين تستريح من التجارب فإنها تدخل فى الأفكار الشريره .

مار اسحق السريانى

حينما تكون الحرب صغيره وغير ناضجه حطمها قبل أن تتسع وتصير لها فروع كثيره منتشره . لا تهمل نفسك حين ترى الاخطاء الصغيره قد دخلت اليك حتى لا يسيطر عليك الشيطان ويجرك كعبد وسجين . وهكذا فإن الذى يجاهد ضد الشهوات فى بدايتها فإنه للحال سوف يسيطر عليها .

يوحنا الدرجى

قال أحد الآباء[٢٥] :

لا تنتقل من الدير الذى تقيم فيه حين تحل عليك التجارب ، ولكن إحتمل حرب الأفكار بشجاعة خصوصاً أفكار الحزن واليأس لأنك سوف تصل إلى ثبات رجائك فى الله . ولكن إذا تركت ديرك فإنك سوف تصير مثل التائه الجبان غير الثابت .

● ● ●

إن التجارب تقودنا الى المواهب التى أخذتها نفوسنا والتى لا يعرفها أى أحد إلا الله فقط ، ولا حتىٰ أنفسنا تعرفها ، ولكن نفوسنا تعرفها فقط خلال التجارب . وعندئذ لن نجهل طبيعتنا التى وجدت عليها ، وحين نعرف أنفسنا فإننا نصير حذرين وعندئذ سوف نشكر الله على البركات الممنوحه لنا والتى كشفتها التجارب .

وهكذا فإن التجارب تأتى الينا وتحدث الهدف الذى يكشف حقيقة أنفسنا وتكشف الأشياء التى فى قلوبنا .

العلامة أوريجانوس

٢ ــ الأفــكار :

إن كان موسى أمر ألا يقترب احد من العليقه المشتعله حتى يخلع

(٢٥) الأب مكسيموس المعترف .

حذاءه من قدميه ، فكيف لا تحرر نفسك من كل فكر شهوانى حتى تبرهن رغبتك فى رؤية الواحد الذى هو فوق كل فكر ووصيه .

القديس أوغريس

توجد ثمانية أفكار رئيسيه ومنها تتبع كل الأفكار الشريره الأخرى :

١ ـــ النهم	٥ ـــ الغضب
٢ ـــ الزنا	٦ ـــ اليأس
٣ ـــ محبة المال	٧ ـــ المجد الباطل
٤ ـــ عدم الرضا	٨ ـــ الأفتخار

وهذه الأفكار حين تشيع فينا الشهوات والانفعالات فإن الأمر متوقف على إرادتنا نحن .

القديس أوغريس

قال أحد الأباء[٢٦] :

يجب أن نكون واعين للأفكار التى يزرعها الشيطان فينا حتى نقطعها فى الوقت الذى تهب فيه ويجب ألا نتلذذ بالأفكار التى يزرعها فينا الشيطان . وحين يكتسب العقل مهاره في طرد الأفكار فإنه سوف يصل

(٢٦) الأب هسكيوس .

إلى طريق النصره فى هذه الحرب الفكريه حتى يميز بين الأفكار الصالحه والشريره وأن ينزع الثعالب الصغيره المفسده للكروم (نش ٢ : ١٥) . تلك الأفكار التى تدخل بدهاء ولكننا نحاربها بمساعدة المسيح ونطردها خارجاً .

قال أحد الأباء[٢٧] :

كما أنه يستحيل أن تجتمع النار والماء معاً ، هكذا هو مستحيل على الخطيه أن تدخل القلب مالم تقرع على الباب أولاً خلال الخيالات الشريره . التى يزرعها عدو الخير .

فالشيطان يأتى أولاً بإقتراحاته ثم يأتى الارتباط بين أفكارنا وأفكار الشيطان ثم يأتى ثالثا الاندماج حينما تتصالح أفكارنا مع أفكار الشيطان لتفعل ما يريده ثم يأتى رابعاً العقل المنظور الذى هو الخطيه . ولكن لو أن العقل أصبح ثابتا فى الخشوع ومنتبهاً إلى ذاته وبمقاومته للفكر الشرير ودعوته للرب يسوع ليطرد الأفكار الشريره فى هجومها فلن تحدث تلك الخطوات المتتابعه ، لأن الشيطان هو فكر بلا جسد لا يستطيع أن يقود النفس بعيداً إلا بالفكر والتخيل ولذلك يقول داود النبى « باكراً أبيد جميع أشرار الأرض لأقطع من مدينة الرب كل فاعلى الأثم » مز ١٠١ : ٨ .

---

(٢٧) الأب هسكيوس Hesychius .

ويقول العظيم فى الأنبياء موسى « لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً » خر ٢٣ : ٣٢ .

• • •

إن التذكار الحلو الذى لاسم الرب يسوع المسيح الممتزج بالانسحاق يستطيع دائماً أن يسحق خيالات الأفكار وكل الاقتراحات الشريره المتنوعه والكلمات والاحلام والخيالات المظلمه وباختصار كل مدمرات الشيطان التى يحاول بها أن يدمر نفوسنا . أما حين ننادى يسوع فإنه يحرق كل هذا . لأننا لن نجد أى خلاص إلا فى يسوع المسيح . وهكذا فإن المخلص نفسه يؤكد ذلك بقوله « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ . دعنا نحرس قلوبنا كل ساعة وكل لحظة من الأفكار التى تظلم مرآة النفس بحيث لا يبقى سوى صورة يسوع المسيح ربنا المشرقه الذى هو حكمة الآب وقوته . دعنا نطلب باستمرار ملكوت السموات فى القلب وبالتأكيد سوف نجد البذره فى أنفسنا ونجد أيضاً الجوهره والنبع وكل شىء صالح . وهذا هو سبب قول الرب يسوع المسيح إن « ملكوت الله فى داخلكم » لو ١٧ : ٢١ ومعنى ذلك هو أن الله يسكن فى القلب . إن اليقظة هى التى تطهر الضمير حتى يشرق . وحين يتطهر الضمير فإنه يطرد كل ظلمة منا . ومثل النور الذى يشرق فيبدد كل ظلام هكذا اليقظه الدائمه هى التى تطرد الظلمه . والضمير أيضاً يكشف لنا ما نكون قد نسيناه من قبل أو ما يكون مازال مختبئاً دون إدراك .

وفى نفس الوقت فإن اليقظة تعلمنا الجهاد غير المنظور مع الأعداء الذين يثيرون العقل بحرب الأفكار ، وتعلمنا أيضاً كيف نلقى أسهمنا ضد العدو وكيف نملأ عقولنا بالأفكار الجيده وكيف نمنع أسهم العدو من أن تجرح العقل بأن نجعلها تبعد عنا حين نطلب أن نحتمى فى المسيح ، وعندئذ نحصل على حماية النور لرغباتنا المنيره فى مكان الظلمه المهلكه . والذى قد إختبر هذا النور فإنه يفهم ما أتحدث عنه .

القديس فيلوثاوس الذى من سينا

احرس عقلك بالأنتباه المركز الدائم . وحين تلاحظ أى فكر شرير فللحال قاومه وإسرع لدعوة الرب يسوع المسيح لينتقم لك . وفيما أنت تستمر فى دعوته فإن صوت الرب يسوع الحلو سيقول لك : أنا معك لكى أحميك . ولكن إذا حدث أثناء صلاتك أن الاعداء أخضعوا عقلك فيجب عليك أن تنتبه ثانيه إلى عقلك . وهنا تأتى أمواج الأفكار أكثر من قبل وتسرع ضدك واحد تلو الآخر حتى تكاد النفس ان تبتلع وتهلك . ولكن لأن يسوع هو الله الذى بدد الأمواج وأخضع الريح حين طلب منه تلاميذه فهو أيضاً يبدد كل الأفكار ولكن عليك أن تمجد ذاك الذي خلصك وعندئذ سوف تستغرق فى التأمل فيما بعد الموت .

القديس فيلوثاؤس السينائى

رابعاً : طهـارة القلـب :

إن حدوّد الطهاره الكامله هى أن نكون متساوين فى الانفعال تجاه الاجساد الحيه مثل الميته والعاقله مثل غير العاقله .

يوحنا الدرجى

ليس الطاهر هو من حفظ جسده من النجاسه بل الذى أخضع كل أعضاءه للنفس .

يوحنا الدرجى

إن هدفنا هو ملكوت السموات وهو الهدف الثابت الذى لا يتغير قط . وبدون طهارة القلب لا يمكن أن نصل لهذا الهدف . ويجب أن نحتفظ بهذا الهدف دائماً فى عقلنا . وقد يحدث أحيانا لفترة قصيره أن ينحرف قلبنا عن الطريق المستقيم ولكن يجب أن نرجعه ثانيه وأن نقود حياتنا بالتقوى المناسبه لهذا الهدف .

ويجب أن نفعل كل شىء من أجل هذا الهدف المباشر ، فنحن نترك أوطاننا وعائلاتنا وممتلكاتنا وكل شىء عالمى لكى ننال طهارة القلب . ونحن نحتقر الغنى المادى من أجل محبة إخوتنا لئلا نقاتل بالغضب ونسقط من الحب . وإذا ما تحركنا بالغضب ضد أخينا . حتى لو كان من أجل أمور

بسيطه فإننا نسقط من هدفنا ويكون خروجنا من العالم غير ذى أهميه . ولقد حذرنا بولس الرسول من ذلك حين قال « وإن سلمت جسدى حتى إحترق ولكن ليس لى محبه فلا أنتفع شيئاً » ١ كو ١٣ : ٣ .

ونحن نعلم أن الكمال لا يتوقف على مجرد ترك العالم ولكنه يأتى بعد إدراك الحب كما يقول الرسول بولس « المحبه تتأنى وترفق . المحبه لا تحسد . المحبه لا تتفاخر ولا تنتفخ . ولا تقبح ولا تطلب مالنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء » ١ كو ١٣ : ٤ ـــ ٥ وكل هذه الأمور السابقة التى تحدث عنها بولس الرسول هى التى تؤسس طهارة القلب . ونحن نفعل كل شىء من أجل هذا ونحتقر كل ممتلكاتنا ونحتمل الأسهار والاصوام بفرح والقراءة الروحيه والتسبيح .

إن الأصوام والأسهار وقراءة الكتاب المقدس ليست هى الهدف والكمال ولكننا نصل إلى الكمال عن طريق تلك الممارسات . لأنه لن يفيدنا إفتخارنا بأصوامنا وأسهارنا وقراءتنا فى الكتاب المقدس إذا لم نصل إلى محبة الله ومحبة القريب ، لأن كل من أدرك حب الله فى قلبه فإن عقله يكون دائماً مع الله .

القديس يوحنا كاسيان

متى يمكننا أن نقول أننا قد أدركنا الطهاره ؟ حين نرى أن كل الناس

صالحون ولا ننظر إلى أى أحد أنه نجس أو غير طاهر عندئذ نصل إلى طهارة القلب .

مار اسحق السريانى

الفصل السادس
التأمل

أولاً : أسرار اللوغوس :

١ ــ الصلاة .

٢ ــ التأمل .

ثانياً : إختبار الثالوث :

١ ــ الثالوث .

٢ ــ سكنى الثالوث .

ثالثاً : اللاهوت الحقيقى :

١ ــ المعرفه .

٢ ــ المعرفة الفائقه .

رابعاً : نور الله .

الفصل السادس
التأمل

« إن أحبنى أحد يحفظ كلامى . ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » يو ١٤ : ٢٥ .

أولاً ــ أسرار اللوغوس :

١ ــ الصلاة :

يجب أن نتعلم قبل كل شىء أن نصلى دائماً بلا توقف . لأن عمل الصلاه هو الاتحاد مع الله . وحينما يكون أى أحد مع الله فإنه ينفصل عن العدو . عن طريق الصلاة نحن نحرس طهارتنا ونضبط إنفعالنا ونبعد أنفسنا عن كل باطل وننسى كل إساءاتنا ونهزم الحسد ونغلب الشر . إن الصلاة تجعلنا نعدل مسارنا عن الخطيه .

خلال الصلاة نحن نحصل على وجودنا الجسدى وعلى المنزل السعيد وعلى المجتمع المنظم . الصلاة تجعل وطننا قويا وتعطينا النصره فى الحرب والأمان فى السلام . الصلاه تصالح الأعداء وتحفظ الأصدقاء . الصلاة هى

خاتم البتوليه وعربون إخلاص الزوجيه . هي درع الانسان فى غربته وحماية للنائم وشجاعة للساهر . الصلاة تجعلنا نحصل على حصاد جيد من الحقل وميناء سالم للبحاره . الصلاه هى المحامى لك فى قضاياك . تجعلك تحصل على العفو إذا كنت مسجونا وتعطيك الانتعاش حينما تكون قلقاً وتمنحك العزاء حين تكون حزبنا . الصلاة هى نور الفرح كما هى تعزية المجربين . هى تاح الزواج للعروسين وإحتفال الفرح للمولودين الذين يلتقون بها كما هى الكفن الذى نلتحف به حين رحيلنا . الصلاة هى سر إلتصاقنا بالله والتأمل فى غير المنظور . الصلاة هى قبول لصراخنا وتجعلنا متساويين مع الملائكه . خلال الصلاة نحن نحصل على الازدهار الجيد وتحطيم للشر وتحول للأشرار . الصلاة هى الفرح بالأشياء الحاضرة وهى جوهر الاشياء المستقبله . الصلاة هي التى حولت الحوت إلى منزل يقيم فيه يونان ، وهى التى أعادت الحياة إلى حزقيا بعد أن كان على حافة الموت ، وهى التى حولت اللهب المحترق إلى ريح بارده لأجل الثلاثه فتيه . عن طريق الصلاة إنتصر بنى إسرائيل على عماليق وأبيد مائة وخمسة وثمانون ألفاً من الأشوريين فى ليله واحده بالسيف غير المنظور . إن التاريخ يقدم لنا الآفاً من الامثله بجوار تلك الامثله بحيث يصير واضحاً لنا أنه لا شيء يزيد فى قيمته فى هذه الحياة أكثر من الصلاة .

القديس أغريغوريوس أسقف نيصص

يستطيع الانسان أن يقترب إلى الله عن طريق الصلاة ولكنه كثيراً ما

يفشل فى تقديم المجد اللائق بالعظمه الالهيه حين يقف ليتحدث اليها .

وكثيراً ما يهين الانسان عظمة الله دون أن يدرى عن طريق الطلبات التافهه . وهو فى ذلك يشبه إنساناً فقيراً جاهلاً يفكر خطأ حين يقترب إلى الملك الأرضى ولا يطلب شيئاً يليق بهذا الملك بل يطلب شيئاً تافهاً وفقاً لهواه ، هكذا الانسان الذى يقدم صلاة بدون حديث لائق ولا يرفع نفسه إلى عظمة الله مانح هذه الأشياء ولكنه يريد القوه الالهيه ليستخدمها فى الأمور الأرضيه التافهه التى هى حسب شهواته . ولذلك هو يقدم طلبات وتوسلات غير مقبوله لذاك الذى ينظر خفايا القلب ولكنه لا يطلب الله نفسه لكى يشفى إنحرافات عقله ولو أعطانا الله ما هو حسب عقولنا الرديئه لصارت الشهوات الشريرة حقيقة . وعلى سبيل المثال لو ضايقنى أحد الأشخاص وتحرك قلبى بالكراهيه نحوه فصرخت إلى الله وطلبت منه أن يضربه فكأنى عندئذ أقول لله : إجعل شهوة قلبى قدامك وإجعل شرى يأتى أمامك . وهكذا فإن الحرب بين البشر يتخللها الغضب ولذلك فإن من يطلب أن يقيم الله ضد عدوه معناه أنه يريد من الله أن يشترك معه فى غضبه وهذا معناه أن الله يستسلم للشهوات ويسلك بطريقه بشريه ويتغير من طبيعته الصالحه إلى طبيعة الحيوانات المتوحشه ، وحاشا أن يكون هذا .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

من أقوال يوحنا الدرجي :

١ ــ إن الصلاة فى طبيعتها هى التوبه وهى إتحاد الانسان مع الله ولكن الصلاة فى فعلها تفوق العالم وتقودنا إلى التصالح مع الله . هى أم وابنه الدموع ، وهى كفاره عن الخطايا ، وهى الكوبرى الذى به نعبر التجارب ، وحائط ضد المحن ، وهى سحق للتجارب . هى عمل الملائكه وطعام لكل الكائنات الروحيه . هى الفرح العتيد هى العمل غير المقيد ، وهى نبع الفضيله ، ومصدر النعمه ، وهى التقدم غير المنظور ، وهى طعام النفس وإستنارة العقل ، وهى سلاح ضد اليأس ، وهى موكب الامل ، وهى بطلان للحزن ، هى غنى الرهبان وكنز المتوحدين ، وهى إبطال للغضب ومرآه للتقدم وإدراك للنجاح ، وهى برهان لحالة الانسان ورؤية المستقبل وعلامة المجد .

بالنسبه للذى يصلى بالحقيقه فإن الصلاة هى إجتياز المحاكمه والوقوف أمام الله للمحاكمه قبل الدينونه الرهيبه المقبله .

٢ ــ إجعل صلاتك بسيطه بالتمام ، لأن العشار والابن الضال قد تصالحا مع الله بجمله واحده .

٣ ــ إن عمل الصلاة هو واحد بالنسبه للكل ، ولكن هناك أنواع عديده من الصلوات ، بعضها للحديث مع الله كصديق ورب والبعض الآخر للتمجيد ، والبعض للتوسل من أجل الآخرين وليس من أجل من يصلى ، والبعض الآخر للجهاد من أجل مزيد

من الغنى الروحى والمجد وطلب الثقه فى إستجابة الصلاة ، والبعض يصلى من أجل تمام خلاصه من أعدائه الروحيين ، والبعض يصلى من أجل التقدم الروحى ، والبعض يصلى من أجل تمام الغفران من الخطايا ، والبعض يصلى من أجل العتق من السجن ، والبعض يصلى من أجل براءة إتهامه .

٤ ـ لا تحاول أن تتحدث كثيراً وأنت تصلى حتى لا يتشتت ذهنك فى البحث عن كلمات . لان كلمه واحده من العشار جعلت الله يرحمه . وصرخة إيمان واحده من اللص خلصته . لأن كثرة (الرغى) فى الصلاه تشتت العقل وتقوده إلى الخيالات أما إختصار الكلام فإنه يقود للتركيز .

٥ ـ حاول أن ترفع عقلك أو بالحرى تغلق أفكارك عن طريق كلمات الصلاة . ولو حدث بسبب ضعفك أنك سقطت وفشلت فارفعها ثانيه ، لان طبيعة العقل هى التقلب والتغيير ولكن قوة الله قادرة أن تصنع كل شىء . ولو أنك تحملت الجهاد فى عملك فإن ذاك الذى يضع قيوداً لبحر العقل سوف يزورك ويقول لك « وقلت إلى هنا تأتى ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لججك » أى ٧٨ : ١١ إن الروح كثيراً ما تعصى ولا تطيع ولكن حيثما يوجد خالق الروح فإن كل شىء يطيعه ويخضع له .

٦ ـ بداية الصلاة تحوى تبدد الأفكار التى تأتى الينا بمجرد ظهورها . والصلاة المتوسطه هى ثبات عقلنا فيما يقوله أو يفكر فيه وكمال

الصلاة هو الفرح فى الرب .

٧ ــ هيىء نفسك لأوقات الصلاة بالصلاة الدائمه فى قلبك وعندئذ سوف تحرز تقدماً للحال . ولقد رأيت الذين يسيرون فى طريق الطاعه وهم يحاولون على قدر طاعتهم أن يحفظوا فى عقلهم تذكار الله ، وحين يقفون للصلاة فهم يسيطرون على عقولهم ويذرفون ينابيع من الدموع لأنهم قد إستعدوا للحظه الصلاة بالطاعه العظيمه .

قال أحد الأباء[٢٨] :

إن أقصى درجات الصلاة هى حين يصلى العقل وهو تارك كل إهتمامات الجسد والعالم والأمور الماديه . والذى يحفظ هذه الدرجه بلا خطيه هو حقاً الذى يصلى بلا توقف .

أقوال القديس أوغريس فى الصلاة :

١ ــ الصلاة هى حديث الروح الدائم مع الله ، فأى درجه يجب أن تصل اليها النفس ، وأى جهاد يجب أن الروح تمارسه لكى تسود بلا تردد .

٢ ــ قف بثبات وإنتباه فى الصلاة . ولا تنتبه لأى اهتمام آخر أو لأى فكر يأتى اليك لان هذه الأفكار لن تصنع أكثر من إزعاجك

---

(٢٨) الأب مكسيموس المعترف .

وإبعادك عن ثباتك فى الهدف .

٣ ـــ جاهد لكى تجعل عقلك أخرس وأطرش فى وقت الصلاة وعندئذ تقدر أن تصلى .

٤ ـــ الصلاة هى الزهره الجميله للوداعه وضبط النفس .

٥ ـــ الصلاة هى ثمرة الفرح والشكر .

٦ ـــ الصلاة هى إستبعاد الحزن واليأس .

٧ ـــ أحيانا نشعر بالهدوء والخشوع أثناء الصلاة ، وأحيانا أخرى يكون علينا أن نجاهد كثيراً فى وقت الصلاة لاننا نكون مهزومين بشهوات مختلفه ، ولكن إذا إستمرت الروح فى جهادها فإنها سوف تصل إلى هدفها وإذا قرعت على الباب بشده كافيه فسوف يفتح لها .

٨ ـــ صلِ ولا تجعل نهاية لصلاتك حتى تكمل رغبتك الخاصه وتتأكد أن صلاتك هى وفقاً لمشيئة الله . وحين تتعلم هذه اليقظه عليك أن تصلى لتكمل مشيئة الله فيك . وفى كل أمر إسأل الله كل ما هو صالح ومفيد لنفسك .

٩ ـــ لا تضطرب كثيراً بل إغصب نفسك حتى تحصل على إستجابه سريعه لطلباتك . إن الرب يرغب أن يعطيك أكثر مما تطلب عوضاً عن مثابرتك فى الصلاة اليه . لأنه أى شيء أعظم من الحديث بدالة مع الله وأن تنشغل بمصاحبة الله لك ؟ إن الصلاة

بلا تشتت هى أعظم عمل للعقل .

١٠ ــ إن الصلاة هى صعود الروح إلى الله .

١١ ــ حينما تصلى سواء بمفردك أو مع الأخوه إجتهد أن تجعل صلاتك أكثر من عادة ، إجعلها إختبار داخلى .

١٢ ــ حينما تصلى إجعل ذاكرتك تحت رعايتك ولا تجعل عقلك يقترح عليك بعض الخيالات بل إجعله حذراً لتصل إلى الله . وإعلم أن الذاكره لديها المقدره على إفساد الروح فى وقت الصلاة .

١٣ ــ إن درجة الصلاة ممكن أن تصفها حسب تعودها على الهدوء ، وهى تصل إلى الحقيقه العقليه حيث تحب الحكمه وتصير روحيه بالحقيقه بالحب الحقيقى .

١٤ ــ إن الذى يجاهد فى الصلاة الحقيقيه يجب أن يسيطر ليس فقط على الغضب والشهوه بل يجب أن يحرر نفسه من كل فكر له علاقه بالشهوه .

١٥ ــ إن الانسان الذى يحب الله هو دائماً يحيا ويتكلم معه كأب ويبتعد عن كل فكر له علاقه بالشهوه .

١٦ ــ إذا كنت لاهوتياً فإنك بالحق تصلى . وإذا كنت تصلى فإنك بالحق تصير لاهوتياً .

١٧ ــ حينما ترجع روحك إلى حالتها الأولى ، فإنك شيئاً فشيئاً تبتعد عن

شهوات الجسد بسبب التهاب وحماس طلب الله ، وعندئذ سوف تبعد عن كل فكر له علاقه بالحواس أو الذاكره ، وتضبط نفسك وتمتلىء بالخشوع والفرح معاً . حينئذ تأكد أنك تقترب من المدينه التى إسمها الصلاة .

١٨ ــ إن الروح القدس يشفق على ضعفنا ورغم أننا غيز أطهار إلا أنه كثيراً ما يأتى ويفتقدنا . وإذا ما وجد أرواحنا تصلى اليه بدافع الحب من أجل الحق فإنه ينزل ويطرد كل جيش الأفكار التى تضايقنا . وسوف يحث أرواحنا إلى عمل الصلاة الروحانيه .

١٩ ــ إذا صليت فارفض كل ما هو ليس صلاة . وعندئذ حين يقترب منك الله فهو وحده الذى يصاحبك .

٢٠ ــ حينما تصلى لا تتخيل فى نفسك أى شكل للاهوت وتجنب أن تسمح لروحك أن تنشغل بأى شكل خارجى . والأفضل أن تتحرر من كل شيء لكى تقترب من الوجود غير المادى وعندئذ يبقى الله فى فهمك .

٢١ ــ قف وأحرس روحك وإجعلها حره من كل فكر فى وقت الصلاة حتى تبقى فى عمق هدوئها وعندئذ سيأتى الله الشفوق لكى يفتقدك لتصل إلى موهبة الصلاه المملوءة مجداً .

٢٢ ــ إنك لن تستطيع أن تصلى بطهاره حين تكون متعلقاً بالأمور الماديه ومرتبطاً بالأمور الزائله . لأن الصلاه هى مقاومة الأفكار الشريره .

٢٣ ــ حين تصلي لاتثبت قلبك فيما تظن أنه حسن لك ، بل ثبته فيما يسرّ الله . وهذا سوف يحررك من الاضطراب وسوف تنشغل بالشكر فى صلاتك .

٢٤ ــ عن طريق الصلاة الحقيقيه يتحول الراهب [الانسان] إلى ملاك لأنه سوف يشتاق بحراره أن يرى وجه الآب فى السماء .

٢٥ ــ لا تجهد نفسك فى تخيل بعض الأشكال والصور وقت الصلاة .

٢٦ ــ لا تشته أن ترى ملائكه أو قوات أو حتى المسيح نفسه حتى لا تخدع وتأخذ ذنباً بدلاً من المكافأة وتوقر الاعداء بدلاً من الله .

٢٧ ــ دعنى أكرر ما قلته فى مناسبات مختلفه ، سعيدة تلك الروح التى تسعى للكمال بدون أى شكل حسيّ وقت الصلاه . وسعيدة تلك الروح التى تصلى بلا تشتت فإن رغبتها وشوقها إلى الله يزداد .

٢٨ ــ سعيده تلك الروح التى تحررت من كل شيء وتخلصت من الكل وقت الصلاة .

٢٩ ــ سعيدة تلك الروح التى تسعى للكمال والخلاص من الخبرات الحسيه وقت الصلاة .

٣٠ ــ هل تريد أن تصلى ؟ أطرد من فكرك الأشياء العالميه ، واقتنِ السماء كوطن لك ، وإحيا هناك دائماً ، ليس بالكلام فقط ولكن

بالأعمال أسلك . ولتشابه الملائكه فى المعرفه .

٣١ ــ إن فائدة الصلاة ليس فقط فى نوعها ولكن أيضاً فى كميتها . وهذا واضح من مثل الفريسى والعشار اللذين دخلا كلاهما إلى الهيكل ومن قول الكتاب « لا تكرروا الكلام باطلاً » [لو ١٨ : ١٠ ــ مت ٦ : ٧] .

٣٢ ــ حينما تصلى إرتفع فوق كُل فرح ، وعندئذ سوف تحصل على الصلاة الحقيقية .

• • •

نحن نتأثر من أعماق القلب حينما نستخلص معانى الكتاب المقدس ، ليس فقط بقراءة النصوص ولكن بشركة الاختبار فيها . وعندئذ سوف يصل عقلنا إلى الصلاة غير الفاسدة .

القديس يوحنا كاسيان

ميز كلمات الصلاة التى تنطقها وأمزجها بغرض العقل وضعها كلها فوق النار . وعندئذ سوف يصلى العقل بدون الحواس وبدون الأشياء الماديه المرئيه ، وبنشوة القلب غير المعبر بها إقترب إلى الله بانسحاق وأنات لا ينطق بها .

القديس يوحنا كاسيان

٢ ــ التأمـل :

الصلاة هى شيء والتأمل فى الصلاة هو شيء آخر . وكذلك الصلاة والتأمل يؤثر كل منهما فى الآخر . الصلاة تشبه الزرع والتأمل هو نضج الحصاد .

مار اسحق السريانى

إن الدرجة التاليه للصلاة والتى تتبعها هى حين يتقدم الانسان فى حياة الفضيله ويقترب إلى الأختيار ويتذوق التأمل كنعمه تمنح له من فوق لكى يتذوق حلاوة المعرفه الروحيه .

وهكذا فإن بداية هذه الدرجه هى إقتناع الانسان برعاية الله للبشر ، وعندئذ يستنير بمحبة الخالق ويمتلىء بالدهش للحكمه الالهيه التى ترعى البشر . وهذه هى بداية الحلاوة الالهيه وإشتعال محبة الله فى القلب وحرق كل شهوات الجسد والنفس . وهذا الحب يصحب بالاشتياق الشديد . وبالصبر النقى يبدأ فى الاشراق المفاجىء . وعندئذ يسكر الانسان كأنه من خمر ويصير القلب أسيراً لله . وهذه تبدأ فى تقوية الانسان وإلتهابه وفقاً لجهاده فى السير فى حياة الفضيلة لكى يحرس نفسه ليقضى كل وقته فى القراءة أو فى الصلاة .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٢٩] :

إن درجة الصلاة العليا الطاهره لها صورتان وشكلان أولهما هى حياة الهمة والنشاط والفضيله والثانيه هي حياة التأمل . الأولى تخص النفس عن طريق امتلائها بخوف الله والرجاء العظيم والاخرى عن طريق حب الله والطهاره الكامله . إن علامة الصلاة الأولى هى حين يجمع الانسان عقله ويتحرر من كل الأفكار العالميه ويصلى بدون تشتت أو انزعاج كما لو كان الله نفسه حاضراً بالحقيقه أمامه ، أما علامة الصلاة الثابته هي حين يؤخذ العقل فى الصلاة بالنور الالهى ويفقد كل إحساس الحواس والاحساس بالمخلوقات الأخرى ولا يعى غير الله فقط الذى أشرق بالاستناره فى نفسه عن طريق الحب . وفى هذه الحالة تتحرك فيهم الكلمات الالهيه ويأخذون الطهاره والمعرفه النورانيه من الله .

قال أحد الأباء[٣٠] :

حين نكمل الوصايا فإن العقل يتخلص من الشهوات عن طريق التأمل الروحى وعندئذ يتخلص من الشهوات المرتبطه بالأشياء . وبالمعرفه الروحيه للاشياء غير المنظوره نستطيع أن نتخلص من التفكير فى الأشياء المنظوره . وأخيراً بمعرفة الثالوث المقدس فإننا نتخلص حتى من معرفة الأشياء غير المنظورة .

(٢٩ — ٣٠) الأب مكسيموس المعترف .

قال أحد الأباء[٣١] :

حينما تسرع النفس إلى النشاط الروحي والخضوع لله فإنها تصل عن طريق الاقتراب اليه والاتحاد معه إلى الاستناره بالنور الشديد وعندئذ يختبر العقل إحساس الفرح والسعاده التي تنتظرنا في الحياة المقبله . وهذه السعادة التي لا يعبر عنها تدفىء القلب ، وكل الجسد يشعر بتأثيرها . ولا ينسى الانسان كل الشهوات فقط بل وأيضاً الحياة نفسها ويفكر فقط في ملكوت السموات . وهنا يتذوق الانسان حب الله الذى هو أكثر حلاوة من الحياة نفسها ويختبر معرفة الله التي هي أكثر من العسل والشهد .

ثانياً ــ إختبار الثالوث المقدس :

١ ــ الثالوث :

قال أحد الأباء[٣٢] :

إنه يوجد اله واحد هو الآب المولود منه الابن والذى منه ينبثق الروح القدس . إنه إتحاد غير مركب وثالوث غير منقسم . عقل بلا بدايه وكلمة بلا بدايه وروح هو مصدر الحياة الأبديه .

• • •

---

(٣٢) الأب مكسيموس المعترف .

إن العهد القديم يعلن عن الله الآب بصراحة ولكنه يتحدث عن الابن بطريقه سريه . أما العهد الجديد فإنه يعلن عن الابن بصراحه ويكشف أيضاً عن الروح القدس . أما الآن فإن الروح القدس نفسه هو الذى يسكن فينا . وهكذا كان لابد أن يعلن لنا اللهّ الآب أولا [فى العهد القديم] قبل اعلان الابن وقبل قبول الروح القدس . إن نور الثالوث المقدس يجب أن يشرق على كل الذين أستنيروا .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

نحن نعرف الثالوث القدوس الكامل الذى هو الآب والابن والروح القدس . وفى هذا الثالوث لا يوجد أى عناصر خارجيه غريبه . ولا يوجد فيه أى شئ مخلوق . لأنه هو الخالق الكلى والحقيقه الكامله وهو موجود بذاته وغير منقسم فى قوته العامله لأن الآب يوجد كل الأشياء عن طريق الكلمه فى الروح القدس . وبهذه الطريقه يقدم لنا إتحاد الثالوث . وهكذا نحن فى الكنيسة نقترب من الله الواحد الذى هو فوق كل الأشياء وخلال كل الأشياء وفى كل الأشياء . الله الذى هو فوق كل الأشياء هو الآب لأنه هو الأصل والمصدر وخلال كل الأشياء أى خلال الابن الكلمه وهو فى كل الأشياء أى فى الروح القدس .

وحتى المواهب التى يمنحها الروح القدس لكل أحد على حده فهى مواهب يمنحها الآب خلال الابن . ولهذا فإن النعم الممنوحه عن طريق الابن فى الروح القدس هى عطايا حقيقيه من الله الآب . وهكذا فإن

الابن الكلمه هو الذى يمنحنا الروح القدس لكى يسكن فينا . والآب حاضر أيضاً فى الكلمه وهذا هو تفسير النص « اليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » لأنه حيث يوجد النور [الآب] فإنه يوجد أيضاً الشعاع [الكلمه] وحيث يوجد الشعاع توجد أيضاً القوه والنعمه المتألقه [الروح القدس] .

وهذه هى تعاليم بولس الرسول فى رسالته الثانيه إلى أهل كورنثوس حيث يقول « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » ٢ كو ١٣ : ١٤ وذلك لأن النعمه والموهبه تمنح لنا من الآب خلال الابن فى الروح القدس . وكما أن النعمه تمنح من الآب خلال الابن . أيضاً لا يوجد أى شركة مع المواهب إلا فى الروح القدس . ولكن حين يكون لنا شركة مع الروح القدس فإننا نمتلك حب الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس نفسه .

القديس أثناسيوس الرسولى

قال أحد الأباء[٣٣] :

حينما يقول الرب « أنا والآب واحد » فإنه يعنى وحدة الجوهر وحينما يقول « أنا فى الآب والآب فىّ » فإنه يتحدث عن عدم إنفصال الاقانيم .

---

(٣٣) الأب مكسيموس المعترف .

ووفقاً لتعاليم القديس اغريغوريوس الكبير يجب أن نحتفظ بوحدانية الله والأقانيم الثلاثه . لان الثالوث المقدس له ثلاثة أقانيم وكل أقنوم له عمل خاص به ولكن الثالوث غير منفصل وهو متحد رغم أن لكل أقنوم عملاً خاصاً . إنه إتحاد عجيب لأن الآب والابن والروحّ القدس. متحدون رغم أن لكل منهم عملاً خاصاً .

قال أحد الأباء[٣٤] :

إن الذين لهم شركة معك إنما يشتركون فى أسرارك الهائله غير المنطوق بها ، حتى يدرك المنظور المجد غير المنظور والأسرار الغريبه التى جاءت إلى العالم وصارت غير بعيده عنا حسب معرفتنا . إن أولئك الذين نالوا التأمل الروحى من ذاك الذى كان من البدء قبل كل الخليقه الذى هو الابن المولود من الآب الذى هو الله الكلمة والذى هو واحد مع الآب ومع الروح القدس . إن الثالوث المتحد المشرق هو النور المتألق فى الأقانيم الثلاثه . إنه توافق نور الآب والابن والروح القدس . لأن الأقانيم الثلاثه متحده معاً بغير إضطراب .

هذه الاقانيم رغم أنها ثلاثه وفقاً للطبيعه اللاهوتيه ولكن هى قوة واحده ومجد واحد وسلطه واحده ومشيئه واحده . إن الثلاثه أقانيم يظهرون لنا ولكن فى وجه واحد متناسق مثل العينين الجميلتين المملوءتين بالنور .

---

(٣٤) الأب سمعان اللاهوتى .

ولكن كيف تستطيع العينان أن تصير بدون الوجه ؟ ولكن بدون العينين يستحيل أن تتحدث عن الوجه لان العينين تنبعان من الوجه وهى كل شيء فى الوجه . هكذا الشمس يستحيل أن تنزع منها النور الذى هو جمالها . وإذا إختبفت الشمس إختفت معها كل الخليقه التى تأخذ منها النور والرؤيه . وهكذا يجب أن نعلم أن الآب والابن متحدان معاً وغير منفصلين عن الروح الذى يعطى الحياه والوجود لكل أحد . ليت كل الخليقه توقر الثالوث إذن . ولكن طبيعة اللاهوت فى الاقانيم الثلاثه يفوق كل شرح .

• • •

إن الثالوث متحد معاً ببساطه وهو غير ممتزج لأنه ثالوث متحد . إن الثالوث الواحد هو الله الذى له ثلاثة أقانيم كاملون ومميزون .

إن الله معروف ومفهوم فى كل شيء له ثلاثة أقانيم وهو يحمل كل الأشياء ويرعى كل الأشياء خلال إبنه فى الروح القدس . ولا يوجد أى إقنوم مستقل أو منفصل بعيداً عن الاقنومين الآخرين . مثل الانسان الذى له عقل وكلمه وروح . والعقل لا يمكن أن يكون بغير كلمه ولا الكلمه بغير روح ولكن الثلاثه كل واحد فى الآخر وهم أيضاً موجودون فى ذواتهم . إن العقل يتحدث فى الكلمه والكلمه يعلن فى الروح . وهذا المثل [العقل والكلمه والروح] يعلن لنا أن الانسان يحمل فى نفسه مثالاً للثالوث لأنه خلق على صورة الله . والعقل يرمز إلى لآب والكلمه للابن

والروح للروح القدس . وهذا هو ما شرحه لنا الأباء القديسون ليقدموا لنا التعاليم الخاصه بالثالوث الذى هو الله الواحد الموجود فى الاقانيم الثلاثه ، وذلك لكى نتعلم الايمان الحقيقى فيكون لنا مرساة الرجاء . ووفقاً للكتاب المقدس فإننا نعرف الله الواحد الذى هو أساس الخلود والحق الكامل وأن نعرف سلطان الثلاثه أقانيم فى الله الواحد ونحن عندئذ نستطيع أن نفهم كلمة الانجيل فى هذا الخصوص « وهذه هى الحياة الابديه أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » يو ١٧ : ٣ .

القديس اغريغوريوس السينائى

٢ ــ سكنى الثالوث :

إن الروح القدس هو الذى يسكن فى الابرار ويقدسهم ويجعلهم مكرسين للثالوث المقدس فقط لكى يجعلهم قادرين بطبيعتهم أن يتأملوا فى النفوس .

القديس ديديموس

إنه ليس حقيقياً أن نقول أننا لا نقدر أن نصير واحداً مع الله إلا بالاتحاد فى الاراده والمشيئه . لأنه فوق هذا الاتحاد يوجد إتحاد آخر يفوق ذلك الاتحاد وهو إتحاد الله مع الانسان رغم إحتفاظ الله بطبيعته مثل الحديد الذى يتحد مع النار رغم إحتفاظه بطبيعته إلا أنه يتحول إلى نار .

والاتحاد مع الله لا يمكن أن يوجد إلا عن طريق شركة الروح القدس الذى يحولنا ويقدسنا ويجعلنا مناسبين له ويطبع فينا صورة الله .

القديس كيرلس الاسكندرى

نحن كلنا نصير واحداً مع الله الآب فى الابن وفى الروح القدس . نصير واحداً بالاتحاد بالحب مع الله وواحداً بالثبات فى التقوى عن طريق الشركه فى جسد المسيح وعن طريق تبعية الروح القدس . وهذا هو الاتحاد الحقيقى .

القديس كيرلس الاسكندرى

ثالثاً : اللاهـوت الحـقيـقـى :

١ ــ المعـرفـه :

توجد ثلاثة أنواع للمعرفة حيث تنمو وتنقص حسب شكل الجسد والنفس والروح . والمعرفه هى موهبه من الله يمنحها للطبيعه العاقله عند خلقتها وفى طبيعتها . وهذه المعرفه هى بسيطه وغير منقسمه مثل شعاع الشمس . ولكن وفقاً لعملها فإنها تتغير وتتنوع . والآن انصت إلى أمر تلك المعرفه :

أ ــ الدرجة الأولى للمعرفه هى حينما تشبع المعرفه رغبات الجسد وهى

تحوى تلك الأشكال : الغنى والمجد الباطل والبهرجه والتعزيه الجسديه والإهتمام بالعلم وبالأمور الجسديه الأخرى فى العالم المرئى وبسبب هذه المعرفه فإنها تصير الانسان بلا إيمان .

ب ــ الدرجة الثانيه للمعرفه هى حين يجحد الانسان المعرفه الأولى [الجسديه] وينشغل بأفكار النفس ورغباتها وعندئذ يمارس الانسان تلك الأعمال الرائعه فى نور طبيعة النفس : الصوم والصلاة والصدقه والقراءه فى الكتاب المقدس وحياة الفضيله والجهاد ضد الشهوات . لأن كل الأفعال الصالحه وكل الملامح المرئيه للنفس إنما هى لخدمة النفس التى هى بيت المسيح . والمعرفه فى هذه الدرجة الثانيه هى عمل الروح القدس الذى يعطى قوة لأفعاله . ولكن حتى هذه فهى مازالت ماديه ومتعدده وهى تحوى فقط الطريق الذى يقودنا إلى الايمان . ولكن مازالت توجد درجه عليا أخرى للمعرفه .

جـ ــ أما الدرجة الثالثه للمعرفه فهى درجة الكمال حيث يصير الانسان كاملاً ويقتنى كل ما هو للروح ، ويأخذ فى حياته القوة غير المنظوره التى تؤدى بها الخدمات بدون طريق الحواس ولكن خلال يقظة العقل حيث ترتفع المعرفه فوق الأشياء الأرضيه والاهتمام بالأعمال الزائله . حيث يقود الروح القدس هذا الانسان إلى فوق ويعطيه الايمان بالحياه الابديه والرغبه فيما وعدنا الله به والبحث بعمق عن الأسرار المختفيه . وعندئذ يملأ الايمان هذه المعرفه ويتحول إلى كل ما

هو جديد وعندئذ تصير هذه المعرفه كلها روحيه .

مار اسحق السرياني

٢ ــ المعرفة الفائقة :

عن طريق المثابره مع الأسرار والرؤى وترك الادراك الحسى خلفنا والتحرر من كل جهد عقلى وكل الأمور الحسيه والعقل وكل الأشياء الموجوده وغير الموجوده . وعندئذ نرتفع إلى فوق بلا معرفه حيث الاتحاد بالله الذى يفوق كل معرفه وادراك . وعن طريق الطهاره الكليه الممنوحه منه نرتفع إلى فوق حيث الشعاع الالهى حين نترك خلفنا كل شيء ونصير أحراراً من الكل .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

إن موسى حين تحرر من كل شيء مرئى إستطاع أن يدخل فى السحاب وإقترب من وصايا المعرفه ودخل فى غير المنظور الذى هو الله فوق الكل وتوقف عن كل معرفه وإتحد مع غير المدرك وتوقف عن المعرفه العقليه ودخل إلى المعرفه التى هى تفوق الكل .

القديس ديونسيوس الاريوباغى

والآن هذه هى التعاليم التى اعطيت لنا حيث ينسحب عقلنا من كل

ما هو خطأ ومن كل فكره خاطئه عن الله ويتحول من الظلمه إلى النور .

وعندئذ يصير قريباً من الأشياء المخفيه وعندئذ تنقاد النفس من الحواس المرئيه إلى العالم غير المرئى . وهذه اليقظه هى نوع من السحاب الذى غطى كل ما هو مرئى . وببطء تتعود النفس أن تنظر إلى ما هو مخفى ، ثم تبدأ النفس فى النمو خلال هذه الدرجات . وتسير إلى أعلى حيث تترك كل ما هو بشرى ثم تدخل الى الحجره السريه للمعرفة الالهيه وتقطع كل علاقتها بالمنظور وتترك خلفها كل ما تستطيع أن تدركه بالحواس والعقل . والشىء الوحيد الذى يترك لها بالتأمل هو غير المرئى وغير المدرك بالحواس ، حيث يوجد الله . وهذا هو ما أخبرنا به الكتاب المقدس عما حدث مع موسى حين إرتفع إلى السحاب المظلم حيث يوجد الله [خر ٢٠ : ٢١] .

القديس اغريغوريوس اسقف نيصص

إن العروس محيطه بالليل ولكن العريس يقترب منها دون أن يكشف عن ذاته ولكنه يعطى للنفس حواساً معينه لتدرك حضوره حيث تهرب من المعرفه المرئيه .

القديس اغريغوريوس اسقف نيصص

وعندئذ تهرب النفس من كل مالا تستطيع أن تحصل عليه وتصير متعبه ومرتبكه ثم ترجع ثانيه إلى حيث تتحد بما هو فوق حيث يختلف كل

الاختلاف عما تعرفه النفس .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

إن النصوص المقدسه تعلمنا أن المعرفه الروحيه تحدث أولاً كشعاع من نور فى أولئك الذين إختبروه . وفى الواقع إن كل ماليس من التقوى يعتبر ظلاماً . ولكى تتبدد الظلمه يجب أن يكون لك شركة مع النور . ولكن حينما تتقدم النفس وعن طريق الكمال العظيم تعظم معرفة الحق . وكلما نقترب إلى تلك الرؤيه كلما نرى أن الطبيعه الالهيه غير مرئيه . وعندئذ نترك كل الظهورات السطحيه سواء ما ندركها بالحواس أو ما يستطيع العقل أن يراه . وعندئذ نسير فى العمق حتى نستطيع عن طريق الروح أن نخترق غير المنظور وغير المدرك وهناك نستطيع أن نرى الله .

إن الرؤيه والمعرفه الحقيقيه لما نطلبه هو غير مرئى فى اليقظه لأن هدفنا يفوق كل معرفه . وفى كل مكان نستطيع أن ننزع منا كل ظلمه . وهذا هو ما يشرحه لنا القديس يوحنا الانجيلى الذى إخترق الظلام المضىء وأخبرنا بأن « الله لم يره أحد قط » يو ١ : ١٨ . فهو يخبرنا بأنه ليس أى إنسان ولا خليقه عاقله تستطيع أن تصل إلى المعرفة الكاملة لله .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

إن حضور الله فى الظلمة يبدد الأشياء المرئيه ويمنح الحق الذى يقترب من

الظلمه التى هى عدم المعرفه ، حيث يعلن معرفته غير المنظوره التى هى القداسه الكامله التى فوق كل الأشياء والتى هى غير معروفه وذلك عن طريق رفض كل معرفه يمتلكها الانسان وعندئذ يزداد فهم الانسان .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

قال أحد الأباء[٣٥] :

إن الذين تطهروا فى الهدوء يعرفون أن الله يفوق هذا التأمل وهذه البدايه وأنهم يمتلكون النعمه التى تفوق العقل وهم يمتلكون ما هو فوق الرؤيه الطبيعيه لأن رؤية الأشياء الالهيه تختلف عن المعرفه النظريه وتفوق عليها .

رابعاً ـــ نــور اللــه :

قال أحد الأباء[٣٦] :

الذى يحفظ نفسه بلا دنس والذى يجبر عقله أن يفكر فى الله فقط وفى كماله ويستخدم كلام الله فى شرح هذا الكمال ، فهو الذى علم حواسه أن تنظر بالصواب فى العالم المنظور وفى كل ما فيه ، وهو الذى أعلن له الله عظمة العقل المخفيه .

• • •

(٣٥) الأب اغريغوريوس بالاماس

(٣٦) الأب مكسيموس المعترف .

إن أفكارى تعمل دائماً فى صلاة يسوع . ولذلك أنا أشعر بفرح عظيم . ومن ذلك الوقت وأنا أختبر لذة فى قلبى وفى عقلى . وكثيراً ما يمتلىء قلبى بالسعاده حيث يغطيه النور والحريه والتعزيه حتى أننى تغيرت بالتمام سرت مسروراً . وأحياناً أشعر بالحب المتألق نحو يسوع المسيح وكل خليقه له . وتمتلىء عينى بدموع الشكر لله الذى سكب من نعمه علىّ أنا خاطىء .

من مذكرات سائح روسى

الفصل السابع
الإنسان الجديد

أولاً : السكون الكامل [إنعدام الشهوات]

ثانياً : صلاة يسوع .

ثالثاً : الانسحاق [الغربه] :

١ ـــ الدموع .

٢ ـــ الرحمه .

٣ ـــ التوبه .

رابعاً : اليقظه [الانتباه الداخلى] .

الفصل السابع
الإنسان الجديد

« قلباً نقياً إخلق فيّ ياألله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى . لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبه أعضدنى . فأعلم الائمة طرقك والخطاه اليك يرجعون ...... لأنك لا تسر بذبيحه وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى . ذبائح الله هى روح منكسره . القلب المنكسر والمنسحق ياالله لا تحتقره . أحسن برضاك إلى صهيون . ابن أسوار أورشليم » .
مز ٥١ : ١٠ ــ ١٣ و ١٦ ــ ١٨ .

أولاً ــ السكون الكامل :

إن معلمينا الممجدين ومرشدينا الذين يحيا فيهم الروح القدس بحكمة قد علمونا . خاصة أولئك الذين رغبوا فى حياة السكون الالهى وكرسوا حياتهم بالتمام لله . وقد تركوا العالم لكى يمارسوا السكون بحكمه ، وقد فضلوا الصلاة للرب فوق كل عمل أو إهتمام آخر وتوسلوا إلى مراحم الله برجاء لا يخيب . فهؤلاء مارسوا الانشغال الدائم مع قداسة الله ومع إسمه

الحلو ، حيث يحملونه دائماً فى عقولهم وفى قلوبهم وعلى شفاههم . وهم قد أجبروا ذواتهم بكل وسيله ممكنه أن يكونوا مع الله وأن يكون الله فى حياتهم وفى نفوسهم وفى نومهم وفى يقظتهم وفى مشيهم وأكلهم وشربهم . وبصفة عامه إستطاعوا أن يفعلوا كل ما هو واجب عليهم وهم فى حضرة الله . لان غياب الله عنا يجعل كل الأشياء الضاره تأتى الينا ولا تترك مكاناً لأى شيء يقيد النفس . ولكن فى حضور الله تهرب الشرور كلها وعندئذ لن ينقص أى صلاح من النفس ويصير كل شيء ممكنا كما يقول الرب نفسه « الذى يثبت فىّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير . لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ :٠ ٥ . وعلى رغم عدم إستحقاقنا فإننا ندعو بإيمان هذا الاسم اللائق بكل عباده وبمعونته نتجاسر أن نبدأ ونسير وفقاً لهذه الكتابات .

الراهبان كاليستوس وأغناطيوس

قال أحد الأباء المتوحدين[٣٧] :

إن العفه هى عمل روحى يمارس مع اليقظه وبمعونة الله إنها تخلص الانسان بالتمام من الشهوات والأفكار والكلمات والافعال الشريره . وعلى قدر ما يستطيع الانسان أن ينال من النعمه فإنه يدرك معرفة الله الحقيقيه . والعفه تعطى فى الخفاء إدراك الأسرار الخفيه . والعفه هى الفاعل

(٣٧) الأب هسكيوس .

فى كل وصيه فى العهدين القديم والجديد وهى التى تمنح كل بركة فى الحياة المقبله وهى تحمل فى ذاتها طهارة القلب حيث قال الرب يسوع المسيح « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » مت ٥ : ٨ ونحن نشترى العفه بسعر غالٍ . وإذا وجدت العفه دائماً فى الانسان فإنها تصير مرشده له فى البر وسوف يجعل الله حياة ذلك الانسان سعيده . والعفه بمثابة سلم نحو التأمل ، وهى تعلمنا كيف تضبط الحركات الثلاثه التى فى النفس ، وهى تحرس الحواس بأمان . وهى تزيد بإستمرار كل يوم الفضائل الاربعة الكبرى التى هى الحكمه والشجاعه والتقشف والبر .

١ ـ عدم الشهوات :

قال القديس باسيليوس الكبير عن عدم الشهوات : [من صار محباً لله ويريد أن يشترك فى هذا الحب فإنه يجب أن يجاهد لكى يبعد أفكاره عن الشهوات الماديه التى تزعج النفس وأن يتأمل فى الأشياء الالهيه بعين واضحه غير متردده وعندئذ سوف يتمتع بالفرح الالهى بلا توقف .

وهذا الانسان الذى وضع فى نفسه عادة الجهاد هذه فإنه يصير قريباً من الله . وعلى قدر مشابهته لله الذى يحبه ويفرح به فإنه يجاهد فى كل عمل صعب ويصبح له نعمة الحديث مع الله بفكر طاهر ولا يختلط قط بأى شهوه جسديه] .

ولقد كتب القديس مار اسحق السريانى عن الانسان عديم الشهوات فقال : [إن عدم الشهوات لا تعنى عدم الاحساس بالشهوه بل تعنى

رفض تلك الشهوات . شكراً للفضائل العديده المتنوعه التى أحرزها القديسون لانها تجعل الشهوات تفقد قوتها فيهم ، ولا تستطيع الشهوات أن تقوم لتحارب النفس . ولم تعد الأفكار تحتاج إلى جهد وتركيز لاثارة الشهوات ، لان كل وقت القديسين مملوء بالتفكير والدراسة والبحث عن كمال التأمل] .

وحيثما توجد الشهوات أو تتحرك فإن العقل يستطيع أن يبتعد عن تلك الشهوات بإدراك الأمور الالهيه التى دخلت اليها ، وعندئذ تصير الشهوات بلا فاعليه كما قال القديس مرقس الناسك .

وحين يمارس العقل أعمال الفضيله بنعمة الله ويقترب من المعرفه فإنه لن يشعر بالشهوات الرديئه التى تعمل مع النفس . لأن هذه المعرفه ترفع العقل وتجعله غريباً عن كل شيء فى العالم عن طريق الطهاره والخشوع وإستنارة العقل والسلوك أيضاً . لأن عقل القديسين يمتلىء بالنور ويصير طاهراً لان أجسادهم صارت بلا شهوات خلال عمل الصمت والسكون وطول إقامتهم فى الهدوء . وعندئذ يأتى التأمل بسهولة وبسرعه لكل منهم ويسكن فيهم ويقودهم للدهش فى عمق ما يتأملون فيه .

لأنه حين لا تتصادق النفس مع الشهوات ولا تفكر فيها وتكون مشغوله بتفكير آخر فإن هذه الشهوات تفقد قوتها وقدرتها على نزع الشعور الروحى .

الراهبان كاليستون وأغناطيوس

ثانياً ــ صلاة يسوع :

حدثنا بعض الأباء عن ضرورة ترديد الصلاة بأكملها [يارب يايسوع المسيح ابن الله إرحمنى أنا الخاطىء] والبعض الآخر يعلمنا أن نردد نصفها فقط [يايسوع ابن الله إرحمنى] أو [يارب يايسوع المسيح إرحمنى] أو نردد هذه الصلاة مرة كامله ومرة أخرى مختصره .

ويجب تخصيص وقت معين لتلك الصلاة كل يوم . والبعض ينصح بترديد هذه الصلاة بشفاهنا والبعض الآخر ينصح بترديدها فى العقل . ولكن فى رأيى أن كليهما واجب . لأنه كثيراً ما يكون العقل مرهق ولا يستطيع أن يردد تلك الصلاة وأحياناً تكون الشفتين مرهقه من العمل ولذلك يجب إستخدام كلا المنهجين عن طريق الشفتين وعن طريق العقل . لكن يجب على الانسان أن يتوسل إلى الله بهدوء وبدون إثاره حتى لا يزعج الصوت إنتباه العقل ويبدد صلاة العقل . وحتى يتعود العقل ويأخذ قوه من الروح ويثبت فى الصلاة بمعونة الروح وعندئذ لن يكون هناك إحتياج لترديد صلاة يسوع بشفاهنا . وفى الواقع إن من وصل لهذه الدرجه سيصير من الصعب عليه أن يرضى بأى عمل مادى فى الصلاة ولن يرغب قط فى ترك الصلاة .

القديس اغريغوريوس السينائى

بعد إستعراض أقوال الأباء بخصوص الحياه الداخليه قال الأب

نيسيفوروس من واقع خبرته [أنت تعلم ياأخى كيف تتنفس . نحن نتنفس الهواء داخلاً وخارجاً وعلى هذا التنفس تعتمد حياة الجسد ودفئه . هكذا إجلس فى قلايتك وإجمع عقلكِ وقُده إلى طريق التنفس حيث يدخل الهواء وإغصبه ليدَخل إلى القلب . وليبقَ العقل هناك مع القلب ولكن لا تدع العقل عاطلاً بلا عمل ولكن ردد هذه الصلاة « أيها الرب يسوع المسيح ابن الله إرحمنى » وإجعل هذه الصلاة هى شغلك ولا تتركها قط . وهذا العمل يحفظ العقل من كل انحراف . وقُد العقل للشوق الالهى والحب . وجاهد ياأخى حتى لا يخرج عقلك بسرعة لأنه أولاً يشعر بالوحده الداخليه ويحس أنه سجين ولكن حين يتعود على ذلك فإنه سيكره الانشغال بالأمور الخارجيه ، لأن ملكوت الله هو فى داخلنا . وبالنسبه للانسان الذى قد إختبر ذلك فى الصلاة الطاهره سيكتشف أن كل شيء خارجي يفقد فائدته وإنتباهه] .

هذه هى أقوال الأب الطوباوى نيسيفوروس Nicephorus التى نطق بها لأجل تعليم عقلنا حتى يترك الاهتمام العادى والأسر والتشتت وأن يرجع للتركيز فى ذاته . وخلال هذا الانتباه يتحد مع نفسه ويتحد مع الصلاة بالنزول إلى القلب ليبقى هناك للأبد .

الراهبان جاليستوس وأغناطيوس

قال أيضاً العظيم يوحنا فم الذهب [أنا أحثكم أيها الاخوه أن لا تكسروا أو تحتقروا قانون الصلاة] وبعد ذلك إستمر قائلاً [إن الراهب

حين يأكل أو يشرب أو يجلس أو يعمل أو يسافر أو يصغ إلى شيء فإنه يصرخ قائلاً « أيها الرب يسوع المسيح ابن الله إرحمنى » وهكذا يصل اسم الرب يسوع المسيح إلى أعماق القلب . وهكذا تسود فوق الحيه وتسود على المراعى الداخليه وتحصل على الخلاص والحياه للنفس . ويجب أن تحيا دائماً مع اسم الرب يسوع . وهكذا يتسلل اسم الرب إلى القلب ويدخل القلب إلى الرب ويصير الأثنان واحداً] وقال أيضاً القديس يوحنا فم الذهب [لا تجعل قلبك يتغرب عن الله ولكن أسكن فيه وأحرس قلبك دائماً بتذكار الرب يسوع المسيح حتى يتغلغل اسم الرب فى القلب وتكف عن التفكير فى أى أمر آخر . ليت المسيح يتمجد فيك] .

الراهبان جاليستوس وأغناطيوس

قال أحد الأباء[٣٨] :

إن صلاة يسوع ترددها هكذا [ايها الرب يسوع المسيح ابن الله إرحمنى أنا الخاطىء] ولم يكن أصلاً فى الصلاة كلمه [أنا الخاطىء] ولكنها أضيفت بعد ذلك وهى تتضمن إعتراف بالسقوط وهى تناسبنا جداً . وهى تسر الله الذى طالبنا بتقديم الصلوات التى تتضمن الاعتراف بخطايانا . إن الأباء قد سمحوا للمبتدئين وفقاً لضعفاتهم أن يقسموا صلواتهم إلى قسمين فأحيانا يقولون [أيها الرب يسوع المسيح إرحمنى أنا الخاطىء]

(٣٨) الأب أغناطيوس Ignatius Brianchaninvoy

وأحياناً أخرى يقولون [ياابن الله إرحمنى أنا الخاطىء] ولكن هذه ليست قاعدة ملزمه والأفضل أن نقول نفس الصلاة باستمرار . ردد كل صلواتك بدون أى تشتت بسبب تنوع الصلاة ، لأن الأب اغريغوريوس السينائى يمنع التغيير ويقول [إن الاشجار التى تنقل من مكان لآخر لا يكون لها جذور] .

• • •

من الجائز أن يصاب الانسان بالخبل حين يردد صلاة يسوع ولكنه لا يترك الخطيه والعادات الرديئه التى يدينها الضمير وهذا هو ما يسبب التعب الداخلى وحرمان القلب من السلام ثم ينمو العقل فى التخبط وتصير أفكار الانسان مشتته ومعرقله .

القديس ثيوفان الناسك

لقد بدأت أبحث عن مكان قلبى وفقاً لتعاليم القديس ثيوفان الناسك . وعيناىّ مغلقتان وأنا أنظر اليها فى أفكارى وأنا أحاول أن أبصر أفكارى كأنها فى جانبى الشمال من صدرى وأنا أنصت بانتباه إلى ضربات القلب . ولقد تعلمت ذلك مراراً كثيرة لمدة نصف ساعة كل يوم وفشلت أن أرى سوى الظلام فقط . ثم نجحت فى تصوير قلبى وحركاته . وعرفت كيف أدخل فيه وأخرج صلاة يسوع وأضبط صلاة يسوع مع النفس الخارج منى . وفى ذلك تتبعت تعاليم الأباء . وأنا أرى عقلى متحداً مع

قلبى ويقول يارب يايسوع المسيح ومع خروج النفس أقول إرحمنى . وهذا ما فعلته أولاً لمدة ساعة . ثم بعد ذلك لمدة ساعتين . ثم بعد ذلك حسب قدرتى . ثم أخيراً نجحت فى أن أفعل ذلك طول اليوم . وإذا فشلت فى عمل أى شيء ووقعت فريسه فى الكسل فإننى أسرع وأفتح كتاب الفيلوكاليا [من أقوال الأباء] وأقرأ فصلاً خاصاً عن عمل القلب وعندئذ أشعر بالحرارة والشوق للصلاة .

وبعد ثلاثة أسابيع لاحظت أن قلبى قد برد ولكن بعد ذلك تحول هذا الالم إلى دفء مشرق وتعزيه وسلام . وهذا ما جعلنى أردد صلاة يسوع بأكثر إهتمام . وتركزت أفكارى فيها بالتمام وشعرت بفرح عظيم . ومنذ ذلك الوقت وبدأت أحسّ بأحاسيس كثيره فى عقلى وفى قلبى . وفى أحيان كثيرة كان قلبى يحسّ بالسعادة التى تغمره وبالنور والحريه والتعزيه التى غمرتنى وملأتنى . وفى ذلك الوقت شعرت بالحب نحو الرب يسوع المسيح ونحو كل خليقة الله . وإمتلأت عيناى بدموع الشكر لله الذى سكب نعمته علىّ أنا الخاطىء جداً . وكما كان عقلى مظلماً وكئيبا من قبل إلا أنه بدأ يأخذ الاستناره فاستطعت أن أكون قادراً على الفهم بسهولة وأتأمل الأشياء التى كانت من قبل فوق إدراكى . وبدأت الحواس المشرقه تنتشر من القلب وتعم كل كيانى . وعندئذ أدركت حضور الله فى كل الأشياء . وبعد دلك حين أدعو اسم الرب يسوع فإننى اشعر بالسعاده . وتفسير [ملكوت الله فى داخلكم] أصبح واضحاً لى تماماً .

ومن هذه الاختبارات وغيرها من الاختيارات المعزيه وصلت إلى النتيجه بأن الصلاة الداخليه هى ثلاثة أنواع وهى تعلن ذاتها فى الروح وفى الشعور وفى الاعلان الخارجى . والروح تمتلىء بالعذوبه والرقه التى تأتى من محبة الله والهدوء الداخلى وسمو العقل وطهارة الأفكار والتذكار الحلو لله . وعندئذ تحصل على إحساس الدفء المشرق للقلب والفرح الذى من فوق والاستنارة والنشاط والاستمتاع بالحياه وعدم الاحساس بالألم والأسى .

ثم منحت اعلان إستنارة العقل وفهم الكتاب المقدس وكل كلمات الخليقه والحريه من الباطل وإدراك حلاوة الحياه الداخليه وإدراك الاقتراب من الله ومحبته لكل جنس البشر . وبعد قضاء خمسة أشهر فى الوحده ملأتنى الصلاة بالتعزيه وحدث لى نمو فى إستخدامها حتى أننى أصبحت أمارسها بإستمرار وبدأت تتغلغل من ذاتها فى عقلى وفى قلبى ، ليس فقط وقت يقظتى بل أيضاً وقت نومى ولم تتوقف حتى لحظة واحده فى أى عمل أقوم به . وشكرت الله وعاش قلبى فى فرح دائم .

السائح الروسى

ألم تقرأ عن صلاة يسوع ؟ إنك تعلم ما هى من خلال خبرتك وممارستك . انه بمساعدة هذه الصلاة فقط تستطيع أن تثبت النفس . وعن طريق هذه الصلاة فقط نستطيع أن نحتفظ بسلامنا الداخلى بلا إضطراب من أى إهتمام . وهذه الصلاة فقط هى التى تجعلنا نكمل الشركه

مع الأباء القديسين . حيث تعمل اليدان فى العمل اليدوى بينما يكون العقل والقلب مع الله . وحينما نحفر هذه الصلاة فى قلوبنا فإنه لن يكون هناك أى إنزعاج داخلى وسوف نستمر دائماً فى كل طريق .

إن وسيلة الحصول على السلام الداخلى صعب جداً . ولكنه مستطاع حين نحفر فى القلب صلاة يسوع . ولكن كيف نحفر هذه الصلاة فى القلب ؟ لن يعرف أحد كيف ؟ ولكنها تحدث لمن يجاهد فى إزدياء هذه الصلاة دون أن يعلم كيف كملت . ولكن لكى نجاهد فى هذه الصلاة الداخليه يجب أن نحيا دائماً فى حضرة الله ونكرر صلاة يسوع على قدر ما نستطيع . وحيثما تجد وقتاً ردد صلاة يسوع وسوف يكمل حفرها فى القلب .

وأحد الاشياء الهامه لاستعادة صلاة يسوع والحياة فيها هو القراءة ولكن يجب أن تكون القراءة عن الصلاة .

القديس ثيوفان الناسك

ثالثاً ــ الانســحاق [بكـاء الغـربه] :

١ ــ الدمــوع :

أولاً صل من أجل موهبة الدموع لأنه خلال الحزن تستطيع أن تروض الوحشيه التى فى نفسك وتعترف بخطاياك وتعدياتك على الرب وعندئذ

سوف تحصل منه على الغفران . صل بدموع وعندئذ سوف يسمع الله كل طلباتك لان الله يفرح جداً حينما تصلي بدموع . إذا سكبت دموعاً فى صلاتك فلا ترتفع فى نفسك وتظن أنك أفضل من الآخرين . لان صلواتك قد أخذت معونه حتى تستعد للاعتراف بخطاياك وحتى تصنع سلاماً مع الرب خلال دموعك . ولذلك لا تحول الدواء من الشهوات إلى شهوة وعندئذ تتحول نعمة الدموع إلى سبب للغضب .

القديس أوغريس

سأل أحد الأخوه أنبا بيمن قائلاً : ماذا أفعل يا أبى تجاه خطاياى ؟ فأجابه الشيخ : من يريد أن يدفع خطاياه فإنه يستطيع دلك عن طريق الدموع . ومن يستطيع أن يقتنى الأعمال الصالحه فإنه يستطيع ذلك عن طريق الدموع . لأن الدموع هى الطريق التى علمنا إياها الكتاب المقدس . والآباء كانوا دائماً يبكون . ولا يوجد طريق آخر غير الدموع .

أنبا بيمن

إن نبع الدموع الذى يسكبه الانسان بعد المعمودية هو أعظم من المعموديه ذاتها ــ ولو أن هذا القول فيه جرأه ــ لأن المعمودية تغسلنا من الخطيه التى كانت موجوده فينا قبلاً ، أما الشرور التى إرتكبناها بعد المعمودية فانها تغسل بالدموع لأننا قد لوثنا المعمودية التى أخذناها ونحن أطفال ولكننا نغسلها ونجعلها جديدة عن طريق الدموع . ولكن ما أقل

وأندر أولئك الذين سكنت فيهم نعمة الدموع .

يوحنا الدرجى

فى حالة الدموع كما فى كل شيء صالح لا يجب أن نحكم على أنفسنا بأننا أقوياء . لاننى قد رأيت دموعاً قليله تنهدر مثل قطرات الدم ورأيت أيضاً ينابيع من الدموع تنهمر بدون صعوبة أو تغصب .

يوحنا الدرجى

حينما تصل إلى مرحلة الدموع فاعلم أن عقلك قد ترك سجن هذا العالم وقد وضعت رجلك على طريق الحياة الجديدة وإبتدأت فى إستنشاق الهواء الجديد العجيب . وحيثما تنمو الدموع فهذه علامه على إقتراب الولاده الجديدة . إن نعمة الدموع هى أم جميع الفضائل لمن يرغب فى الداخل بالاحتفاظ بالصورة الالهية .

وهناك نوع من الدموع يأتى من وقت لآخر وأنا لا أتحدث عن هذا النوع من الدموع ولكن عن تلك الدموع التى لا تتوقف ليلاً أو نهاراً : إن عيون ذلك الانسان الذى وصل إلى هذه الدرجه يشبه نبع الماء لانه قد توقف عن الأفكار الشريره لسنين كثيره . وبعد أن يتوقف عن تلك الأفكار فإنه يصل إلى ما قاله الرسول بولس عن الدخول إلى الراحة والهدوء « لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة » عب ٤ : ٣ وفى هذه الراحة والهدوء

السالم فإن العقل يبدأ فى تأمل الأسرار . وعندئذ يبدأ الروح القدس أن يكشف لذلك الانسان الاشياء السمائيه ويأتى الله ويسكن فيه ويقيم فيه ثمار الروح القدس . وحينما تدخل إلى مرحلة الهدوء فى الفكر فإن الدموع سوف تأتى اليك فى الوقت المناسب .

مار اسحق السريانى

قال أحد الآباء[٣٩] :

١ ــ ياالله نقِ قذارة نفسى وإمنحنى دموع التوبة .
إن محبة الدموع تأتى من الحب ، إنها دموع الخلاص .
الدموع هى التى تنقى ظلمة العقل .
إجعلنى نوراً حتى أستطيع أن أراك .
يانور العالم إمنحنى نوراً لعينىّ التائبتين .

٢ ــ إذا إمتلك الانسان فى نفسه نور الروح القدس فإنه لن يقدر أن يحتمل شعاعه ولسوف يسجد على الأرض ويصرخ فى خوف عظيم ورعب كمن يرى ويختبر شيئاً فوق الطبيعة وفوق كل كلام وتعبير . وهو فى ذلك يشبه من وضع أحشائه فوق النار ولا يحتمل هذا اللهيب ، فهو ينحل بالتمام عن طريقها ويتخلص من كل قوه ذاتيه فى نفسه . ولكن خلال الماء الدائم المنهمر من دموعه فإن شعاع

(٣٩) الأب سمعان اللاهوتى .

الرغبة الالهيه الذى فى قلبه يشتعل فيه ويجلب ينابيع من الدموع تغسله ويشرق فيه هذا النور وعندئذ يتحد مع الله ويصير معروفاً لديه .

٣ ــ بدون الدموع فإن قلوبنا القاسيه لن تصير لينه ولن تستطيع نفوسنا أن تقتنى الاتضاع الروحى ولا يكون لدينا القدره أن نصير متواضعين . لأن الذى ليس عنده تدبير فإنه لا يستطيع أن يتحد بالروح القدس . وبدون الاتحاد مع الروح القدس بعد التطهير فإن الانسان لا يتوقع المعرفة أو التأمل الالهى ولا يستطيع أن يكون متدبراً بالفضائل المخفيه التى للاتضاع .

٢ ــ الرحمة :

ولكن ما هو القلب الرحوم ؟ هو إشتعال القلب بالحنان على كل الخليقه وعلى الناس والطيور والحيوانات وحتى على الشياطين وعلى كل الخليقة الموجوده . وحين يذكرهم صاحب هذا القلب الحنون فإن الاعين تمتلىء بالدموع . إن الرحمة العظيمة تجعل القلب يحن على كل شىء . لأن القلب الرحوم لا يستطيع أن يحتمل أو يسمع أو يرى أى أذيه أو أسى على أى خليقه فى العالم . وهؤلاء يحملون الحق نيابة عن الذين يؤذون الآخرين .

وهم يقدمون صلوات دائمة مصحوبة بدموع من أجل حماية الخليقه وفدائها بل وحتى من أجل الثعابين التى تزحف على الأرض . وإنهم

يصنعون كل هذا نتيجه للرحمة التى تملأ قلوبهم بلا حدود مثل الله .

مار اسحق السريانى

حينما يصير القديسون كاملين فإنهم يتشبعون بحب الله وحب الخليقه الموجوده أيضاً . وحينما يكون القديسون مع الله فإنهم يمتلئون بالشفقه والرحمه على أخوتهم . وهكذا فعل أباؤنا الرهبان حينما صاروا فى كمال شبه الله فهم يأخذون فى أنفسهم .كمال الحياة فى المسيح . دعنا نقول بأن من يحب هذا العالم فإنه لن يستطيع أن يدرك محبة الآخرين ، لانه حين يحصل أى أحد على الحب فإنه يستطيع أن يكون قريباً من الله .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء(٤٠) :

لماذا يطلب الكاهن من المؤمنين فى القداس الالهى أن يصلوا من أجل أشياء كثيرة . ولكن المؤمنين يطلبون شيئاً واحداً فقط وهو الرحمة لانهم يصرخون قائلين [يارب ارحم] ولماذا هم لا يرسلون لله سوى تلك الصرخه فقط . إن هذه الصلاة [يارب إرحم] تحوى أولاً العرفان بالجميل والاعتراف به وثانياً لكى يستجدوا رحمة الله بأن يطلبوا ملكوته . وهذا الملكوت قد وعد الله بأن يعطيه للذين يطلبونه « أطلبوا أولاً ملكوت الله »

---

(٤٠) الأب نيقولاوس .

ولكن يؤكد لهم بأن كل الأشياء الأخرى سوف تضاف لهم . من أجل هذا فإن هذه الصلاة [يارب إرحم] كافيه للمؤمنين لأنها طلب عام . ولكن كيف نعلم أن ملكوت الله يمنح للرحومين ؟ إن الاجابه أن المسيح يتحدث عن مكافأة الملكوت أنها مكافأة الرحمة . ورحمة الله وميراث الملكوت هما واحد لأنه قال [طوبى للرحماء لأنهم يرحمون] مت ٥ : ٧ وهو سيقول لأولئك الرحماء الذين أطعموا الجياع وأسقوا العطاش وكسوا العرايا [تعالوا يامباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم] مت ٢٥ : ٣٤ .

● ● ●

إن الله قد أعطانا إبنه الوحيد وهو لم يشفق عليه ولكنك أنت تحتقره . وهو الذى تألم من أجلك ووضع نفسه حتى الموت لأجلك . هو جاع من أجلك وأعطاك كل ماله من أجل منفعتك وأنت ترفض أن تعطيه أى شىء .

فأى قسوه أكثر من تلك القسوه حتى تصير قلوبنا بارده هكذا . إنه لم يرض أن يحتمل الموت على الصليب فقط ولكنه إختار أن يصير فقيراً وبلا مأوى ومعدماً وعرياناً ومحبوساً وهو يدعوك أن تشاركه .

وهو يدعونا أن نشفق على فقرائه والمرضى والمسجونين ويقول لنا : إن كنت لن أرجع ثانيه لكى أتألم من أجلك فعلى الأقل إشفق على هؤلاء . لان هذا طلباً بسيطاً فأنا لا أطلب منك شيئاً مكلفاً ، فقط كسرة خبز أو

مأوى أو حتى كلمات قليله . برهن على طلبك للملكوت الذى وعدتك به . ألا قيمة لكل هذا فى عينيك ؟ على الاقل بدافع الشفقه الطبيعيه [إن لم يكن بدافع طلب الملكوت] يجب أن تتأثر حين ترانى عريانا . وتذكر كم كنت عرياناً على الصليب حين تألمت من أجلك . فإذا رأيت العرايا والفقراء والمحتاجين فبرهن أنك تحسّ بى . إننى صمت من أجلك وها أنا الآن جوعان [فى شخص الفقراء] . أنا عطشت على الصليب وها أنا اليوم عطشان فى شخص الفقراء . ولذلك أنا أجذبك إلى نفسى من أجلك حين تكون شفوقاً على المحتاجين .

هكذا يقول لنا الله : إنك تثبت فىّ حين تصنع الخير وأنا أعدك بالملكوت من أجل تلك الشفقه والرحمه . وأنا لا أقول لك أعط كل ثروتك للفقراء ولكن كل ما أطلبه هو كسرة خبز فقط أو رداء لسد عرىّ . وإذا كنت أنا فى السجن فأنا لا أطلب منك أن تخلصنى من القيود وتحررنى . ولكن كل ما أطلبه هو أن تزور مسجوناً فقط وعند عودتى سأعطيك السماء وسأخلصك من القيود التقيله . **أنا أستطيع أن أكافئك بالملكوت بدون عمل الرحمه ولكننى أريد** أن أكون مديونا لك حتى أستطيع أن أكافئك بالملكوت وحتى يكون لك ثقة .

القديس يوحنا فم الذهب

٣ ـ التـوبـة :

التوبة هى تجديد المعمودية وهى علاقة مع الله للحياة الثانية . التائب

يشترى الاتضاع . التوبه هى رفض دائم للتعزيه الجسديه . التوبه هى إدانة للنفس وتحرر من الذات . التوبه هى بنت الرجاء وهى إحتقار اليأس . التوبه هى دفع العار والخزى عن المذنب . التوبه هى تصالح مع الرب بممارسة الأعمال الصالحة التى هى عكس الخطايا . التوبه هى تطهير الضمير . التوبه هى تحمل التجارب بكل نشاط . التوبه هى إحتمال العقاب . التوبه هى إذلال البطن . التوبه هى جهاد النفس فى يقظه شديده .

يوحنا الدرجى

لا تتعجب إذا سقطت كل يوم . لا تيأس ولكن قف بشجاعة وأكد للملاك الذى يحفظك أنك سوف تصبر . وتستطيع أن تشفى [من الخطيه] بينما الجرح مازال ينزف ولكن إذا أهملته وتركته فإنه سيصير من الصعب شفاؤه وستحتاج إلى علاج طويل وربما إستئصال وقطع . وبعض الجروح تصير عديمة الشفاء بسبب الأهمال ولكن بمعونة الله كل شىء يصير ممكنا .

يوحنا الدرجى

لا شىء يضاهى مراحم الله . لأن من ييأس فإنه ينتحر . علامة التوبه الصحيحه هو الاحساس أننا نستحق كل المتاعب المرئيه وغير المرئيه التى تأتى علينا بل وحتى البشعه منها . إن موسى بعد أن رأى الله فى العليقه

رجع ثانيه إلى مصر التى هى الظلام وصنع الطين ولكنه قاد الشعب ثانيه إلى العليقه [حيث يوجد الله] وإلى الجبل . والذى قد إختبر التأمل فى مراحم الله فإنه لن ييأس من خلاص نفسه قط . ومع أن أيوب أصبح معدماً إلا أنه صار غنياً أضعاف ما كان من قبل .

يوحنا الدرجى

قال أحد الأباء[٤١] :

إنه شيء حسن أن تتوب لانه توجد فوائد كثيرة للتوبه . إن الرب يسوع المسيح الهنا الذى يعرف كل شيء وكل شيء مكشوف أمامه قال « توبوا لأنه قد إقترب ملكوت السموات » مت ٤ : ١٧ هل تريد أن تعرف لماذا يستحيل علينا أن نخلص بدون توبه ؟ أنظر إلى قول الرسول بولس « لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » ٢ كو ٥ : ١٠ .

دعنا نتوب بكل قلوبنا ، وأن نترك ليس فقط أفعالنا الشريره بل وأيضاً أفكارنا الدنسه وأن نجعل أفكلرنا وفقاً لقول الكتاب « مزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب الهكم لأنه رءوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفه ويندم على الشر » يوئيل ٢ : ١٣ .

---

(٤١) الأب سمعان اللاهوتى .

إخبرنى ماذا نستفيد إذا وزعنا كل أموالنا على الفقراء ولم نترك الخطيه ونبغض الشر ؟ وماذا ننتفع إذا لم نرتكب الخطايا الجسديه ولكننا سقطنا فى الأفكار الشريره وسيطرت علينا شهوات النفس الشريره ؟ أنا أتوسل اليك دعنا نترك مع ثرواتنا التى نعطيها للفقراء العادات الشريره التى أشرنا اليها فيجب أن نترك تلك الخطايا الدنسه بدموع التوبه .

رابعاً ــ اليقظة الداخلية :

يجب أن نعلم أن اليقظه هى إنتباه القلب وعدم تركه . وأن نعلم أن المهم ليس وضع الجسد بل الحاله الداخليه . وهدفنا الرئيسى هو أن نقف بيقظه فى القلب وأن ننظر إلى الله ونصرخ اليه .

القديس ثيوفان الناسك

كتب القديس بولس الرسول عن الانتباه فقال « فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء . مفتدين الوقت لأن الأيام شريره » أفسس ٥ : ١٥ ــ ١٦ . وقال القديس مار اسحق : أيتها الحكمه كم أنت عجيبه . طوبى لمن حصل عليك لأنه قد تخلص من إهمال الشباب . إن محبة الحكمة تعنى دائماً أنك تصير يقظاً فى الأمور الصغيره بل وحتى التافهه . مثل هذا الانسان يحصل على كنوز السلام العظيمة وهو لا ينام . ولذلك لا يستطيع أى عدو أن يسقطه ويستطيع أن ينزع

كل ما يسبب السقوط . وهو يحتمل الأمور الصغيره حتى يصل إلى إحتمال الأمور الكبيره . والانسان الحكيم يقول : كن عاقلاً وأحرس نفسك لأن كسل العقل يقود إلى الموت .

ويقول القديس باسيليوس : الذى هو مهمل فى الأمور الصغيره فإنه لا يستطيع أن يكون غيوراً فى الأمور الكبيره .

الراهبان جاليستوس وأغناطيوس

إجمع أفكارك وركز عقلك حتى تستطيع أن تصلى بلا توقف بطهاره وبلا تشتت وكما يقول الأب نيللوس : الانتباه لطلب الصلاه يجعلنا نجد الصلاه . لان الذى يقود للانتباه هو الصلاة . ويجب أن نوجه جهادنا للصلاه .

الراهبان جاليستوس وأغناطيوس

قال أحد الأباء[٤٢] :

إن الانتباه هو علامة التوبه الخالصه . واليقظه هى جمع النفس إلى ذاتها . وكراهية العالم والصعود إلى الله . اليقظة هى ترك الخطيه وإقتناء الفضيله . اليقظه هى عدم الشك فى غفران الخطايا . اليقظ هى بداية التأمل أو هى

(٤٢) الأب نيسفوروس المتوحد Nicephorus the Solitnr .

حالتها الضروريه . لأن الله يقترب الينا عن طريق اليقظه ويعلن نفسه للعقل . اليقظه هى سلام العقل أو هى الوقوف بثبات أمام الله بدون أى إنحراف أو تشتت خلال مواهب الله ورحمته . اليقظه هى قطع الأفكار ، هى تذكار الله الدائم وهى كنز قوة التحمل لكل ما يأتى علينا . اليقظه هى أصل الايمان والرجاء والمحبه ، لأن الذى ليس عنده ايمان لا يستطيع أن يحتمل التجارب التى تأتى اليه . والذى لا يحتمل التجارب بإرادته فإن الرب لن يكون حصنه وملجأه . والذى لا يكون الله حصنه وملجأه لا يمكن أن يكون مخلصاً فى حبه لله .

الفصل الثامن
الشركة مع المسيح

أولاً : سكنى المسيح .

ثانياً : الافخارستيا .

ثالثاً : نور من نور :

١ ــ النور .

٢ ــ التحول .

رابعاً : القيامة :

١ ــ المجد .

٢ ــ القيامة .

الفصل الثامن
الشركة مع المسيح

« فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . إهتموا بما فوق لا بما على الأرض . لأنكم قد متم وحياتكم مستتره مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد » .

كولوسى ٣ : ١ ـــ ٤

أولاً ـــ سكنى المسيح :

قال أحد الأباء[٤٣] :

١ ـــ يالاتساع المجد وبالزيادة المجد لذاك الذى يحتوى كل الاشياء حين يسكن فى داخل الانسان الفاسد المادى . والذى يسكن فيه يصير قوياً ويملك كل شيء . يالعجب أعجوبة الله غير المدرك بخصوص أعماله وأسراره غير المدركه حتى أن الانسان يحمل الله فى نفسه

(٤٣) الأب سمعان اللاهوتى .

كنور . الانسان يحمل الله الذى حلق كل الأشياء وخلق الانسان نفسه . الانسان يحمل فى داخله الكنز الذى يفوق الوصف بالكلام أو بالكتابه . أي كمية أو كيفيه أو شكل أو شبه هو يفوقها بل ويفوق كل النور أيضاً .

٢ ــ إنصت الآن إلى معجزاته الهائله :

نحن قد صرنا أعضاء فى المسيح والمسيح صار أعضاءنا .

المسيح صار يدى . المسيح صار قدمى البائسه .

وأنا غير السعيد صرت يد المسيح ورجل المسيح .

أنا أحرك يدى ويدى صارت هى المسيح كله .

وحتى لا ننسى ذلك فإن الله غير منقسم فى لاهوته .

أنا أحرك قدمىّ وها هما تشرقان مثل قدمىّ المسيح .

لا تتهمنى بالتجديف ولكن مرحباً بتلك الأشياء .

نحن نمجد المسيح الذى صنعك هكذا .

وإذا رغبت فى ذلك فإنك تصير عضواً فى المسيح .

وأيضاً كل عضو من أعضائنا يصير هكذا .

وكل ما هو قبيح من أعضائنا سوف يجعله الله جميلاً مكرماً .

بأن يكرمه مع جماله ومجده الالهى .

وحين نعيش مع الله فإننا نصير آلهه .

ولن نعود نرى قذارة أجسادنا بعد .

كل عضو من أعضائنا يصير هو المسيح بأكمله .

إنها بالحقيقة زيجه الهيه لا يعبر عنها .
أن الله بنفسه يتحد مع كل أحد . نعم أنا أكرر ذلك .
إنها بهجتى أن كل أحد يصير واحداً مع سيده .

قال أحد الأباء[٤٤] :

إن مشكلة حياتنا هى عدم الاتحاد مع الله بسبب خطايانا التى تمنع ذلك . ولذلك إهرب من الخطيه كهروبك من عدو مرعب يريد أن يدمر نفسك . لأنك حين تصير بدون الله فإن هذا هو الموت وعدم الحياة . دعنا نفهم عندئذ هدفنا . دعنا نتذكر دائماً أن سيدنا يدعونا لكى نتحد به .

تأكد من إقتراب الرب اليك حتى تحس بذلك وعندئذ تصلى إلى الله لكى تتلامس معه ليس بأفكارك وقلبك ولكن أيضاً بفمك ولسانك . لأن الكلمه قريبه منك فى فمك وفى قلبك !! ذاك هو الله .

إن إتحادنا مع الله سوف يكمل فى الحياة الأخرى وسيصير بالنسبه لنا مصدر النور والسلام والفرح والبركة . وهذا هو ما ندرك بعضه بالاختيار فى الحياة الحاضرة خلال الصلاة حينما تتجه نفوسنا بالتمام نحو الله ونتحد معه ، وعندئذ نشعر بالسعادة والهدوء والبساطة والفرح مثل الأطفال الذين يستريحون على صدور أمهاتهم . أو بمعنى آخر سوف نختبر الاحساس بمن

---

(٤٤) الأب يوحنا من كرونستات .

هو فوق الوجود [جيد يارب أن نكون ههنا] .

ولذلك جاهد بلا توقف لكى تحصل على البركه الابديه المستقبله . ولكن البدايه تكون بالاختيار فى الحياة الحاضره . ولكن ضع فى ذهنك أن هذه البدايه هى أرضيه فقط وغير كامله لاننا لا نرى سوى جزء منها فقط . كأننا نبصر من خلال زجاج معتم . ولكن كيف ستكون الرؤيه حين يكمل إتحادنا مع الله ، حين تزول الأشكال والصور والتشبيهات ويأتى ملكوت الحق ورؤية ما هو آت ؟

إنه يجب أن نجاهد بلا توقف فى كل حياتنا حتى الموت من أجل البركه المستقبله ومن أجل مستقبل إتحادنا مع الله تذكر أنك تسير دائماً فى حاضر حلاوة الرب يسوع المسيح وقل لنفسك دائماً : أنا أريد أن أحيا حتى أسر بحياتى فيمن أحبه وصلب من أجلى فوق الصليب . وفوق الكل سوف آخذه رفيقاً وصديقاً كل حياتى ذاك القدوس الذى أحبه . الذى هو كل شيء فى قلبى . إجعلنى عطشاناً من أجل خلاص الجميع . أفرح مع الفرحين وأبكى مع الباكين . لان هذا سوف يفرح الله الذى هو عزائى .

قال أحد الأباء(٤٥) :

إن فكر المسيح الذى أخذه القديسون وفقاً لقول الانجيل « أما نحن قلنا

---

(٤٥) الأب مكسيموس المعترف .

فكر المسيح » ١ كو ٢ : ١٦ يأتى ليس بسبب فقدان قوانا العقليه ولكن بالاستناره . حيث يصير للانسان فكر المسيح حين يفكر فى كل الأشياء بروح المسيح ويجعل كل الأشياء تفكر فيه .

ثانياً ـــ الافخارستيا :

« أؤمن يارب وأعترف أنك أنت بالحقيقه هو المسيح ابن الله الحى الذى جاء إلى العالم لكى يخلص الخطاه الذين أولهم أنا . أنا أؤمن أيضاً أن هذا هو جسدك السرى الحقيقى وهذا هو دمك الذكى الحقيقى . ولذلك أنا أصلى اليك لكى ترحمنى وتسامحنى على خطاياى التى فعلتها بقصد أو بغير قصد سواء كانت بالفعل أو بالكلام. سواء بمعرفة أو بجهل . وإمنحنى ألا أقع فى دينونة وأن أشترك فى التناول المقدس من أجل غفران خطاياى ونوال الحياة الأبدية . آمين .

فى هذا اليوم إستلمنى ياابن الله لكى أتناول من أسرارك حتى لا أكون خائنا وأسلم أسرارك إلى أعدائك . ولا أعطيك قبلة مثل قبله يهوذا ولكن أعرفك مثل اللص وأصرخ اليك قائلاً : إذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك .

ولا تجعل تناولى من أسرارك أيها الرب لأجل دينونتى أو الحكم علىّ ، ولكن من أجل شفاء نفسى وجسدى .

من قداس القديس. يوحنا فم الذهب

قال أحد الآباء[٤٦] :

أيها الخالق الذى أعطانى جسده الصالح . أيها النار التى تحرق غير المستحق لا تحرقينى ولكن أدخلى أيتها النار إلى أعضائى وإلى كل جزء فيّ ، إلى قلبى ونفسى إحرق أشواك خطاياى ونقى نفسى وقدسى فكرى ونيتى ومفاصلى وعظامى وإشرقى بالنور على حواسى الخمسه التى فى جسدى . وثبتى كل كيانى فى خوف الله . إحرسينى وأحفظينى وإرحمينى دائماً من كل فعل وكل كلمة تنجس النفس . نقنى يارب وإغسلنى وزينى وإجعلنى فى الطريق السليم . إمنحنى فهماً وإستنارة . دعنى أبرهن على جعل نفسى مسكناً للروح القدس فقط ولا يصير مكاناً لسكنى أى شر . وإجعل كل فعل شرير وكل شهوة تهرب منى كهروبها من النار من منزلك هذا . وحينما أتناول أدخل وأسكن فيّ . وها أنا أضع أمامك صلوات كل القديسين والقوات الملائكية والرسل الحكماء وفوق الكل صلوات أمك القديسه الطاهره . فى شفقتك إقبل صلواتهم أيها المسيح وإجعل خادمك إبناً للنور . إنك أنت وحدك أيها المطوب الذى تمنح القداسه والنور لنفوسنا . ونحن نقدم لك كل يوم المجد اللائق بك كأله وسيد لنا .

قال أحد الآباء[٤٧] :

إن الخبز الحقيقى الذى يقوى قلب الانسان [مز ١٠٤ : ١٥] الذى

---

(٤٦) الأب سمعان Simon Metaphrastes .

(٤٧) الأب نيقولاوس .

نزل من السماء ويعطينا الحياة [يو ٦ : ٣٢ ــ ٣٣] هو يكفى لكل شىء ويقوى عزيمتنا وينزع منا كل كسل وتراخى فى نفوسنا . إننا يجب أن نطلبه كل حين لكى يطعمنا وينزع منا كل جوع بتناولنا الدائم من مائدته . ويجب ألا نبتعد قط عن مائدته المقدسه نحن غير المستحقين لهذه الأسرار . ولذلك يجب أن نذهب للآباء الكهنه ونعترف بخطايانا حتى نستطيع أن نشرب من دمه الطاهر .

إن دم المسيح يغلق أبواب حواسنا ولا يسمح لأى شىء أن يدخل فيها لكى يؤذينا أو يحطمنا . ويجعل القلب الذى يسكن فيه هيكلاً لله أفضل من هيكل سليمان وهو يمنع الأصنام الشريره من الدخول فى المكان المقدس .

• • •

ها أنا أكتب لكل الكنائس وأشترك معهم لأننى سأموت بارادتى شهيداً من أجل الله إذا لم تمنعونى من ذلك . أنا أتوسل اليكم ألا تمنعونى من ذلك بسبب الشفقه التى فى غير محلها . وإسمحوا لى أن تأكلنى الحيوانات المتوحشه لأنها الطريق لوصولى إلى الله . أنا حنطة الله وبعد أن أطحن بأسنان الحيوانات المتوحشه أصير خبزاً طاهراً للمسيح .

القديس أغناطيوس الانطاكى

أنا لم أعد أتذوق ذلك الخبز الفانى ولا مباهج هذه الحياه . أنا أشتاق

إلى خبز الله الذى هو جسد يسوع المسيح ابن داود . وأنا أرغب أن أشرب من دمه المقدس الذى هو الحب غير الفاسد .

القديس أغناطيوس الأنطاكى

لذلك نحن نصير جسده ليس بالشوق فقط ولكن بالحقيقه والواقع . دعنا نتحد مع جسده الذى هو الخبز الذى يعطيه لنا كهبه . إنه يرغب أن يبرهن عن الحب الذى فيه نحونا ولهذا قد شابهنا ونزل بالجسد إلى مستوانا حتى نصير واحداً معه كما يتحد الجسد بالرأس . هذه بالحقيقه هى سمات الحب . وأكثر من هذا فإن المسيح قد صنع ذلك حتى يقودنا إلى الحب الأعظم . ولكى يكشف لنا الحب صار ممكنا لنا أن نتناوله إذا كنا نشتاق اليه . وليس فقط أن ننظر اليه بل أن نلمسه ونتناول جسده وأن نتحد معه وباختصار أن نكمل كل حبنا . ونحن نرجع من التناول من هذه المائده المقدسه مثل الأسود التى إشتمت رائحه النار فتصير مرعبه للشياطين ونصير عندئذ يقظين فى الحب الذى كشفه لنا .

القديس يوحنا فم الذهب

قال أحد الأباء[٤٨] :

أنا أتحدث عن الاتحاد الذى يأتى من الأسرار للذين تطهروا بالتوبه

---

(٤٨) الأب سمعان اللاهوتى .

وينابيع الدموع . فأنا آخذ فى سر التناول الجسد الالهى الذى من الله فأصير اله عن طريق ذلك الاتحاد الذى لا يعبر عنه . أنظر أى سر هو هذا !! فإن النفس والجسد وهما شيئان ولكنهما فى الانسان الواحد رغم أنهما شيئان . هكذا فى الاتحاد مع المسيح عن طريق شرب دمه . يصير الله والانسان اثنين متحدين . فأنا أتحد بهذه الطريقه مع إلهى فيصير الانسان الهاً بالمشاركه . ويدعى الانسان بنفس الاسم الذى لله الذى سمح له أن يشترك معه على نفس المستوى . وذلك مثل الحديد الذى له لون أسود ولكن حين ينغمس فى النار فإنه يصير كالنار . وتستطيع أن تقول عن الحديد أنه نار لأننا نراه مثل النار لذلك نحن ندعوه ناراً . وإذا لم تعرف ذلك بخبرتك فلا تحتقر اختبارات الآخرين الذين يصنعون لك ذلك .

إن المسيح يبارك بالتناول المقدس أولئك الذين يؤمنون به ويجعلهم خالدين معه وغير فاسدين مع بعضهم بعضاً . فمن ذا الذى يفصلهم أو يمنعهم عن ذلك الاتحاد ؟ إنهم قد ربطوا أنفسهم بالاتحاد مع المسيح عن طريق جسده المقدس . لأننا لو أكلنا جميعاً من خبز واحد فإننا نصير جسداً واحداً . ولذلك لا يوجد إنفصال فى المسيح منذ أن إتحدنا مع المسيح الواحد خلال جسده المقدس . ولأننا قد تناولنا منه الذى هو واحد وغير منقسم وأخذناه فى جسدنا فإننا يجب أن ننظر إلى أعضائنا كأنها ملك له وليست ملكاً لأنفسنا .

القديس كيرلس الاسكندرى

أكثر من هذا فإنه قال « هذا هو جسدى ... هذا هو دمى » فلا تظن أن هذا الذى قاله هو تشبيه بل هو تحول سرى بقوة الله ضابط الكل إلى جسد ودم المسيح . ولذلك فإننا نشترك فى ذلك الجسد المحيى المقدس الذى يحمل قوة المسيح .

القديس كيرلس الاسكندرى

إذا ما نحن تناولنا من جسد ودم يسوع الذى يعطى الحياه لجسدنا الميت ألا نختبر العمل العجيب حين نتناول من الافخارستيا المقدسه ؟ بالتأكيد إنه يحول الذين يتناولون منه إلى كماله وخلوده . ولأننا نحن فاسدين فى أجسادنا فإننا نفقد ضعفنا بذلك الاتحاد معه ونتحول إلى ما هو مناسب للافخارستيا الذى هو الحياه .

القديس كيرلس الاسكندرى

قال أحد الأباء(٤٩) :

أيتها الفضيله إننى أتوسل اليك أن تخبرينى من ذا الذى قد إحتواك فى نفسه ؟ إنه هو الله الذى هو قدوس قدوس قدوس . مع من تريدين أيتها النفس أن تتحدى ؟ مع ذاك الذى خلقنا . إمتلأى بالخوف والرهبه لان

(٤٩) الأب ناساروس Nasarus of Valaam .

النار الالهيه قد لمست الذى سبق وإتسخ بالكلام غير النافع الباطل عن طريق دنسنا . إن لسانك أيتها النفس قد تلوث بالشرور والأثام ولكن كيف تريدين أن تصلحى ذلك الأمر ؟ عن طريق دم المسيح الذى سيحكم علينا . إرفع يديك على شكل الصليب وإقرع صدرك وردد فى عقلك تلك الصلاة :

« آمين . آمين . آمين . أؤمن . أؤمن ..... الخ (+) » ردد تلك الصلاة بكل قلبك وبكل خوف ورهبه وتأنيب ضمير . وإرهب ذلك الموقف وإفهم ما أنت تفعله حتى لا تتناول من جسد الرب ودمه كدينونه عليك . إسأل الله كلى الرحمه حين يزورك فى لحظة التناول ويمنحك النعمه أن يكون فيك الانسحاق والشفقه وإنسكاب الدموع .

ثالثاً ـــ نـور من نـور :

١ ـــ النــور :

قال أحد الأباء[٥٠] :

١ ـــ من يتحد مع الله بالايمان ويدركه بالعمل فهو يستطيع أن يراه

(+) صلاة الامانة التى يقولها الشماس فى نهاية القداس « أؤمن أؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين . أطلبوا عنا وعن كل المسيحيين الذين قالوا لنا من أجلهم ، إذكرونا فى بيت الرب . سلام ومحبة يسوع المسيح معكم . رتلوا بنشيد الليلويا . صلوا من أجل التناول باستحقاق من الأسرار المقدسة الطاهرة والسمائيه » .

(٥٠) الأب سمعان اللاهوتى .

بالتأمل . وهو يرى أيضاً أشياء لا أقدر أن أكتبها . عقله يرى رؤى غريبه ويستنير قلبه ويصير مثل النور وهو بعد مايزال غير قادر أن يصف ذلك أو يدركه . عقله يصير مثل النور ويرى كل الأشياء مثل النور . والنور يصير فيه حياة . ويرى نفسه متحداً بالكمال مع النور . ورغم أنه يرى تلك الأشياء إلا أنه يبقى كما هو فى إتضاعه . وهو يدرك النور فى نفسه وفى دهشه . وفى الدهشه يرى النور بعيداً . ولكن حين يرجع إلى نفسه يجد نفسه مرة ثانية وسط النور وهو لا يجد أى كلام يصف به ما يراه .

٢ ــ لا تدع أى أحد يخدعك . الله هو نور ١ يو ١ : ٥ وأولئك الذين إتحدوا مع الله فإنه يعلن نوره لهم لأنهم قد تطهروا . وحين يشتعل العقل ــ الذى هو نور النفس ــ فليعلم أن النار الالهيه هى التى أشعلته . كم هو عظيم ذلك الانسان الذى يتحد مع الله روحياً وجسدياً أيضاً حين لا تنفصل النفس عن العقل ولا ينفصل الجسد عن النفس . وبعد أن يتحد الانسان مع نفسه [الجسد والنفس والروح] عندئذ يتحد مع الروح القدس الذى صار شريكاً معه وعندئذ يكمل ما قاله داود النبى « أنا قلت إنكم آلهه وبنو العلى كلكم » مز ٨٢ : ٦ . فهؤلاءهم بنو العلى الذين خلقوا على صورته ومثاله [تك ١ : ٢٦] فنحن صرنا أبناء الله بالروح القدس [يو ٣ : ٨] لان الرب قال « كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته إن لم يثبت فى الكرمه كذلك أنتم أيضاً إن لم

تثبتوا فيّ .... بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى » يو ١٥ : ٤ و ٨ وكما أن الآب ثابت فى الابن [يو ١٤ : ١٠] والابن كائن فى حضن الآب بالطبيعة [يو ١ : ١٨] هكذا الذين ولدوا من جديد خلال الروح القدس [يو ٣ : ٣ و ٥] وبنعمته صاروا أخوة للمسيح الهنا وأولاداً لله وآلهه بالتبنى فهم بالنعمة يثبتون فى الله والله يثبت فيهم [١ يو ٤ : ١٢] .

٣ ــ حين أسجد للحال أرى النور غير المادى يشرق فيّ ويملأ عقلى ونفسى وعندئذ يملأنى الدهش لهذا العجب . وحين أصير ذلك الدهش أتخاطب مع النور ثم ينتشر النور على كل ما هو مظلم فى نفسى وينزع منى كل إهتمام أرضى . وينزع منى كل ما هو كثيف مادى وينزع أيضاً الثقل الجسدى الذى يجعل أعضائى فى كسل وعدم حسّ . أى إجابه مدهشه لذلك !!

وإلى جانب ما يسكن فى نفسى من الفرح الروحى العظيم الذى لا ينطق به واللذه التى تفوق كل تذوق منظور فإنى أشعر بالحريه ونسيان كل الأفكار التى تخص هذه الحياه . وبطريقة عجيبه يكشف لى الرحيل من هذه الحياة . ولذلك يصير كل عقلى ونفسى مركزا فى الفرح الذى لا ينطق به الذى لهذا النور .

قال أحد الأباء[٥١] :

لقد إنسكب النور المبهج الذى من مجده الطاهر . من هو الآب الروحى الذى يمنح البركه السمائيه ؟ إنه قدوس القديسين يسوع المسيح ربنا . نحن الآن قد أتينا إلى ساعة غروب الشمس ولكن نور المساء الذى حولنا قد أشرق . وها نحن نسبح للآب والابن والروح القدس تلك التسابيح التى نرددها كل حين بلسان غير دنس لابن الله وحده الذى هو مانح الحياه فى كل العالم . لك المجد أيها الرب .

قال أحد الأباء[٥٢] :

حينما يتحد العقل مع القلب فى الصلاة . وحين لا تتشتت أفكار النفس فى الصلاة فإن القلب ينعم بالدفء الروحى ويشرق فيه نور المسيح ويملأ الانسان الداخلى بالسلام والفرح .

٢ ــ التحــول :

كل من يقترب من الله ويريد بالحق أن تكون له شركة مع المسيح فإنه يجب أن يطلب ذلك الهدف وهو التغيير من الحالة الأولى لكى يصير إنساناً جديداً ولا يحمل شيئاً من الأنسان العتيق « إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقه جديده . الأشياء العتيقه قد مضت . هوذا الكل قد صار

(٥١) الأب فوس هيلارون Phos Hilaron .

(٥٢) الأب سيرائيم من سيراف .

جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ . لأنه بالحقيقه قد جاء ربنا يسوع المسيح لهذا الهدف لكى يعيد ويحول ويجدد الطبيعة البشريه ويعيد خلقة النفس التى إنحرفت بالشهوات خلال الخطايا . فهو قد جاء لكى يوحد الطبيعة البشريه مع روحه القدوس . وعندئذ يصير للانسان عقل جديد ونفس جديده وعينان جديدتان ولسان روحى جديد ، وباختصار يصير إنساناً جديداً . ولذلك جاء المسيح لكى يعمل فى أولئك الذين يؤمنون به فيصيرهم أوانى جديدة ويمسحهم بنوره للمعرفه ويسكب عليهم خمراً جديدةً هو روحه القدوس . لأنه يقول لهم الخمر الجديدة [الروح القدس] يجب أن توضع فى زقاق جديدة [الانسان الجديد] مت ٩ : ١٧ .

القديس مكاريوس

قال أحد الأباء[٥٣] :

إن النفس التى تتأمل فى الأمثله التى قالها المسيح وتتجاوب مع النعمه التى فى الأسرار فإنها ترى ذاتها تتحول . وهذا التحول هو الفضيلة الحقيقية والتقديس الحقيقي اللذان يسكنان فى الاراده عن طريق سر الميرون المقدس .

---

(٥٣) الأب نيقولاوس Nicolas Cabasilas .

قال أحد الأباء[٥٤] :

إن الانسان يأتى إلى نهاية المخلوقات عن طريق اتحاده مع كل المخلوقات وذلك عن طريق الاتحاد مع الله الذى هو علة كل الموجودات . وعندئذ يستطيع الانسان أن ينمو ويتدرج فى الاتحاد مع الله والصعود الدائم اليه خلال الحديث الطاهر . وعندئذ تتحد السماء مع الأرض خلال حياة الفضيلة التى تشبه الحياة الملائكيه . وهذا هو اتحاد الطبيعة المنظورة مع غير المنظورة خلال قوة النعمه فيرى الانسان كل الأشياء فى الله أولاً كأنها منبعثه من الله إلى الوجود ثم يرى ثانيه رجوع الاشياء مرة ثانيه لله كأنه نهاية كل المخلوقات المتحركه وهو هدفهم الثابت لسر وجودهم . وهذا هو نهاية كل قاعدة وقانون وهو أن الله هو هدف كل كلمة وكل فكر وكل طبيعه وهو الثابت غير المحدود الذى هو هدف كل المخلوقات .

قال أحد الأباء[٥٥] :

كما أن الملائكة قد عينوا لكى يخدموا الله الخالق . وعملهم الوحيد هو أن يكونوا تحت السلطة . هكذا الانسان لم يخلق لكى يستعبد ويُساد بل لكى يسود هو على كل ما هو على الأرض .

---

(٥٤) الأب مكسيموس المعترف .

(٥٥) الأب اغريغوريوس بالاماس .

قال أحد الأباء[٥٦] :

إن الله قد وضع الانسان عظيماً فى خلقته على الأرض وجعله ملاكاً جديداً . وأشركه معه فى العبادة وسلطه على الخليقه المرئيه . ولكنه جعله جزءاً من الخليقه العاقله . وجعله ملكاً على كل ما على الأرض ولكنه خاضع لله الملك الفوقانى .

ولقد أوجد الله فى الانسان الروح والجسد . فالروح بسبب النعمة التى أعطيت له حتى يستمر فى الحياة التى يمجد بها الله مانح النعمه . والجسد لكى يتذكر ضعفه وضرورة إصلاحه إذا ما تكبر وسقط .

رابعاً ــ القيــامـة :

١ ــ المـجـد :

قال أحد الأباء[٥٧] :

إن الله هو الفرح الأبدى المملوء بالمجد . والمجد هو الاعلان الداخلى للكمال الداخلى . إن الله قد أعلن ذاته خلال الأجيال مع الابن والروح القدس . وهذا الثالوث المتحد هو إعلان عن المجد غير المدرك وغير المتغير . الله الآب هو « أبو المجد » أفسس ١ : ١٧ وابن الله هو « بهاء المجد »

---

(٥٦) الأب نيقولاوس .

(٥٧) الأب فيلارات من موسكو .

عب ١ : ٣ . وكمال مجد الآب للعالم هو الروح القدس لأن روح الله « روح المجد » ١ بط ٤ : ١٤ . إن الله يحيا فى مجده الذاتى فى سعادة كاملة فوق كل مجد ولا يحتاج إلى شهود لذلك ولا يقبل أى انقسام . ولكن من أجل نعمته ومحبته الأبديه فهو يرغب أن يشارك البشر فى البركه ويجعل الانسان يشاركه فى مجده . لذلك فهو يعلن كماله الأبدى لخليقته . وهكذا فإن مجده معلن فى القوات السمائيه ومعلن أيضاً فى الانسان . لأنه يعطى جسده لأولئك الذين لهم شركة معه . وحين يأخذون من مجده فهم يرجعون ذلك المجد له ثانية . وهذه الحركه الأبديه للمجد الالهى تحوى حياة البركة وسعادة كل الخليقة .

● ● ●

ذهب الأنبا لوط إلى الانبا يوسف وقال له : ماذا أفعل ياأبى لاننى رنمت مزامير قليله حسب قدرتى وصليت كذلك قليلاً ، وصمت قليلاً ، وصلواتى وتأملاتى فى البريه هى قليله حسب قدرتى ؟

وعندئذ وقف الشيخ ورفع يديه نحو السماء ثم تحولت يديه كما لو كانت عشرة مصابيح مضيئه من النار وقال له : إذا رغبت إجعل كل كيانك مثل النار .

عن كتاب حكمة أباء البرية

قال أحد الأباء[٥٨] :

بهذه الاستضاءه يحيا الانسان المطوب وفى لحظة الموت لا يفارقه النور

---

(٥٨) الأب نيقولاوس .

والانسان التقى دائماً يمتلك النور ويأتى إلى الحياة الابديه وهو مشرق . وفى وقت الدينونة العامه سيجرى إلى ذاك الذى كان معه كل الوقت . وسيتحدث الله مع كل من حفظ جسده وسوف ترتبط العظام والاعضاء بالرأس . وحينما يأتى وقت التحرر من الجسد فإن أولئك الاتقياء سوف يسرعون للمسيح بفرح لا يعبر عنه حتى يحصلوا على مكانهم المناسب كما قال بولس الرسول « الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه » ١ تس ٤ : ١٤ ولن يستطيع أى شيء بشرى أن يؤخر ذلك الاختطاف لأن المسيح نفسه سوف يأخذهم ولن يخضعوا لسلطان الزمن .

٢ ـــ القيـامـة :

قال أحد الأباء[٥٩] :

بالنسبه لكم أيها الأحباء لا يوجد أى شك بخصوص قيامة الموتى ، لأن فم الله الحى قد شهد بذلك قائلاً « أنا أميت وأحيى » تث ٣٢ : ٣٩ . وهكذا فإن كلا من الموت والحياة قد خرج من فم واحد . وكما أننا نحن متأكدون أننا سنموت ـــ كما حدث لمن ماتوا قبلنا ـــ هكذا يجب أن نؤمن أنه سيصنع حياة . وفى يوم القيامة فإن الجسد سيقوم بالتمام وسوف تأخذون من الرب مكافأة ايمانكم وثمرة ايمانكم أنكم سوف تفرحون وتبتهجون .

يوجد نوعان من الموت ولذلك يجب أن تكون هناك قيامتان . أما

---

(٥٩) الأب أفراهات .

المسيح فهو قد مات موتاً واحداً فقط لأن المسيح لم يخطىء ولكنه مات من أجلنا نحن لأنه لم يخضع للموت لأنه لم يرتكب أى خطيه . ولذلك من موت المسيح الواحد قام إلى القيامة الواحده . أما نحن الذين متنا مرتين [الأولى بالخطيه والثانيه بالجسد] فإنه توجد لنا قيامتان . وحتى الآن نحن قمنا مرة واحده فى المعموديه للخلاص من خطايانا . أما القيامة الثانيه فهى قيامة الجسد . وكما أعطانا الله القيامة العظيمة التى هى القيامة من الخطيه بالمعمودية هكذا نحن ننتظر القيامة الثانية . والقيامة الأولى فى المعمودية هى أعظم من القيامة الثانية التى للجسد لأنه شىء عظيم أن نتخلص من خطايانا من أن يرى الجسد القيامه واذا كانت الخطيه هى سبب سقوط الجسد فإن خلاص هذا الجسد بالتمام يستتبع قيامة ذلك الجسد .

القديس يوحنا فم الذهب .

قال أحد الأباء[٦٠] :

إن الاحتفال بأسبوع الالام مملوء مجداً وبالحق إن هذا المجد يعم كل الشعب المسيحى . وإن كثيرين يشتركون فى فرح الاحتفال بهذا الأسبوع . وليس الانسان الذى على الأرض هو فقط الذى يفرح بهذا الأسبوع ولكن أيضاً القوات السمائيه تتحد معنا فى فرحة الاحتفال بقيامة المسيح . لأن الملائكه والقوات ورؤساء الملائكه يصنعون إحتفالات مقدسه

(٦٠) الأب بروكلاس بطريرك القسطنطينية .

فى ذلك اليوم وينتظرون رجوعنا المنتصر من الأرض التى هى للمسيح ربنا الذى هو ملك السماء . والعديد من القديسين يفرحون أيضاً بقيامة المسيح المولود قبل الدهور « شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسه من رحم الفجر لك طل حداثتك » مز ١١٠ : ٣ وهكذا فإن الأرض تفرح لأنها قد إغتسلت بالدم المقدس . والبحر يفرح لانه تقدس بأقدام المسيح التى مشيت على الماء . وأكثر من هذا يجب على كل نفس ولدت مرة ثانية من الماء والروح أن تفرح لأنها قد تخلصت من اللعنه القديمه .

إشرقى إشرقى ياأورشليم من أجل مجد الرب الذى أضاء عليك . إفرحى وتهللى ياصهيون . وأنت ياأم الله غير الدنسه امتلئى بالفرح فى يوم قيامة إبنك لان المسيح قد قام وهزم الموت وأقام الموت . إفرحوا ياجميع أمم الأرض . إشرقى إشرقى ياأورشليم الجديدة لأن مجد الرب قد أضاء عليك . أصرخى وافرحى ياصهيون وأنت ياأم الله الطاهرة وابتهجى فى قيامة ذاك الذى ولدتيه . فى ذلك اليوم تفرح كل الخليقه وتبتهج لأن المسيح قد قام وتحطم الجحيم .

أيها المسيح كم أنت نبيل ومخلص ، وحلو هو صوتك لأنك منحتنا وعداً بأن تقيم معنا إلى الأبد . ونحن المؤمنين نتمسك بذلك الوعد لأنه أمل النجاه . وهكذا نحن نبتهج ونفرح فى ذلك اليوم لأن الرب قد حطم الجحيم وأقام أولئك الذين كانوا مقيدين فيه لأجيال طويله .

القديس يوحنا الدمشقى

قال أحد الأباء[٦١] :

إن أغلب البشر يؤمنون بقيامة المسيح ولكن قليلون هم الذين نالوا الرؤيه الواضحه لها . والذين ليس لديهم الرؤيه لا يستطيعون أن يقدموا الخشوع للرب يسوع المسيح . دعنا نعبد الواحد القدوس الذى هو الرب يسوع الذى هو وحده بلا خطيه . إن الروح القدس يحثنا أن نقوم مع المسيح . إن المسيح قد قام منذ سنين كثيرة . ومع كوننا لم نر تلك القيامة إلا أن الكتاب المقدس أخبرنا بذلك وهو لم يكذب علينا ولكنه يتحدث الحق . ولذلك يجب أن تأخذ قيامة المسيح مكانتها فى كل واحد منا نحن الذين نؤمن كل لحظة بقيامة المسيح فينا حتى يتألق النور فينا ويكسونا « الرب قد ملك . لبس الجلال . لبس الرب القدره . إئتذر بها » مز ٩٣ : ١ ويشرق النور فينا كأنه من الصباح الباكر . إن قيامة الرب هى التى تمنحنا أن نرى الرب القائم نفسه وعندئذ نقول « الرب هو الله وقد أنار لنا » مز ١١٨ : ٢٧ وعندئذ نلمح مجىء الرب الثانى ونضيف تلك الكلمات « مبارك الآتى باسم الرب » مز ١١٨ : ٢٦ وهكذا فإن أولئك الذين أعطاهم المسيح النور عندما قام وظهر لهم ظهوراً روحياً وكشف لهم مجد القيامة . وحين يحدث معنا ذلك خلال الروح فإنه يكون قد أقامنا من الموت وأعطانا حياة . إنه يمنحنا أن نراه هو غير الفاسد . وأكثر من هذا فإنه يمنحنا أن نعرفه بوضوح ذاك الذى يقيمنا ويمجدنا معه كما يشهد بذلك الكتاب المقدس .

---

(٦١) الأب سمعان اللاهوتى .

الفصل التاسع
الصحراء العامرة

أولاً : الرهبنه :

١ ـــ الرهبان .

٢ ـــ الخروج من العالم .

ثانياً : الاستشهاد .

ثالثاً : القيادة الروحيه :

١ ـــ التوجيه .

٢ ـــ الارشاد الروحى .

رابعاً : الصلب مع المسيح :

١ ـــ التجارب .

٢ ـــ السهر .

الفصل التاسع
الصحراء العامرة

« لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله . مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الايمان ايمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى . لست أبطل نعمة الله . لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيحُ إذن مات بلا سبب » .

غل ٢ : ١٩ ــ ٢١

أولاً ــ الرهبنه :

١ ــ الرهبان :

إن أسمى شيء هو طقس الرهبان الذين تنقوا بالتطهير الكامل عن طريق القوه الكامله والطهارة المطلقة وكل نشاطها . وهم يأخذون القدره على التأمل مع الرؤيه الروحيه والاشتراك فى كل سر مقدس مسموح لهم به [يقصد هنا الاشتراك فى سر التناول من جسد الرب ودمه] وهم يسلكون حسب القوه الكامله لأوامر الأباء الاساقفه . ويتصرفون حسب إستنارتهم الالهيه وتقاليدهم المقدسه فى الطقوس الالهيه التى يمارسونها فى الوقت

المناسب . إن قادتنا الروحيين يحسبون هؤلاء الرهبان مستحقين لكل إكرام . البعض يطلق عليهم المكرسين لله والبعض الآخر يطلق عليهم الرهبان بسبب طهارة طقسهم وإنتمائهم لله من أجل حياتهم المتحده غير المنقسمه . فهم متحدون بالرباطات المقدسه لمارساتهم المختلفه التى توحدهم وتكملهم فى الحب الالهى . ولذلك فإن القانون الالهى قد وضع عليهم النعمة الكاملة وحسبوا مستحقين للتقديس والتكريس .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

قال أحد الأباء[٦٢] :

دعنا نستعد ـــ نحن الرهبان ـــ كأننا تقدمات مقدمه كثمار للملك فى صوم وصلاة . دعنا نحرس العربون فى طهارة حتى يعطينا الثقه أن نملك على جميع كنوزه . لأن كل من يغش عربون طهارته فإنه سوف يمنع من الدخول إلى كنوز الله . دعنا نكون حريصيين على أجسادنا التى هى أجساد المسيح حتى تقوم أجسادنا إلى قيامة الحياة عند سماع صوت البوق الأخير . دعنا نسرع عند سماع صوت العريس حتى نذهب معه إلى العرس . دعنا نعد هدية عرسنا ليوم العرس . دعنا نذهب لكى نتلاقى معه بفرح دعنا نلبس اللباس المقدس حتى نكون فى مكان المختارين لأن الذى لا يلبس لباس العرس سوف يطرح فى الظلمة الخارجية . والذى يعتذر عن

(٦٢) الأب أفراهات .

العرس فإنه لن يذوق الاحتفال . الذى يحب المال والاملاك فإنه سوف يطرح بعيداً عن مدينة القديسين . الذى لا يثمر فى الكرم فإنه سوف يقلع ويرمى فى العذاب . والذى أخذ مالا [موهبة] من سيده فأنه يجب أن يرجعه مع الفائدة والمكسب . الذى يريد أن يصير تاجراً فعليه أن يشترى الحقل والكنز الذى فيه . والذى يأخذ البذار الجيدة فعليه أن ينقى أرضه من الأشواك . ومن يرغب أن يصير صياداً فإنه يجب أن يلقى شبكته كل وقت . والذى يتدرب على التجارب يجب أن يحفظ نفسه من العالم . ومن يريد أن ينزل إلى المعركه فعليه أن يأخذ الدرع حتى يستطيع أن يقاتل وليطهر نفسه كل حين . والذى قد أخذ شكل الملائكة [الرهبنه] فإنه يجب أن يصير غريباً عن البشر . والذى قد أخذ على نفسه أن يحمل نير القديسين يجب أن ينزع عنه الأخذ والعطاء . الذى يحب البتوليه فليصر مثل ايليا . من حمل نير القديسين فليجلس ويصمت . من يحب السلام فلينظر إلى سيده كرجاء الحياة .

قال أحد الأباء(٦٣) :

هل جئت لكى تحارب ضد الاعداء الروحيين ؟ ألم تأتِ إلى هنا لكى تحارب ضد شهواتك ؟ ولأى سبب جئت لكى تأخذ مكانك وسط جنود المسيح [الرهبان] ؟ هل جئت لكى تأخذ كرامة وتدفع ما يدفعه الآخرون وتجلس على نفس المائدة وتأكل وتشرب وتمتلىء من نفس الأطعمة ؟

---

(٦٣) الأب سمعان اللاهوتى .

إذا كان هذا ما تفكر فيه فالويل لك فى يوم الدينونة حينما يأتى المسيح لكى يحاسب كل أحد حسب ما فعله « فإن ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » مت ١٦ : ٢٧ .

إنه سوف يطلب عندئذ من رهبانه الذين كرسوا أنفسهم له أمام شهود كثيرين النذور التى وعدوا أن يتمموها حين مثلوا أمام الهيكل المقدس والملائكه المقدسين . فأى جواب يجب أن يقدموه ؟ أليس هذا هو ما إقترينا بسببه إلى الهيكل المقدس وإلى الاجتماع المقدس ؟ أليست هذه هى الرغبه لممارسة الحياه الرهبانية والطريق الملائكى ؟ وأى إجابه ستقدمها لذلك السؤال ؟ نعم أن أباءنا المرشدين يقولون لنا [نحن الرهبان] : إنكم قد حضرتم لكى تصيروا خداماً للمسيح الملك فهل أعددتم أنفسكم للتجارب . إعلموا أن الاعداء منذ الآن يحركون كل رذيله ضدكم فيجب أن تكونوا جياعاً وعطاشاً ومحتملى البرد ومحتقرين ومرذولين ومصفوعاً على وجوهكم ومسخراً منكم ومحتملين لكل الالام التى حسب مشيئة الله . ألم تعِد الله أن تتألم من أجله وتحتمل كل الأشياء . نعم أيها الراهب ما هو مدى إحتمالك للتجارب ؟ الم تقبل أمام الله والملائكة أن تخضع لضبط النفس والسهر والصلاة والطاعة حتى الموت لرؤسائنا ولكل الجماعة ؟

قال أحد الأباء[٦٤] :

يجب أن نسلك فى الطريق الوسطى لان كتابات القديسين تشهد أن الطريق الوسطى لا سقوط فيها . والوقت المناسب للسلوك فى الطريق الوسطى هو بعد أن ننال الحكمة فى خدمة الآخرين فى المجمع وحياة الشركة .

ولقد علمنا يوحنا الدرجى أنه يوجد ثلاث درحات عاليه من الحياة الرهبانية ؛ الاولى هى حياة الوحدة والتانية هى الحياة مع أخ أو أخين آخرين مع ممارسة الصمت والثالثة هى حياة الشركة . والطريق الوسطى هى الحياة مع أخ أو أخين مع ممارسة الصمت وهى الأكثر عمليا لأنه من الخطر أن يحيا الانسان فى الوحده إذا ما حورب بالضجر أو هزم بالنوم أو اليأس أو الكسل لأنه لا يوجد أخ يقيمه . وقد اعتمد يوحنا الدرجى على كلمات الرب يسوع المسيح أنه يكون فى الوسط حيثما يجتمع باسمه إثنان أو ثلاثه .

٢ ــ الهروب من العالم :

إن الفرق بين المسيحيه وبين أهل العالم هو ليس فى اللغة أو العادات أو الاقامة فى أماكن معينه ، ولكن هو فى الاحساس بالغربه . لأن المسيحين يعيشون فى أراضى أبائهم ولكن كغرباء مؤقتين . فهم يشتركون فى كل شيء .

(٦٤) الأب نيل سورسكى Nil Sorsky .

كمواطنين بينما يحتملون الصعاب التى للغرباء . وكل مكان غريب هو أرض أبائهم وأرض أبائهم هى كل مكان غريب . فهم مثل الآخرين يتزوجون وينجبون ولكنهم لا يفتخرون بأولادهم . وهم يتركون فراشهم ليكون مأوى للغريب وكأنهم لا يمتلكون هذا الفراش . لهم نصيب فى الثروه الجسديه ولكنهم لا يحيون حسب الجسد . هم يطيعون القانون الوضعى ولكن فى حياتهم الخاصه يتجاوزون ذلك القانون . هم يحبون كل البشر حتى الذين يضايقونهم . وهم لا يحبون الشهره ويبذلون حياتهم حتى الموت ولكنهم يحصلون على الحياة . هم فقراء ولكنهم يغنون كثيرين . هم معوزون ولكنهم أغنياء فى كل شىء . هم محتقرون ولكن فى إحتقارهم ممجدون . إن سمعتهم مشوهه ولكنهم مبررون . يشتمون ولكنهم يباركون . يهانون ولكنهم يكرمون من يهينونهم . وبينما هم يصنعون حسنا فإنهم يعاقبون كفاعلى شر . وحينما يعاقبون هكذا فإنهم يفرحون كأنهم رجعوا إلى الحياة . إن جماعة اليهود قامت وحاربتهم كغرباء [يقصد مسيحيى القرن الأول] واضطهدوا من اليونانين ولكن الذين كرهوهم قد خسروا بسبب عداوتهم .

الرسالة إلى ديوجنيتوس

حينما يكون ضرورياً لأذنك أن تنسحب من العالم وتطهر نفسك فاعلم أولاً ما هو المقصود بالعالم ؟ إن كلمة العالم كلمة شامله فهى تحوى أولاً الشهوات . وحين تتحدث عن الشهوات بصفه عامه فإننا نطلق عليها العالم ولكن حين نريد أن نتحدث عن الشهوات وفقاً لأسمائها المختلفه فإننا

نقول الشهوات .

فإذا عرفت ماذا تعني كلمة العالم فإنه بالافراز تعرف كل ما يدخل ضمنه . فإنك تعرف ما هي القيود التي تربطك بالعالم وما هي تلك التي تحررت منها . وسأقول لك بأختصار إن العالم هو الحياة الجسديه والارتباط الجسدى . ولذلك فإن الانسان يتحرر من العالم حينما يتحرر من كل هذه الشهوات .

مار اسحق السريانى

إن العالم بالنسبه للمسيحين هو نوع خاص هو حياتهم المميزه وتفكيرهم وكلامهم وأفعالهم التى تختلف تماماً عن أهل هذا العالم . فهناك فرق شاسع بين المسيحين وبين أهل العالم . إن أهل هذا العالم نجدهم دائماً مشغولين بالاهتمامات الأرضية والرغبات وكل الاهتمامات الماديه . أما بالنسبه للمسيحين فإنهم يعيشون فى عالم آخر ويأكلون من مائدة أخرى ويلبسون ملابس مختلفه ويتحدثون أحاديث مختلفه ولهم عقل مختلف وبسبب هذا فهم يتفوقون على سائر البشر . وبسبب هذه القوه فهم معتبرون مستحقين للفرح فى أنفسهم خلال الروح القدس . ولذلك فإن أجسادهم فى القيامة سوف تصير مستحقه أن تأخذ البركه الابدية التى للروح القدس . وسوف يحصلون على ذلك المجد الذى إختبرته نفوسهم فى هذه الحياة .

القديس مكاريوس

قال أحد الأباء[٦٥] :

١ ـــ دعنا نهرب أيها الأخوه من هذا العالم ومن الأشياء التى فيه [١ يو ٢ : ١٥] لأنه أى شىء نمتلكه فى هذا العالم ؟ وماذا يمتلك أهل العالم ؟ دعنا نجرى ونهرب حتى نمسك الأشياء الأبديه التى لا تتبدد قط لان كل الأشياء سوف تفنى وتزول مثل الاحلام ولن يدوم أى شىء من الأشياء المرئيه . الشمس والنجوم والسماء والأرض وكل الأشياء سوف تفنى . كل الأشياء التى يمتلكها الانسان سوف تتبدد . ولكن ما هى الفائدة التى نأخذها من الأشياء المرئيه حين نترك هذا العالم ونرجع إلى موضع الراحه التى فى العالم الآخر ونترك كل هذه الأشياء خلفنا ؟ وإذا كانت الأشياء سوف تتبدد فإنه ماذا يفيدنا حينما نرحل ونترك الجسد الميت ؟ حينما تترك النفس الجسد الذى كانت تحيا فيه فأنها تبصر جيداً الأشياء غير المرئيه ولا يكون لها أى اهتمام بالأشياء المرئيه التى هنا ووفقاً لاستحقاق النفس حسب أعمالها فى هذه الحياة فإنها تأخذ من الله إحدى الحياتين إما الملكوت والسماء والمجد الأبدى وإما العكس الجحيم والعقاب الأبدى .

٢ ـــ ولكن ما هو العالم ؟ وما هى الأشياء التى فى العالم ؟ إنصت !! إنها ليست الذهب والفضة والحيوانات . لأن كل هذه الأشياء تخدم

---

(٦٥) الأب سمعان اللاهوتى .

إحتياجاتنا الجسديه التى نحن أنفسنا نمتلكها . أنها ليست اللحم والخبز والشراب لأننا نتناول هذه الأشياء ونأكلها باعتدال . إنها ليست المنازل والحقول والأراضى المملوكه والكروم لأن الأديره الكبيره والصغيره تحتوى على كل هذه الأشياء . ولكن ما هو العالم ؟ إنها الخطيه ياإخوتى والتعلق بالأشياء والشهوات . ولندع القديس يوحنا اللاهوتى حبيب المسيح [يو ١٣ : ٢٣] يتحدث عن الأشياء التى فى العالم فيقول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب » ١ يو ٢ : ١٥ فنحن الذين تركنا كل العالم خلفنا وهربنا منه وصرنا عرايا لا يجب أن نهتم ثانيه بهده الأشياء وإلا فما الذى يفيدنا عندئذ من هروبنا من العالم ؟ من أى مكان قد جئنا ولأى مكان قد وصلنا اذا كنا سنجد نفس الأشياء التى تركناها ؟ إن الأشياء موجوده فى كل مكان ونحن نستعملها . ولكن إن كان لدينا شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشه فكيف نستطيع أن نهرب من أى نوع من الخطيه دون أن نلدغ منها ؟ فإن الذى يسقط فى الغضب يجب ألا يبقى فيه . والذى يتذمر فى دفاعه عن نفسه يجب ألا يبقى أى شيء فى قلبه بما يفكر به . والذى يطلب أن يتبرر فى نفسه يجب أن يموت عن العالم فى تدبيره الداخلى . والذى وصل إلى هذه الدرجة يجب أن يطلب بنشاط وغيره ألا يشفق على جسده . ولكن الذى قد وصل إلى ذلك فهو فى كل حين يصنع هكذا .

ثانياً ـــ الاستـــشـــهاد :

قال أحد الأباء[٦٦] :

ما أعظم وأروع إستشهاد يسوع .الذى تمّ على الصليب . إنه يفوق الآم كل الذين سبقوه والذين سيلحقونه أيضاً . وبعد صلب يسوع جاء إستشهاد اسطفانوس الذى رجمه اليهود . إن بطرس وبولس كانا أيضاً شهيدين كاملين . وسار يعقوب ويوحنا خلف خطوات سيدهما المسيح . أيضاً كثير من الرسل بعد ذلك فى أماكن خدمتهم المقدسة إعترفوا بالايمان وقدموا إستشهاداً حقيقياً . وجاء إضطهاد شديد على كنيسة الله كلها أيام حكم ديوقلديانوس وتعرضت الكنائس لضيق وإضطهاد وقدم كثير من الشهداء والمعترفين إعترافاتهم وبسط الرب رحمته عليهم بعد إضطهادهم . وفي أيامنا هذه أيضاً حدثت هذه الأشياء معنا أيضاً ولكن من أجل خطايانا ولكن يجب أن يكمل كل المكتوب الذى قاله الرب فادينا . وكما قال الرسول بولس أنه لنا سحابه من الشهود محيطه بنا [عب ١١ : ١] وهى مصدر كرامة لنا لانهم إعترفوا بالايمان ثم أستشهدوا .

● ● ●

نحن نعرف أنه حين حثنا الرب يسوع المسيح على ترك الأوثان والالهه أن عدو الخير لم يستطع أن يقنعنا أن نقبل عبادة الأوثان ولكنه يحاول أن يثير

---

(٦٦) الأب أفراهات .

الشياطين ضدنا ويقود الحرب ضد المؤمنين حتى يصلوا إلى الاستشهاد فهو يستمر فى قوله لنا سأعطيك كل هذه الأشياء لو خررت وسجدت لى . ليتنا ننتبه ولا نعبد الأوثان أو نطيع الشياطين . لأن أوثان الأمم هى شياطين . كم هو مريع أن نترك الحمل الخفيف الحلو الذى للمسيح ونخضع لحمل الشاطين ونحمل عبء الخطيه .

إن أولئك الذين يقتلوننا هم يقتلون الجسد فقط كما هو واضح من كلام الرب « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد » وهم حين يقتلون الجسد فإنهم لا يستطيعون أن يقتلوا النفس لانهم كيف يقتلون النفس لأن النفس تحيا بالاستشاد ؟ إن الذين يستشهدون من أجل المسيح يولدون من جديد . لأن الشهيد يتحمل الشهاده عنا أمام الله والله نفسه سيكون شاهداً له فى السماء لأنه قد شهد له على الأرض .

العلامة أوريجانوس

دعنا نتحدث عن أنواع المعمودية المختلفة حتى ننال التطهير . إن موسى إعتمد فى الماء حيث السحابة والبحر كانا هما المعمودية إن البحر كان يحوى الماء والسحاب كان يحوى الروح . ثم أكل من المن الذى هو رمز لخبز الحياة . ويوحنا المعمدان أيضاً إعتمد فى معمودية التوبه . ويسوع أيضاً اعتمد ولكن فى الروح فقط وهذه هى المعمودية الكاملة لأنه بلا خطيه . ويوجد أيضا معمودية رابعة هى معمودية الدم والاستشهاد وتلك قد مارسها أيضاً الرب يسوع المسيح نفسه . وهذه المعمودية تفوق كل أنواع

المعموديات لأنها لا يمكن أن تتدنس بعد ذلك .

القديس اغريغوريوس النازيانزى

ثالثاً ـــ القيـادة الروحيـــة :

١ ـــ التـوجيـه [المرشـــد] :

إن الذين يريدون أن يخرجوا من أرض مصر ويهربوا من فرعون يحتاجون إلى مرشدين مثل موسى ليقفوا كشفعاء لهم أمام الله . وهؤلاء المرشدون يرفعون أيديهم عنا أمام الله حتى يقودونا لنعبر بحر الخطيه وننتصر على عماليق الذى يرمز للشهوات . وسبب خداع بعض الذين كرسوا حياتهم لله هو بسبب ظنهم أنهم غير محتاجين إلى مرشد . وهكذا فإن الذين خرجوا من أرض مصر يحتاجون إلى موسى كمرشد لهم . والذين هربوا من سدوم يحتاجون إلى ملاك . ان الذين خرجوا من أرض مصر يمثلون الذين نالوا الشفاء من شهوات النفس . أما الذين خرجوا من سدوم بيد الملاك فهم رمز لأولئك الذين تخلصوا من نجاسات الجسد ولذلك هم يحتاجون إلى ملاك كمساعد يتحدث معهم أو على الأقل مرشد فى مرتبة هذا الملاك . لأنه وفقاً لجراحاتنا نحن نحتاج إلى مرشد خبير وطبيب .

يوحنا الدرجى

حين يتحرك فينا الاتضاع والاحتياج الحقيقى للخلاص فإنه يجب أن نحنى رقابنا ونضع ثقتنا فى هذا المرشد كثقتنا فى الرب نفسه . وإذا كان هناك أى رذيله أو كبرياء فينا فإنه يجب أولاً أن نسأل أنفسنا ونختبر ذواتنا حتى لا نلوم القائد والمرشد ولا يكون السبب فى مرض الانسان هو الطبيب . ولكن حين ندخل فى مجال الطاعة يجب ألا ندين قط مرشدنا الصالح فى أى شىء على الاطلاق حتى لو رأينا فيه بعض الفشل البسيط لأنه هو أيضاً إنسان . لأننا لو سقطنا فى الادانه فإننا لن نستفيد منه قط فى خضوعنا .

يوحنا الدرجى

إنه من الخطر على الجندى غير المختبر أن يدخل بمفرده أى معركة ولو كانت بسيطه . هكذا الراهب لا يستطيع أن يدخل حياة الوحده دون أن تكون له خبرة وتدريب فى الجهاد على الشهوات الحيوانيه . وأى شىء ينهزم له جسده سيقوده إلى الخطر والضرر . وكما يقول الانجيل إثنان خير من واحد . والافضل للابن أن يكون مع أبيه ويجاهد بمعونة الروح القدس وهو مرتبط به . والذى ينحرف عن إرشاد أبيه يصير مثل الاعمى الذى يسير بلا إرشاد والقطيع الذى يمشى بلا راعى .. فالانسان التائه عن مرشده مثل الطفل البعيد عن أبيه والمريض عن الطبيب والسفينه عن ربانها . فهؤلاء هم فى خطر . والذى يحاول أن يجاهد مع الأرواح الشريره بدون معونة من أبيه الروحى فإنه سوف يقتل من تلك الأرواح

يوحنا الدرجى

٢ ـــ الإرشـاد الروحـي :

قال أحد الأباء[٦٧] :

١ ـــ ياإخوتى اطلبوا الله كل حين حتى يكشف لكم ذلك الرجل القادر أن يقودكم حسنا . ذاك الذى يجب أن تطيعوه كما لو كان هو الله نفسه . الذى يجب أن تحملوا تعاليمه بلا تردد حتى لو بدا لكم أنه قاس ومتعب . إن الله سوف يحرك قلبك بالنعمه لكى يملأك بالثقة الكبيرة فى أبيك الروحى لتفعل ما يخبرك به حتى تخلص . إنه من الأفضل لك أن تدعى تلميذاً من أن تسلك فى رذائلك وتجمع ثمار خطاياك الناتجه عن إرادتك الخاصه . ولو تغيرت الظروف [سفر مثلاً] وأرسلك الروح القدس إلى أب آخر فلا تتردد قط لأننا سمعنا عن بولس الذى زرع وأبولوس الذى روى ولكن الله هو الذى كان ينمى [١ كو ٣ : ٦] لذلك إفعل ياأخى كما قلنا واذهب للأب الذى عينه لك الله وتحدث معه وتعامل معه كما لو كنت تتعامل مع المسيح نفسه . ولذلك أكرم اباك الروحى وتعلم منه كل ما هو نافع . إذا أخذك إلى الجبل فاصعد معه بشوق لأنك سوف تنعم برؤية المسيح على جبل التجلى حيث يلمع نوره الالهى أكثر من الشمس .

٢ ـــ يجب أن تكشف أفكار قلبك إلى أبيك الروحى لو أمكن كل ساعة

---

(٦٧) الأب سمعان اللاهوتى .

وإذا لم تتمكن فلا تبقيها حتى المساء ولكن إختبر نفسك وإفحصها كل يوم وإعترف بكل ما سقطت فيه . وضع ايمانك فى أبيك الروحى بلا تردد حتى لو كان كل العالم يحتقره ويوبخه . حتى لو رأيته أنت وهو يرتكب الخطيه فلا تشك فيه وتنزع ايمانك فيه لانك تطيع ذاك الذى قال « ولا تدينوا فلا تدانوا » لو ٦ : ٣٧ .

رابعاً ــ الصلب مع المسيح :

١ ــ التجارب :

إن الله يسمح للرجال الاتقياء أن يجربوا بأنواع متعددة من التجارب. بأن يضربوا فى أجسادهم مثل أيوب الذى فقد كل ممتلكاته ولكن الشيطان لم يقترب من نفسه ولم يصبها بأى أذى . وفى الواقع إنه من المستحيل حين نسير فى طريق البر ألا نلتقى مع التجارب . ويجب على الانسان أن يقبل كل ما يأتى عليه من الالام بفرح وبدون تذمر بل يشكر الله لارساله هذه البركه وجعله يتحمل الالام من أجل إسمه . لان الله يجعله يشترك بالامه مع الأنبياء والرسل وبقية القديسين الذين تحملوا التجارب من أجل هذا الطريق . وسواء كانت هذه التجارب من البشر أومن الشياطين أو من الجسد فيجب أن تجعلها سبباً لشكر الله . لأن الله لا يمكن أن يعلن فضائله للانسان الذى يريد أن يسكن معه إلا عن طريق التجارب التى من

أجل الحق . ولا يستطيع أى انسان أن يأخذ بركات ا حجارب والفرح فيها بدون نعمة المسيح .

مار اسحق السريانى

عن طريق محبة الله التى أعلنها القديسون خلال التألم من أجل إسمه نالت قلوبهم دالة النظر إلى الله وكشفت عن قلوبهم لكى يطلبوا الله بأمل ورجاء . عظيمه هى الصلاة بداله . إن الله يدع قديسيه يجربون بكل أنواع التجارب ويجعلهم يختبرون مساعدته ومعونته التى يسكبها عليهم . فهم خلال التجارب والمحن يحصلون على الحكمه . وخلال الاختبار ينالون معرفة كل الأشياء لكى يحفظوا من خبث الشياطين . ولو أن الله إختبرهم فى ما هو صالح فقط لكان ينقصهم التدريب فى الأمور الأخرى ولصاروا عمياناً فى المعارك .

مار اسحق السريانى

لو أن الانسان لم يختبر الالام فإنه لن يتذوق الصلاح . وكم هو مسّر إختيار المعرفه الناتجه عن الأختبار والممارسه . أى قوة تعطى للأنسان الذى نالها فى نفسه خلال الأختبار الطويل السرى . هذه الأشياء قد تعلمناها من الذين اختبروا المعونة ورأوا أهمية القوة الالهية لانهم قد عرفوا ذلك فقط حين حملوا قوة هذه المعونة والله قادهم أن يدركوا أهمية طبيعتهم وضعوبة

التجارب . والتواء الاعداء حتى يدركوا ما هى التجارب وما هى طبيعتهم وكيف تحميهم القوة الالهيه وما هو تقدمهم فى الطريق وكيف رفعتهم قوة الله وكيف أنهم ضعفاء فى جهادهم ضد الشهوات حين تتخلى قوة الله عنهم . وهم يدركون الاتضاع خلال كل هذا ويقتربون إلى الله ويبدأون فى إنتظار معونة الله وثباتهم فى الصلاة . وحين يدركون كل هذا فهم يقولون مع الرسول بولس « لئلا أرتفع بفرط الاعلانات أعطيت شوكه فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع » ٢ كو ١٢ : ٧ فهم يختبرون المعونة الالهيه فى التجارب وعندئذ ينال الانسان الايمان الثابت وعندئذ لا يخاف شيئاً ويكون له القلب الشجاع القوى فى التجارب .

مار اسحق السريانى

إن التجارب التى تأتى للانسان الذى يسير فى طريق تختلف عن تلك التى تأتى لتهذب القلب والمنتفخ . والتجارب تعلم النفس وتقودها إلى الاحتمال الروحى . والعنايه الالهيه تسمح بالتجارب لتقويه ومساعدة أولئك الذين يتألمون . وفى وسط التجارب توجد التعزيه والهزيمه ، ويوجد النور والظلمه ، والمعاناة والمعونه ، وباختصار الضيق والسعه وهذه علامة أن الانسان عن طريق معونة الله يستطيع أن ينال التقدم .

مار اسحق السريانى

يوجد مصدران للمعونة وقت حمل الصليب أولهما هو صلب الجسد

والثانى هو الصعود فى التأمل . الاول هو ثمرة التحرر من الشهوات والثانى هو نتيجة عمل الروح . إن العقل لن يخضع لله إذا لم يخضع الجسد للعقل . إن تاج العقل هو صلب الجسد . والعقل لن يخضع لله مالم يتحرر من الشهوات . والذى يخضع لله فإن كل الأشياء سوف تخضع له .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٦٨] :

كما أن الختم لا يمكن أن يطبع فى الشمع مالم يكن ساخنا وناعماً ، هكذا الانسان لا يمكن أن يستلم ختم الله فى القداسه مالم يختبر بالآلام والتجارب . ولهذا قال الرب لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٩ والضعف مقصود به هنا هجمات الاعداء التى تأتى على القديسين فى الصليب . وكل القديسين يواجهون هذه الهجمات من أجل تواضعهم . وحينما يجربون بالاحتقار فإنهم يستحقون النعمه الالهيه فى القداسه . وحين كانت أجساد القديسين خاضعه للتجارب والمحن والامراض فإنهم ساروا فى الطريق الروحى وإرتفعوا فوق الشهوات التى تهاجم الطبيعة البشريه كنتيجه للخطيه . ولذلك يجب أن نكمل إستشهادنا الداخلى أمام الله بثقة وصبر لأنه مكتوب « إنتظاراً

---

(٦٨) الأب ديداخوس .

إنتظرت الرب فمال الىّ وسمع صراخى » مز ٤٠ : ١ .

٢ ــ الســـهر :

لا يوجد شيء مهم فى حياة الراهب [والمسيحى الكامل] مثل السهر الليلى . واذا تحرر الراهب من التشتت الناتج عن الأعمال الجسديه ومن الاهتمام بالأشياء فإن العقل سوف يصعد كما لو كان على أجنحة ويرتفع لكى يستنير فى الله . وإذا حفظ الراهب السهر العقلى بحكم عادل فإنه سوف يرجع إلى حالته الأولى فى غير فساد . إنه من المستحيل على أولئك المجاهدين الذين يغصبون حياتهم أن يتركهم الله بلا مكافأة من أجل يقظتهم وسهر قلبهم وتوجيه أفكارهم نحو الله . إن النفس التى تعمل فى السهر سيكون لها أعين مثل الشاروبيم لكى يرفعوا أعينهم دائماً للاعمال وأن يتأملوا فى الرؤى السمائيه .

مار اسحق السريانى

الفصل العاشر
ليكن لنا فكر المسيح

أولاً : طاعة مشيئة الله .

ثانياً : الاتضاع .

ثالثاً : الايمان والرجاء والمحبة :

١ ــ الايمان .

٢ ــ الرجاء .

٣ ــ المحبة .

٤ ــ العطاء .

رابعاً : مشورة الله :

١ ــ العفه .

٢ ــ الانعزال .

الفصل العاشر
ليكن لنا فكر المسيح

« فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً . الذى إذا كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائراً فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه إسماً فوق كل اسم . لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض . ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب » .

فى ٢ : ٥ ــ ١١

أولاً ــ طاعة مشيئة الله :

من أقوال يوحنا الدرجى :

١ ــ الطاعة هى تنازل مطلق عن حياتنا الذاتية . وهى تظهر بوضوح فى حركة أجسادنا . والطاعة هى إماته وقمع الاعضاء الجسديه بينما

يظل العقل حياً . الطاعه هى حركة التنفيد بدون مناقشه ، هى موت إختيارى ، هى حياة بسيطة خاليه من الهموم ، هى حمايه قويه من الله . الطاعه هى عدم الخوف من الموت ، هى رحله آمنه ، هى التقدم الخفى . الطاعه هى دفن الاراده وبعث الاتضاع . إن الجسد الميت لا يستطيع أن يميز الانسان الصالح من الردىء .

وهكذا الراهب المبتدىء يسلم نفسه بخشوع إلى الموت [عن طريق الطاعة] ولذلك سوف يظفر بكل شيء . الطاعه هى غنى الافراز وريادة الحكمة .

٢ ـــ إنه من الضرورة المطلقة لمن يرغب فى الاحتفاظ بعقيدته بغير تشكك أن يدون براهينه وحججه التى لا تمحى من قلبه وأن يتذكرها دائماً ، ذلك حتى نستطيع أن نسكت الشياطين بما تحويه ذاكرتنا إذا ما أحاطوا بنا ليشككونا فى إيماننا .

ولكى يتعمق الايمان فى القلب ينبغى على الجسد أن ينشط فى الخدمه . « وأما الذى يرتاب ويشك فإن أكل يدان لان ذلك ليس من الايمان » . [رو ١٤ : ٢٣] . وفى أى لحظة يأتيك فكر الشك والادانه لأبيك الروحى إهرب منه كما تهرب من الزنى . ومهما فعلت فلا تعطِ ثعبان الشك أى موافقه على أفكاره ولا تعطِ له مكاناً للدخول إلى فكرك ولا تعطِ له القوه ولكن لتقل له : إستمع أيها الغاش ، أنا لاحق لى أن أدين أبى الروحى . ولكن هو الذى

سوف يقف لكى يعطى حساباً عنى . ولست أنا الذى أحكم عليه بل هو الذى عين للحكم علىّ .

٣ ـ إن الانسان حين يكون مطيعاً لأبيه الروحى أحياناً وغير مطيع له أحياناً أخرى فإنه يكون كمن يضع الدواء فى عينيه وأحيانا أخرى يضع الجير الحى وهو فى ذلك لن ينال الشفاء لأنه قد قيل « واحد يبنى وآخر هدم فماذا انتفعا سوى التعب » ابن سيراخ ٣٤ : ٢٨ .

٤ ـ ومن الطاعة يأتى الاتضاع كما قلنا من قبل . ومن الاتضاع يأتى التمييز والادراك كما يقول العظيم يوحنا كاسيان بفلسفة جميله وساميه فى حديثه عن التمييز والادراك . ومن التمييز تأتى البصيره وبعد النظر ، ومن البصيره يأتى التبصر وتدبر العواقب . ومن لا يتبع مسار الطاعه هذا فهو بعيد عن البركات والسعادة التى تنتظره . وقد قال داود النبى عن فضيلة الطاعة العظيمة « هيأت بجودك للمساكين ياالله » مز ٦٨ : ١٠ .

إن الله يحضر فى قلب النفس المطيعه .

● ● ●

إن حياة النفس هى فى إتمام إرادة الله .. والعكس أيضاً فإن أذيه النفس التى توصل للموت هى البعد عن إرادة الله الصالحة . وهكذا نحن نمرض عندما تبتعد حياتنا عن الملكوت وعندما تملأ أنفسنا بسم عدم الطاعه التى

من خلالها تقهر طبيعتنا بهذا الشر وهذا المرض المميت . حينئذ يأتى الطبيب الحقيقى [أب الاعتراف] الذى يعالج الشر بنجاح عظيم بما هو ضده كما ينص قانون الطب . ويعمل مع هؤلاء الذين إستسلموا للمرض ، لأنهم فصلوا أنفسهم عن إرادة الله . لذلك فهو يحررهم مرة أخرى ويشفيهم من مرضهم باتحادهم مع إرادة الله . لأن كلمات الصلاة تمنح تلك النفوس الشفاء من المرض . لأن الأب الروحى يصلى بعمق الألم من أجل إبنه المريض ، لتكن إرادتك لأن إرادة الله هى خلاص البشر .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

لأن الضرر قد جاء بسبب التعدى على الوصايا . لهذا يكون العلاج هو حفظ هذه الوصايا . لأنه بدون حفظ الوصايا وبدون إتباع هذا الطريق الذى يقود لطهارة النفس لا نتوقع أو نأمل أن تكون النفس نقيه . ولا يمكن أن الرب يمنحنا الغفران كمنحه بدون حفظ الوصايا لأن الرب سوف يديننا على ذلك . والكنيسة أيضاً لم تعلمنا أن نطلب هذا .

إن اليهود حين رجعوا من بابل إلى أورشليم ساروا فى الطريق الطبيعى . ولكن حزقيال وصل إلى هناك بالطريق فوق العادى وهو الوحى الالهى الذى شهد بالتجديد المزمع أن يكون . وهكذا أيضاً عن طريق نقاوة النفس . فالبعض يسلك الطريق العام الذى يدوسه الجميع وهو حفظ وصايا الله فى حياة مليئه بالأعمال الصالحه ويصل إلى نقاوة النفس بالعرق والدم . والبعض الآخر وصل إلى ذلك كنعمه وهبه من الله .

ومن العجيب أنه ليس للانسان الحق أن يطلب فى صلاته النقاوه لكى يأخذها كهبه من الله أو أن يرفض السلوك فى حياة تطبيق الوصايا . لأنه حين سأل الرجل الغنى المعلم « ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبديه » لو ١٠ : ٢٥ أجابه الرب بوضوح : إحفظ الوصايا . وعندما إستمر الغنى يسأل المزيد قال له : إن أردت أن تكون كاملاً إذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال إتبعنى » مت ١٩ : ٢١ . وهذا يعنى أن يموت عن كل ما يمتلك وحينئذ يحيا فى المسيح . أى يبتعد عن العالم العتيق الملىء بالشهوات . وحينئذ يدخل العالم الجديد للروح . وبمعنى آخر كأن الرب يريد أن يقول له « إحمل صليبك » مت ١٦ : ٢٤ وقد دعا الرب الانسان أن يموت عن كل الأشياء التى فى العالم . وعندما يتخلص الانسان من إنسانه العتيق الذى بداخله فإنه سوف يستمع إلى قول الرب له « إتبعنى » لأن الانسان العتيق لا يستطيع أن يسلك طريق المسيح .

مار اسحق السريانى

ولكن عندما يعارض الانسان الله ويقف ضد تنفيذ إرادته أو ضد وصاياه فلا ينفذها ، فإن الشيطان عندئذ يحارب الله من خلالنا بأن يحاول أن يضع العقبات التى تحول دون تنفيذ الوصايا . ولكن الله يأمل من جديد أن ننفذ وصاياه كامله . وهكذا بحركة من يد الله يهزم ما بداخلنا من نيه خبيثه شريره التى للشيطان . وهكذا فإن رغبة العدو الخبيثه فى

معاداته لله هى أن يغويا للتعدى على وصايا الله . ولقد حارب الله فى صورة بشريتنا هذه الرغبة الشريره التى للشيطان .

إن كل وصايا الله قد وضعت من أجل نوال النصره فى حروب النفس الثلاث التى هى حرب الاثاره وحرب الرغبه وحرب الفكر وأعطت الوصايا الالهيه النجاح خلال تنفيذها . والانسان الذى ينفذ وصايا الله بدقه سوف ينال النصره على هذه الحروب الثلاث . وفى الوقت نفسه يحاول الشيطان ليلاً ونهاراً أن لا يوقف الحرب ضد أجزاء النفس الثلاث . فواضح أنه يحارب ضد وصايا المسيح نفسها . لأنه من خلال الوصايا قد وضع السيد المسيح قوانين لنصرة النفس ألا وهى القوه على الاثارة والرغبة والسياده على الفكر . والآن أنظر قوله : « إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم » مت ٥ : ٢٢ فهذه الوصايا وغيرها يحاول أن يعطلها الشيطان بالجدال والغيره والكراهيه .

وهذا العدو يعرف أن الذى يساعد على الاثاره هو قوة التفكير ، وهكذا يوجه سهامه الأولى ضدها عن طريق التفكير كما قلنا بالشك والغيره ومحبة المجادله والمشاجره والخداع والغرور والضغط على قوة التفكير لتتخلى النفس وتهجر الفكر المشروع إلى الاثاره ذاتها . وهكذا يجعل العدو النفس بلا رقيب .

ولذلك فإن هذه الحروب تدمر النفس وتجذب الشر وتكف عن الانسان

فقط حينما يجد العدو أن ذلك الانسان مستعد أن يهجر وصايا الله تحت تأثير الأفكار التى دخلت إلى قلبه .

القديس فيلوثاوس الذى من سيناء

ثانياً ــ الاتضـــاع :

من أقوال مار اسحق السريانى :

١ ــ الاتضاع حتى بدون أعمال يستطيع أن يغفر كثرة من الخطايا . ولكن بدون الاتضاع حتى الأعمال تكون بلا فائدة بل ومن الممكن أن تؤذى . إن الاتضاع هو الملح الذى يصلح لكل أنواع الطعام لأنه هو أساس كل الفضائل . ولكى نقتنى الاتضاع يجب أن يفكر الانسان فى نفسه بانسحاق ، ويحتقر ذاته ويحاسبها محاسبة دقيقة . ولكن إذا إقتنينا الاتضاع فسوف نكون أولاد الله بالحقيقة .

٢ ــ سئل أحد الأباء عن كيفية إقتناء الاتضاع فأجاب : هو أن يتذكر الانسان خطاياه باستمرار ، وأن يتذكر بأن الموت قريب ، وبالملابس البسيطه ، وبأن يفضل دائماً المتكأ الأخير ، وبأن يختار الانسان بفرح الأعمال والخدمات البسيطه والحقيره ، وبأن لا نكون متمردين غير مطيعين . ويلزم أيضاً الاحتفاظ بالسكوت وعدم محبة اللقاءات والاجتماعات [يقصد المتوحدين] وبأن نفضل ألا نكون معروفين ومشهورين ومفضلين فى أى موقع . ويقتنى الانسان

الاتضاع أيضاً حين لا يمتلك أى شيء ملكيه خاصه [يقصد الرهبان] وبأن يكره الحديث مع الناس ويتجنب الربح أيضاً [خاص بالرهبان] .

وفوق كل هذا يجب أن يرتقى بفكره فوق أن يتهم أو يدين أى شخص وأن يكون فوق الغيره . والا يكون هو الذى يظلم الآخرين بل يتحمل ظلم الآخرين عليه . ويؤدى عمله بأمانه ولا يحمل من هموم العالم سوى هم خلاص نفسه فقط . وفى إختصار أكثر نقول أن حياة الغربه على الأرض والانسحاق والعزله هى التى تولد الاتضاع والنقاء فى القلب .

٣ ــ الانسان المتضع لا يطلب أو يلتمس شيئاً من الله ولا يعرف شيئاً يطلب لأجل نواله . ولكنه ببساطه يحفظ كل إحساسه فى سكوت وينتظر فقط الرحمه والرأفه وما تريد الحكمه الالهيه أن ترسله له . وينظر بعينيه إلى أسفل ووجهه إلى الأرض وعيون قلبه العميقه ترتفع إلى عتبة قدس الاقداس حيث يسكن الذى فوق الظلمات ، الذى يغطى السيرافيم أعينهم منه . ويعرف أن يتكلم ويصلى هكذا فقط « يارب لتكن مشيئتك » .

٤ ــ الاتضاع هو صفه خفيه يصل اليها القديسون الكاملون عندما تنتهى حياتهم . هذه القوه تعطى عن طريق الهبه والمنحه فقط لهؤلاء الذين كملوا فى الفضائل . لان فضيلة التواضع تحوى كل الفضائل داخلها .

٥ ـــ وإذا سأل أى إنسان كيف أقتنى الاتضاع سوف نجاوبه « يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والصبى كسيده » مت ١٠ : ٢٥ .

أنظر مدى إتضاع الذى أعطانا هذه الوصيه . إصنع متله وأنت سوف تقتنى الاتصاع .

٦ ـــ يتبع الاتضاع قمع الذات والانتصار عليها فى كل شىء . إن الاتضاع يقود إلى التأمل ويزين الروح بالطهاره . ولكن حيث الغرور والقلق المستمر وتضارب الأفكار يوجد الاناء الملوث من كل شىء يقابله ويلوث القلب . إن مثل هذا الانسان ينظر لحقيقة الأشياء بعين معيبه ويملأ العقل بصوره ملوثه . ولكن الاتضاع يولد إنتعاشاً روحياً عن طريق التأمل ويوجه صاحبه لكى يمجد الله .

من أقوال يوحنا الدرجى :

١ ـــ دع كل الذين ينقادون بروح الله يدخلون معنا إلى هذه الكنوز الروحيه الحكيمه ممسكين بيدهم الروحيه المعلومات الموحاه من الله .

نحن قد تلاقينا وإختبرنا وأتينا معانى الشرح السابق فى حياتنا . قال أحد الأباء عن الاتضاع إنه نسيان دائم لما حققه الانسان . وقال آخر : إنه إعتراف الانسان بكل الخطايا وأكبرها . وقال آخر : هو أن يتيقن العقل من ضعف الانسان وعجزه وبأنه آخر الكل وأول الخطاه . وقال آخر : هو

قدرة الانسان أن يكون سباقا حين يوقف المشاجره وهو فى عمق الغضب . وقال آخر هو الاحساس بانسحاق النفس وأن يقمع الانسان إرادته الخاصه .

ولكننى عندما إستمعت لكل هذا ونظرت اليه بتعقل وإنتباه وحدث أننى شعرت أنى غير قادر على ادراك جمال فضيلة الاتضاع من كل ما قبل . وهكذا فى النهاية جمعت أقوال الأباء الذين تعلموا وإختبروا الاتضاع كما يلتقط الكلب الفتات الساقط من المائده . ثم أعطيت تعريفاً عن الاتضاع : الاتضاع هو هبه غير مسماه داخل النفس . إسمها معروف فقط للذين إختبروها . إنها ثروة لا يعبر عنها . إنها هبة من الله لأنه قال تعلموا ليس من ملاك ولا من إنسان ولا من كتاب ولكن تعلموا منى ومن السكنى معى . تعلموا من إعلاناتى وعملى فيكم لانى وديع ومتواضع القلب والفكر والروح وسوف تجد نفوسكم الراحه من الاتعاب وسوف يزول الجدال .

٢ ــ فالانسان الذى يتخذ الاتضاع عروساً له هو فوق الكل إنسان رقيق عطوف مملوء بمحاسبة النفس ومتعاطف مع الآخرين وهادىء ووديع وهو أيضاً صافٍ ومطيع لا يؤذى أحداً وهو يقظ غير متراخى . وماذا نقول أيضاً ؟ هو خالٍ من الشهوات لان المزمور يقول « الذى فى مذلتنا ذكرنا لأن إلى الأبد رحمته . ونجانا من أعدائنا لأن إلى الأبد رحمته » مز ١٣٦ : ٢٣ ــ ٢٤ فالله ينجى المتواضع من شهواته ومن خطاياه .

٣ ــ لتعلم ياعزيزى أن الوديان سوف تظل وفيره فى المحصول والثمار الروحيه . هذا الوادى هو خضوع النفس وإتضاعها بين الجبال . أى أنها مملوءه بالأعمال الصالحه والفضائل ولكن رغم ذلك فإنها تظل خاضعه وثابته . إن داود النبى لم يقل أنا صمت أو أنا ظللت ساهرا أو أنا إضجعت على الأرض ولكنه قال « أنا إتضعت والرب خلصنى سريعاً » مز ١١٥ : ٥ .

٤ ــ كل الأشياء المرئيه تستمد ضوئها من الشمس وكذلك أيضاً فإن كل ما يعمل طبقاً للصواب يستمد قوته من الاتضاع . وحيث لا يوجد ضوء يكون كل شيء مظلماً وهكذا حيث لا يوجد إتضاع فكل ما عندنا يكون فاسداً .

٥ ــ أن تكون متواضعاً شيء وأن تجاهد من أجل الاتضاع شيء آخر وأن تمدح المتواضع شيء آخر . فالأول يتعلق بالكمال والثانى يتعلق بالمطيع والثالث يتعلق بالايمان .

٦ ــ الاتضاع هو باب الملكوت حيث يدخل الذين يقتربون اليه . وأنا أعتقد أن الرب قد تكلم عن هذا البب عندما قال أنه « سوف يدخل ويخرج ويجد مرعى » يو ١٠ : ٩ أى سوف يدخل ويخرج من الحياه بدون خوف وسوف يجد مرعى وعشباً أخضر فى

الملكوت . وكل الذين دخلوا حياة النسك من أى باب آخر غير باب التواضع هم لصوص وسراق لحياتهم الشخصيه .

• • •

إن رغبنا حقيقة أن تحفظ عقولنا فى الرب فنحن فى حاجة كبيره إلى الاتضاع أولاً فى علاقتنا مع الله وثانياً فى علاقتنا مع الناس . لذلك يجب أن نجاهد دائماً لنجعل قلبنا منسحقاً يبحث عن الاتضاع ويحاول ممارسته بكل طريقه . ومن المعروف أن الشيء الذى يجعل القلب متواضعاً ومنسحقاً هو تذكر حياة الغربه فى العالم وتذكر كل ذنبنا منذ ولادتنا حتى الآن . فإذا ما نحن فعلنا هذا فإننا سوف نصير متواضعين بالتعود وسيجلب ذلك الدموع الينا ويحركنا نحو شكر الله من القلب . وأيضاً التذكر الدائم للموت يمنحنا التنهد والعفه .

والشيء الذى يجعل عقلنا متواضعاً حقيقة ويجعلنا ننظر بأعيننا إلى الأرض هو أن نتذكر الآم الرب يسوع المسيح بالتفصيل وهذا ما يجلب لنا الدموع أيضاً . بالاضافة لهذا تكون نفوسنا حقيقه متواضعه بالرأفات العظيمه لله نحونا شخصياً . لذلك يجب أن نختبر ونحصر بالتفصيل مراحم الله معنا لأن حربنا هى ضد شياطين متكبره .

القديس فيلوثاوس الذى من سيناء

ثالثاً ــ الايمان والرجاء والمحبه :

١ ــ الايمـــان :

قال أحد الأباء القديسين[٦٩] :

إن الايمان مركب من مجموعة أشياء وبأنواع كثيره يأتى إلى الكمال . لأنه مثل البناء الذى يتكون من أنواع كثيره من الفن والصناعه والذى تعلو رأسه إلى القمه . واعلم ياعزيزى أنه فى أساس البناء توضع الاحجار وهكذا رسوخاً على الاحجار يعلو الصرح ويصل للكمال ، كذلك الحجر الحقيقى الذى هو ربنا يسوع المسيح هو أساس كل ايماننا وعلى صخرته يرسو الايمان . ورسوخاً على الايمان يعلو كل البناء حتى يصل للكمال . لأن الايمان هو أساس كل البناء . وعندما يأتى أى شخص بالقرب من الايمان فإنه يعطى له الحجر الذى هو ربنا يسوع المسيح ويجعله لا يتحطم من الأمواج ولا يقع من الرياح لأن بناءه يرسو على الصخره والحجر الحقيقى .

فالانسان يؤمن أولاً وعندما يؤمن فإنه يحب وعندما يحب فإنه يرجو وعندما يرجو فإنه يتبرر وعندما يتبرر فإنه يكمل ، وعندما يكمل فإنه يصل إلى حد الكمال . وعندما يعلو كل بنائه ويكمل ويتم يصبح منزلاً

(٦٩) الأب أفراهات .

وكنيسة ومسكناً للمسيح .

والآن دعنا نسبح ياعزيزى بالقرب من الايمان لأنه قوة كثيرة جداً . فالايمان رفع إخنوخ إلى السماء وقهر الطوفان وجعل العاقر تلد وأعطى النصره فى الحرب وأقام أناساً من القبور وأغنى فقراء وأطلق آخرين من الأسر وأخمد حرائق وشق البحر وشق الصخور وأعطى العطشان ماء ليشرب وأشبع الجوعان وأقام الموتى وأخرجهم من القبور وأسكت الأمواج وشفى الأمراض وقهر الجيوش وأنصف المظلوم وهدم حصوناً وسد أفواه أسود وأخمد لهيب نار وأنزل المتكبرين ورفع المتواضعين للمجد . كل هذه الأشياء العظيمه حدثت بالايمان .

• • •

الهبه ليست هى الايمان فقط ولكن هى أيضاً الصلاه الحاره . لان الصلاه الحاره هى برهان على الايمان الحقيقى وتجعلنا نحيا بيسوع لأنها تأتى من الروح خلال الحب . وهكذا يكون الايمان ميت وبدون حياة فى الانسان الذى لا يراه حيا فى نفسه .

واكثر من هذا ليس من حق الانسان أن يدعى مؤمنا إذا كان ايمانه مجرد كلمه مجرده وليس فى نفسه الايمان العامل بالمحبه والروح القدس . وهكذا يجب أن يطبق الايمان عملياً بالتقدم فى الأعمال وأن يشرق ذلك الايمان بنور العمل وهكذا قال يعقوب الرسول « أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك إيمانى بأعمالى » يع ٢ : ١٨ . وهكذا يتضح أن الايمان الموهوب لنا

يتحقق عملياً بالأعمال التى هى تنفيذ الوصايا الحقيقيه . الايمان هو أساس الوصايا وجذورها وأيضاً هو الينبوع الذى ينمى الزروع وهو يحتوى على جزئين أولهما هو النعمه والثانى هو الاعتراف بالنعمه [عن طريق العمل] وهذان الجزءان هما وحده واحده لا تتجزأ .

القديس اغريغوريوس السينائى

المعرفه هى طريق العقل ولكن الايمان هو هبه يحصل عليها الانسان دون أن يرى بعينه فيؤمن بالأشياء البسيطه والشائعه والأشياء الفائقه والساميه .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

إن الانسان الذى يؤمن يحدث معه تغيير شامل والايمان هو عمل الهى وهو الخطوه نحو الخلاص بعدها نرجو ونتوب ونخاف أيضاً . والتقدم فى الشركه مع الاعتدال وطول الأناه يقودنا إلى المحبه والمعرفه .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

٢ ــ الرجــــاء :

إن القلب لن يستريح من الاتعاب والضيقات حتى يدخله الرجاء ويجلب له السلام والفرح . وهذا هو ما قيل عن الرجاء « تعالوا الىّ ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » مت ١١ : ٢٨ إن نور العقل هو

الذى يلد الايمان والايمان يلد راحة الرجاء والرجاء يقوى القلب .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٧٠] :

إن القاعده الصلبه الوثيقه للرجاء فى عبادة الانسان هو تجسد الرب يسوع المسيح الذى جعل الانسان الهاً بنفس الدرجه التى جعلت الله إنساناً . لان الذى أصبح إنساناً بدون خطيه يقدر أيضاً أن يجعلنا شركاء فى الطبيعة الالهيه رغم كوننا ما نزال بشراً . ويستطيع الرب يسوع المسيح أن يرفعنا اليه بنفس المقياس الذى به وضع نفسه لأجل الانسان . وهذا هو ما تحدث عنه الرسول بولس قائلاً « ليظهر فى الدهور الآتيه غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » أف ٢ : ٧ .

إن أساس أى عمل صالح هو الرجاء فى القيامه . لأن إنتظار المكافأة يشجع النفس على الأعمال الصالحه . كل إنسان يستطيع أن يجاهد إذا نظر إلى ما هو قدام إلى الاكليل والمكافأه . ولكن الذين يعملون دون نظر إلى الاكليل فإن أجسادهم ترهق وتنتصر على نفوسهم . لان الانسان الذى يؤمن بأن جسده سوف يقوم فإنه سوف يعتنى بثوبه ولن يلطخه بالزنا . ولكن الذى لا يؤمن بالقيامه فإنه يزنى ويحتقر جسده كما لو كان لا

---

(٧٠) الأب مكسيموس المعترف .

يخصه بل يخص آخر . ومن المعتقدات العظيمه والتعاليم الكنسيه الجامعه المقدسه هو الايمان بقيامة الموتى . وهذا الايمان عظيم وضرورى ولكنه مرفوض من الكثيرين بالرغم من أنه مقبول من المنطق .

القديس كيرلس الأورشليمى

قال أحد الأباء[٧١] :

دع الذى يهدىء أفكارى وقلبى يتحد مع الكتابه لأتذكر دائماً السلام القلبى برغم إهتمامات وغرور الحياه . وما هو هذا ؟ إن القول المسيحى المملوء بالثقه الحيه العجيبه القويه [الرب هو كل شيء لى] هذا هو الكنز الذى لا يقدر بثمن . هذه هى الجوهره الثمينه التى عن طريقها نكون مطمئنين فى أى ظرف وأن نكون أغنياء فى الفقر عطوفين شفوقين على الآخرين فى وقت ثرائنا . ولا تفقد الرجاء حتى بعد أن تخطىء . [الرب هو كل شيء لى] هو ايمانى وثقتى وحبى وقوتى وقدرتى وسلامى ومتعتى وغناى وغذائى وشرابى وثيابى وحياتى . هو كل شيء لى .

هكذا أيها الانسان إجعل الرب كل شيء لك ويجب أن تكون أنت كل شيء لله . وكما أن كل كنزك هو فى قلبك وإرادتك والرب يطلب قلبك قائلاً « ياإبنى إعطنى قلبك » ومن ثم لكى تحقق إرادة الله أرفض فسادك

---

(٧١) الأب يوحنا من كرونستات .

وحدة طبعك وإرادتك الخادعه ولا تنفذ إرادتك الخاصه ولكن نفذ فقط إرادة الله « لتكن لا إرادتى بل إرادتك » والطريق إلى تنفيذ وتقوية الرجاء المسيحى فينا هو الصلاة وبخاصه الصلاة الصادقة الدائمه وأيضاً الاعتراف بخطايانا والقراءة المستمره فى كلام الله وفوق كل هذا التناول باستمرار من الأسرار المقدسه المحييه التى هى جسد الرب ودمه .

٣ ـ المحبه :

قال أحد الآباء عن المحبه[(٧٢)] :

١ ـ المحبه هى الميل والاستعداد الحقيقى للنفس لأن تفضل البقاء دائماً فى معرفة الرب عن أى شىء آخر . ولكن لا يستطيع أى إنسان أن يصل إلى هذه الدرجه إذا كان متعلقاً بأى شىء على الأرض . ولكن عندما يمتلىء الانسان بالحب فإن العقل يسمو إلى الله ولا يشعر بأى شىء فى نفسه ولا بأى شىء حوله . وعندما يضىء النور الالهى الغير محدود فإنه لا يشعر بأى شىء حوله تماماً كما تختفى النجوم من أمام أعيننا إذا ما نظرنا اليها فى وجود الشمس .

٢ ـ الذى يحب الله لا يقدر إلا أن يحب كل الأشياء كنفسه . بعكس عاطفة الذين لم ينقوا قلبهم لانهم لن يستطيعوا أن يحبوا الآخرين .

(٧٢) الأب مكسيموس المعترف .

ولكن عندما يراهم المحب يتوبون ويتغيرون فإنه يتهلل بفرح عظيم لا ينطق به .

٣ ـــ الذى يحب الله ينبغى أن يحب قريبه أيضاً . وهذا الانسان لن يستطيع أن يدخر المال ولكنه ينفقه معطياً كل إنسان ما يحتاجه حتى يرضى الله .

٤ ـــ أعمال المحبه هى الجهاد لعمل الصلاح للآخرين وهى أن يكون الانسان كريم النفس وصبوراً وأن ينظر للأشياء نظره صالحه .

٥ ـــ الحب الحقيقى لا يقسم الطبيعه البشريه لأنها وحده واحده برغم تعدد صفاتها ولكن بالنظر لهذه الطبيعه فإنه يحب الناس كلهم بالتساوى . فهو يحب الانسان الصالح والردىء أيضاً كلاهما بلا تمييز . ويفعل الصلاح لكليهما ويصبر على كل شىء ولا يرد الشر بالشر ولكنه دائماً يتألم من أجلهم إذا بلغ الأمر لكى إذا أمكن ان يجعل منهم أصدقاء . وإن لم يمكن أن يجعل من الجميع أصدقاء له فإنه على الأقل يظل على علاقه حسنه بهم . وهكذا أظهر الرب يسوع المسيح حبه لنا متألماً من أجل الجنس البشرى بالتساوى مانحاً إيانا رجاء القيامه رغم أن كل فرد يعطى نفسه الاستحقاق إما للمجد أو للعذاب فى الجحيم .

٦ ـــ ما يحبه الانسان هو ما يرغب أن يمسك به بكل قوته . ويدفع جانباً كل ما يعوقه من ذلك حتى لا يفقد ما يحبه . فهكذا الذى يحب

الله يعمل على أن ينقى صلاته ويبتعد عن أى خطيه أو شهوه تعطل أبديته .

٧ ــ إن الناس يحبون بعضهم بعضاً للأسباب الخمسه الآتيه :

أولاً : من أجل الرب . لأن الانسان البار يحب كل الناس وهو محبوب من الجميع حتى من الغير أبرار .

ثانياً : من أجل الطبيعه كما يحب الأباء أولادهم والآباء محبوبون من أولادهم أيضاً .

ثالثاً : من أجل الغرور لأن الانسان يحب الذى يمدحه .

رابعاً : من أجل المكسب كما يحب الانسان الغنى الذى يعطيه مالاً .

خامساً : من أجل الشهوه مثل الانسان الذى يحب من يصنع له وليمه وذلك بسبب شهوة البطن .

إن السبب الأول للمحبه هو الصالح وأما السبب الثانى فهو متوسط وأما الأسباب الأخرى فهى أسباب شهوانيه .

٨ ــ حين تحب الواحد وتكره الآخر ، وحين تحب البعض بشده والبعض الآخر بمحبه ناقصه فهذا دليل على أنك بعيداً عن المحبه الكامله العطائه لكل الناس بالتساوى

٩ ــ إن الانسان الكامل فى محبته هو الذى يصل إلى عدم إتباع هواه . فهو لا يعرف أى إختلاف بين أقرباذ وبين الغرباء أو بين

المؤمن وغير المؤمن أو بين العبد والحر أو بين الرجل والمرأه . وعندما نبقى فوق الظلم والهوى ونرى الطبيعة البشريه متساويه فإننا لن نفرق أو نميز فى المحبه « لا يهودى ولا يونانى . لا عبد ولا حر . لا ذكر ولا أنثى ولكن الكل واحد فى المسيح يسوع » غل ٣ : ٢٨ .

١٠ ــ إذا تعلق فكر الانسان بالله فإن رغبته للبقاء مع الله سوف تزيد وستكون كل قوة عاطفته مائله إلى محبة الله . لأن العقل عندما يكون نيراً عن طريق خبرته الطويله مع النور الالهى وقهره وسيطرته على شهواته فإنه يميل للبقاء مع الله ويحب الله بلا سقوط فيرتفع من الأرض للسماء .

١١ ــ قد قسم الزمن إلى ثلاثة أجزاء . والايمان يشغل كل الثلاثه بينما الرجاء يشغل جزءاً واحداً والمحبه تشغل جزءين . إن الرجاء والايمان لهما حدود ولكن المحبه متحده مع الأبديه وتنمو باستمرار وتبقى دائماً مع الحياة الأبديه وهكذا فإن « أعظمهن المحبه » ١ كو ١٣ : ١٣ .

١٢ ــ إن محبة الله تريد أن تلحق بالعقل دائماً لكى يتكلم عن الرب وعن الأمور الالهيه . ومحبة القريب تميل بنا أن نفكر فيهم حسناً .

١٣ ــ كثيرون تكلموا عن المحبه ولكن إذا فتشت عنها سوف تجدها فقط بين تلاميذ المسيح . لأنهم هم الوحيدون الذين يملكون المحبه

الحقيقيه . لأنهم تعلموا المحبه التى قيل عنها « إن كانت لى نبوه وأعلم جميع الأسرار وكل علم ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » ١ كو ١٣ : ٢ ــ ٣ . لأن الذى يمتلك المحبه يمتلك الله نفسه لأن « الله محبه » ١ يو ٤ : ١٦ . ليت الله يتمجد فى كل جيل وبكل جيل . آمين .

• • •

هناك محبه صغيره تشبه المصباح الصغير الذى يتغذى بالزيت . ولكنه ينطفىء عندما يفرغ الزيت ومثل القناه التى يغزيها المطر فإنها تجف عندما يتوقف المطر . ولكن هناك محبه مثل النبع تتدفق من الأرض ولا تخمد أبداً . المحبه الأولى بشريه بينما الثانيه هى الهيه وتتخذ الرب مصدراً لها .

مار اسحق السريانى

الباب الحقيقى الذى يقودنا إلى التأمل هو المحبه . فالمحبه تقود إلى كل الطرق لاظهار المعرفه والتأمل فى الأسرار . هكذا يجب أن تقتنى المحبه أولاً ثم يصير التأمل عملاً طبيعيا فينا . ليتنا ندرك حكمة الطوباوى بولس عندما فضل المحبه على كل المواهب التى تمنح ولذلك سأل وطلب الموهبه الضروريه جداً التى بها يصل إلى كل المواهب وهى التى تدوم وتبقى [١ كو ١٣] .

المحبه هى مسكن الوحى وفى هذا المكان يأتى الينا التأمل من ذاته مثل

التقدم فى النمو النفسى الذى يتطلب معرفة النفس للأشياء الموجوده فى العالم . ونتعلم عندئذ أشياءاً جديده من يوم إلى يوم . هكذا أيضاً فى الأمور الروحيه فإن الانسان يتسلم تأملاً حياً وإدراكاً الهيا ويتعلم هذا بالنسبه إلى نموه العقلى فى حياة الحكمه . وعندما يأتى إلى مملكة المحبه فإنه يتأمل فى الروح بالطريقه الصحيحه .

مار اسحق السريانى

محبة الله هى حارة بالطبيعه وعندما يقتنيها إنسان وتتأصل فيه بدون مقاييس فإنها تدفع النفس إلى الهذيذ . والانسان الذى يشعر بهذا يتغير كثيراً ويصبح وجهه متقداً وبشوشاً ويدفأ جسده ويتركه الخوف والخجل ويتغير الموت المرعب ليصير متعه له . وعقله يتأمل دائماً ولا تتشتت أفكاره حين يتأمل فى السماء . وهكذا يغصب عقله وفكره على التأمل حتى لو كان يتحدث مع إنسان آخر .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٧٣] :

لا يمكن لأى انسان أن يصبح تلميذاً للمسيح بأى فضيله أو وصية سوى المحبه لأنه قال « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم

(٧٣) الأب سمعان اللاهوتى .

حب بعضكم لبعض » يو ١٣ : ٥٥ ولهذا السبب فإن « الكلمه صار جسداً وحل بيننا » يو ١ : ١٤ ولهذا فإن الله تجسد وإختار الموت بارادته متألما من أجل خلاص الانسان من قبضة الجحيم ليعيده ثانيه إلى السماء . وبدافع من المحبه سار القديسون دائماً وألقوا الشباك على العالم كله وجذبوه عالياً من عمق عبادة الأوثان ووصلوا به إلى بر الامان فى ملكوت السموات . وبدافع من المحبه بذل الشهداء دمائهم حتى لا يفقدوا المسيح . وبدافع من المحبه أرسل لنا الرب أباء ومعلمين كرسوا حياتهم للكنيسة المقدسه .

قال أحد الأباء[٧٤] :

هناك عشر علامات واضحه هى سمات بداية محبة الله . وهذه هى :

أولاً : الاشتياق للقاء مع الرب ولأن اللقاء الحقيقى لا يتم إلا عند إنتهاء هذه الحياه فمن الضرورى أن يجدّ الانسان فى طلب الرب وأن يشابه بولس الذى إشتهى أن ينطلق ليكون مع المسيح .

ثانياً : أن لا يحقق إرادته الخاصه ولكن إرادة الرب كما قال « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » يو ٤ : ١٥ .

ثالثاً : أن يكره العالم كله لكى يدرك الواحد الوحيد المهم .

رابعاً : أن فمه يردد دائماً اسم الرب لان الذى يحب أى شيء فإنه يفكر

(٧٤) الأب بار هابريوس Bar Hebracus .

فيه ولا يسكت لسانه على أن يذكره .. كما أحب داود شرائع الله فكان يلهج بها نهاراً وليلاً .

خامساً : أن يجد تعزيه فى الوحده والسكنى فى القلايه رافضاً صورة العالم وكارهاً الارتباط والتحدث مع الناس [بالنسبه للرهبان] لأنه كما قال القديس مار اسحق السريانى « الكمال هو الارتباط بالوحده ووجود العقل دائماً مع الله .

سادساً : لا يتعلق ذلك الانسان بالأمور العالميه ويندم على كل لحظة يقضيها بدون أى عمل روحى .

سابعاً : أنه يجد متعه فى الأعمال النسكيه رغم أنها ثقيله ومرهقه .

ثامناً : أن يمتلىء بالوداعه ولكنه يكون قوياً يؤنب على الشر مثل الرب الذى كان يحب الاستقامه ولكن نفسه كانت تكره الشر وعدم الاستقامه .

تاسعاً : أنه يصلى دائماً لكى لا يفنى حبه وينفذ فتتعطل مواهبه .

عاشراً : أنه يخفى حبه على قدر الامكان ولكن علامات هذا الحب لا تختفى منه أبداً .

٤ ــ العطـــاء :

قال أحد الأباء[٧٥] :

من يعطى بسخاء يشبه الله فلا يميز بين الصالح والردىء وبين البار والشرير فى الاحتياجات الجسديه . إنه يعطى الجميع بسرور طبقاً لحاجتهم . والمحبه تتجلى ليس فى أن يتصدق الانسان بماله ولكن بالبذل فى تعليم كلمة الله والخدمه الجسديه .

سوف يطلب الرب منا حساباً عن مساعدتنا للمحتاجين طبقاً لما نمتلكه . إن الله سوف لا يفشل أن يمد خاصته بما يحتاجون لو أننا لم نعطِ للمحتاجين ولن يقص المحتاجون الطعام أو الكساء . لذلك يجب أن نطرد حالة اللامبالاه مع الآخرين التى تنشأ من الثروه ويجب أن نكره رغباتنا الخاصه . ولذلك يجب أن نطيع وصية الله فى العطاء بسعاده وسرور . لان الله لن يعطى مواهبه الالهيه للانسان الغير مستعد أن يعطى كل أمواله لمجد الانجيل . ومن يحيا فى الفقر الالهى فإنه يملك غنى ملكوت الله .

وبخصوص وصية العطاء تحدث الأب يوحنا من كرونستات قائلاً :

١ ــ إن تنفيذ الوصيه « تحب قريبك كنفسك » يستوجب أن تكون كل الممتلكات على الشيوع مثل الشمس والهواء والنار والماء والأرض .

---

(٧٥) الأب مكسيموس المعترف .

ولذلك يجب أن يكون الطعام والشراب وكل عطايا الله يتقاسمها الجميع لأننا لا نملك شيئا ولكن كل شيء هو يخص الله . وليس من العدل أن يحتفظ الأغنياء بما عندهم فى كنوزهم بينما كثير من الفقراء فى عوز شديد من أجل وجودهم وإحتياجهم للغذاء والكساء والمسكن .

٢ ــ على أى حال يجب على الانسان الغنى أن يجتهد فى العطاء للفقراء المحتاجين . أما الفقراء بسبب كسلهم وتراخيهم فهؤلاء نحن غير مجبرين على مساعدتهم لأن الرسول بولس يقول بأن الذى لا يشتغل لا يأكل أيضاً . ولكن يجب على الاغنياء أن يلبوا صرخة الفقر التى تنبعث من كبار السن والعجز والمرض والأجر البسيط ومن ظروف الحياه الصعبه وكثرة أفراد العائله والحصاد الردىء ونحن فى ذلك العطاء يجب أن نحتذى بالأباء الرسل الأوائل وبتاريخ القديسين فى الكنيسه الأولى .

٣ ــ إذا أعطيت الفقير ولكنك تماديت فى ملذات الأكل والشرب فإنك بذلك تخدم الجسد الخاطىء والشيطان ثم بعد ذلك تخدم أقرباءك والرب . وسينطبق عليك قول الرب « ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون » لو ٦ : ٢٥ .

٤ ــ الانسان الروحى هو الذى يرحم ويوزع عطاياه بسخاء للكل

ويسر عندما تحين الفرصه له أن يفعل الصلاح ويعطى السعادة لكل انسان دون تفكير فى المكافأة التى سينالها . هذا الانسان الروحى لا يتكبر قط على أولئك الذين يعيشون على عطاياه . ولا يهمل هؤلاء الفقراء أبداً فى أى ناحيه ولا يستخف فى فكره بهم ولكنه يحترمهم كما كان يخدمهم من قبل . ولكن الذى يحدث دائماً هو أننا نتضايق سريعاً من هؤلاء الفقراء ونعتبرهم كلا شيء أو نعتبر ذلك الانسان الفقير أقل من الحيوان المدلل أو أى شيء نحبه .

٥ ـــ ضع فى قلبك دائماً أن المسيح هو المحبه وحاول أن تحب الجميع وتضحى من أجل المحبه ليس فقط بعطاياك ولكن أيضا بنفسك .

٦ ـــ لقد علمنى الرب أن العطايا بسرور . وأؤمن أنه بعطائى هذا لن أفقد شيئاً بل بالعكس سوف أكسب وأربح فى النهاية أكثر بكثير مما أعطيت . محولاً عينىّ عن غليظى القلوب الذين لا يتعاطفون مع الفقراء ويقابلون الفقر بلا مبالاه ، الذين يدينون الفقر ويعيرونه ويدعونه بأسماء شائنه ويضعفون قلبى لكى لا أفعل الصلاح وأيضا ربما أقسى قلبى على الفقراء .

٧ ـــ آه ياربى إعطنى أن تكون كل صدقه أقدمها نافعه ولا تؤذى أحداً . الرب يقبل إحساناتنا للانسان الفقير كأننا نقدم له شخصياً . الرب يتعطف ويساعدنى أن أبنى منزلاً للفقراء فى هذه المدينه التى صليت من أجلها كثيراً ياكلى الرحمه ياحكيم ياعجيب .

رابعاً ــ مشــورة اللــه :

١ ــ العفــة :

ليس العفيف هو الطاهر من الأفكار الشريره التى تحاربه فى وقت المعركه ولكن العفيف هو ذاك الذى بطبيعة قلبه يجعل الطهاره عيناً لعقله فلا تدعه يشرد خارجاً فى الأفكار الغير لائقه . وبينما هو يختبر كرامة ضميره فيما تنظره عيناه أنه فى حالة نقاوة حقيقيه ، تتدلى العفه كالبرقع فى المسكن السرى للأفكار فى بساطه قلبه كالعذراء العفيفه التى تحفظ مصونه للمسيح بالايمان .

مار اسحق السريانى

قال أحد الأباء[٧٦] :

إضعف جسدك بالجوع والسهر وداوم على ممارسة الابصلموديه والصلاة بدون تراخ وعندئذ سوف تنال الطهاره التى تجلب معها المحبه .

قد أخبرنى أحد الأباء عن درجة ساميه غير عاديه للنقاوه فقال : هناك إنسان عندما يرى جسماً جميلا حينئذ يمجد الخالق . ومن خلال هذه النظره ينتقل إلى محبة الله وإلى ينبوع من الدموع ومن العجب أن نرى

---

(٧٦) الأب مكسيموس المعترف .

أن السبب فى سقوط الانسان يصير هو نفس السبب للاكليل السامى

وهكذا إذا شعر هذا الانسان هكذا دائماً وتصرف بنفس الطريقه فى مواقف أخرى حينئذ يكون قد قام من الأموات قبل القيامه العامه .

يوحنا الدرجى

الطهاره هى اسم عام لكل الفضائل .

يوحنا الدرجى

٢ ــ الوحــدة :

الانسان الذى يحب الله بالحق ويجاهد بشده لكى يرث الحياه الأبديه الذى بدأ فعلاً أن ينزعج من خطاياه ، الذى يضع نصب عينيه الدينونه الاخيره ، الذى يحيا فى خوف حقيقى وإستعداد للرحيل ، مثل هذا الانسان سوف لا يحب أو يتعلق أو تهمه الأموال أو العطايا أو الأهل أو مجد العالم أو الأصدقاء أو الأخوة أو أى شىء على الأرض مطلقاً . ولكنه قد قطع كل رباطاته مع الأمور الأرضيه وفصل نفسه من كل الاهتمامات ووصل إلى أن يكره حتى جسده وإبتعد عن كل شىء وتبع المسيح بدون قلق ولا تردد . وهو دائماً ينظر إلى السماء متوقعاً المعونه منها طبقا لقول المرنم داود « إلتصقت نفسى بك » مز ٦٣ : ٩ . وكما قال أرميا « أما أنا فلم أعتزل عن أن أكون راعياً وراءك ولا إشتهيت يوم البليه أنت عرفت . ما

خرج من شفتى كان مقابل وجهك » أرميا ١٧ : ١٦ .

يوحنا الدرجى

دعنا نهتم بخلاص نفوسنا حتى لا تنخدع حين تفكر فى أنفسنا أننا نسير فى الطريق المستقيم الضيق بينما نحن فى الحقيقه نسير فى الطريق الواسع الرحب . والطريق الضيق يعنى ما يلى : ضبط البطن والاكل والشرب باعتدال وسهر الليل وإحتمال الاهانه والتهكم والاستهزاء والسب وأيضاً أن يترك الانسان إرادته ويصبر فى الشدائد والتجارب واحتمال الاحتقار بلا دمدمه ولا تذمر وقبول الاهانات . وهكذا عندما يفترى عليك فلا تكون ساخطاً وعندما يحتقرك أحد فلا تكن غاضباً وعندما يأمرك أحد فلتكن مطيعاً .

طوبى للذين يسلكون الطريق الذى ذكرناه قبلاً لأن لهم ملكوت السموات .

يوحنا الدرجى

سوف لا يدخل أحد إلى عرش السماء ويلبس الاكليل إلا اذا قدم التنازل الأول والثانى والثالث . التنازل الأول هو عن الأعمال والأهل والناس [خاص بالرهبان] والتنازل الثانى هو أن يترك الانسان إرادته والتنازل الثالث هو عن الغرور .

« لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب والا تمسوا نجساً فأقبلكم » ٢ كو ٦ : ١٧ .

لأن من عاش فى وسط الناس وصنع معجزه ؟ من أقام الموتى ؟ من الذى أخرج شياطين ؟ لا أحد . لان كل هذه الأمور هى مكافأة إنتصار الراهب الناسك . وهذه المكافأة لا يستطيع العالم أن يقبلها وإن قبلها إذاً فما الحاجة إلى التقشف والتوحد .

يوحنا الدرجى



الفصل الحادى عشر
العبادة الجماعية

أولاً : القداس الالهى [الافخارستيا] .

ثانياً : الايقونات .

ثالثاً : القديسة مريم والدة الاله « الثيؤتوكوس »

الفصل الحادى عشر
العبـادة الجـمـاعيـة

نحن الذين ههنا دعنا نصير مثل الشاروبيم فى تقديم التسبيح للثالوث المقدس المحي . دعنا نطرح كل إهتمام أرضى حتى نستطيع أن نستقبل ملك المسكونه الذى سوف يأتى لبحمينا بأجنحة الملائكة غير المنظورة . هللويا . هللويا . هللويا .

[تسبيحة الشاروبيم فى قداس يوحنا فم الذهب]

أولاً : القداس الالهى [الافخارستيا] :

فى يوم الرب فلنجتمع معاً ونتناول من جسد الرب ونقدم الشكر بعد الاعتراف بخطايانا حتى تصير ذبيحتنا طاهره . لا تدع أحداً متخاصماً مع أحيه يتقدم للتناول مالم يتصالح أولاً حتى لا تصير ذبيحتك دنسه لأن هذا هو ما أعلنه الرب « لأنه فى كل مكان يقدم لاسمى ذبيحه طاهرة لأنى ملك عظيم يقول الرب واسمى عظيم بين الأمم » .

قوانين الرسل

ياملك المجد لا يوجد من هو مستحق أن يأتى اليك ويقترب منك ويخدمك حينما يكون مقيد من أسفل بالشهوات وملذات الجسد . لأن خدمتك عظيمة ومملوءه مهابه حتى للقوات السمائيه نفسها وذلك بسبب محبتك للبشر غير الموصوفه وغير المحدوده . لقد صرت إنساناً بدون تغير أو نقص من لاهوتك . لقد صرت رئيس كهنتنا وسيداً للجميع . ولقد منحتنا القوه الكهنوتيه حتى نقدم هذه الذبيحه العامه بدون أن يسفك دم جديد . أنت وحدك أيها الرب الهنا الذى هو سيد كل الأشياء التى فى الأرض والتى فى السماء أيضاً . أنت الذى تحمل فوق عرش الشاروبيم أنت هو رب السيرافيم وملك إسرائيل . أنت وحدك هو القدوس الذى يستريح فى القديسين . وها أنا أجعل صلاتى اليك لانك أنت وحدك هو الصالح والمستعد أن تسمع لى بغنى . إنصت بإذنك لتسمع لى أنا خادمك الخاطىء غير النافع ونقِ نفسى وقلبى من كل فكر شرير . وبقوة الروح القدس إجعلنى مستحقاً — منذ أن إتشحت بنعمة الكهنوت — أن أقف أمام مذبحك المقدس لأقدس أسرارك عن طريق جسدك المقدس ودمك الكريم . ها أنا أتقدم اليك ورأسى منحنيه متوسلاً اليك ألا تصرف وجهك عنى ولا تطردنى من وسط أولادك ، ولكن إسمح لى أنا خادمك الخاطىء غير المستحق أن أقدم لك قرابينك . لأنك بالحقيقة أنت الذى تقدم الذبيحة أيها المسيح الهنا ولكنك تعطيها لنا . ولذلك نقدم لك المجد مع أبيك الأبدى والروح القدس الرحوم المانح الحياة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين .

صلاة إستعداد الكاهن فى قداس يوحنا فم الذهب

قال أحد الأباء[٧٧] :

١ ــ إن الأمر الضرورى فى الصلاة الذى يجب أن نهتم به فوق كل شىء هو الحياة بايمان طاهر فى الرب لحضوره بقوة ومثولنا أمامه [فى المذبح] ثم نطلب فى الرو ح القدس من الرب يسو ع المسيح ما نرغب فيه وعندئذ سوف نحصل على ما طلبناه اسأل ببساطة دون ادنى شك وعندئذ سيصير الملك هو كل شىء بالنسبه لك . أكمل فى لحظة العمل العظيم العجيب الذى هو رشم علامة الصليب . أطلب منه البركة الروحيه والماديه أيضاً ليس لنفسك فقط بل ولكل المؤمنين ولكل أعضاء جسد كنيسة المسيح . وحين تصلى صلاتك السريه الداخليه أو الخارجية العلنيه تأكد أن الله حاضر أمامك وفى داخلك وينصت لكل كلمة حتى لو كنت تقولها فى عقلك فقط فتكلم بكل قلبك دون أن تبرر ذاتك . وليكن لك ايمان بأن الله سوف يرحمك ولن تبقى بلا غفران لأن هذه حقيقة واقعه من الاختبار .

٢ ــ خلال القداس الألهى فإن الكنيسة كلها تجتمع معاً ؛ كنيسة الابكار الموجوده فى السماء وكنيسة المجاهدين على الأرض تجتمع معاً حول الحمل الذى حمل خطايا العالم . فأى براعة عظيمة تلك التى تفتن النفس وتحركها . إننا نستطيع أن نكون ورثه مع القديسين لو

---

(٧٧) الأب يوحنا من كرونستات .

بقينا مخلصين للحمل حتى الموت . ألستم كلكم ياأخوتى أعضاء فى ذلك الاجتماع السمائى المقدس ووارثين فى الملكوت الآتى ؟ أى إتساع يجب أن يكون عليه قلبى حتى يتسع للكل بأن يحب الكل ويهتم بخلاص الجميع كما لو كان خلاصى أنا . هذه هى الحكمة بل وقمة الحكمة . دعنا نصير بسطاء القلب مع الكل . دعنا نتذكر دعوتنا العليا وإختيارنا . دعنا نشتاق باستمرار إلى كرامة الدعوة الالهية السمائيه فى المسيح يسوع لأننا نحن أولاد الله وورثته ووارثين مع المسيح .

ثانياً ــ الايقونات :

قال أحد الأباء[٧٨] :

نحن لا نسجد لطبيعة الأخشاب ولكننا نوقر ونسجد لذاك الذى صلب على الصليب .

● ● ●

لم يكن يستطيع أى أحد فى العهد القديم أن يصف الله ولذلك لم يصور على الاطلاق . ولكن الآن فى العهد الجديد قد ظهر الله فى الجسد وعاش بين البشر وصار له صورة يمكن أن نراه بها . ونحن لا نعبد المادة

---

(٧٨) الأب لاونتيوس .

ولكن نعبد خالق الماده الذى صار جسداً من أجلنا وخلال تجسده أعطانا خلاصاً . وأنا لا أكف عن السجود للايقونه التى خلالها يظهر المسيح الذى يمنحنى الخلاص .

القديس يوحنا الدمشقى

إن الايقونة قد منحت قوة الهيه خلال قوة صلاة تكريسها (+)

القديس يوحنا الدمشقى

أيها الرب الاله الذى تمجد فى الثالوث المقدس . أنت الذى لا يستطيع العقل أن يصل اليه ولا توجد أى كلمات تعبر عنك أنت الذى لم يكن يستطيع أحد أن يراك فى أى مكان . وكما عرفنا من الكتاب المقدس ومن تعاليم الرسل الالهيه هكذا نؤمن وهكذا نعترف أن الله الآب بلا بدايه والابن والروح القدس ممجدين معك . وكما أعلن الكتاب المقدس عن ظهورك فى شكل ثلاثة ملائكه لابراهيم . وفى العهد الجديد أعلن الله نفسه فى صوت يقول : أنت ابنى الحبيب والابن كان يعمد فى الأردن والروح القدس ظهر فى شكل حمامه حتى نتذكر الثالوث المقدس . ونحن نعترف لك ليس بلساننا فقط ولكن أيضاً بأن نرسم صورتك لكى حين ننظر اليها بعيوننا المحسوسه نستطيع أن نراك ياإلهنا بعيوننا العقليه . وحين نكرم

(+) يقصد هنا الايقونات الموجوده فى الكنيسة والتى تم تدشينها بالميرون المقدس وهى التى نتبارك منها .

صورتك نمجدك ونسبحك ياخالقنا وفادينا ومقدسنا . ونتذكر أعمالك الصالحه غير المحصوره . لأن المجد المقدم لصورتك مقدم لك أنت .

نحن نقف أمام الايقونه فنقف أمام عظمتك بعواطفنا الخاشعه ونحن نطلب ونصلى ونجعل أنفسنا حسب مسرتك أن تنظر بمراحمك إلى الايقونه لترسل لها بركتك السمائيه . وبإسم الثالوث المقدس باركها وقدسها من أجل الذين يمجدونها ويقدمون إتضاعاً أمامها ويسجدون لها ويصلون اليك أمامها ليجدوا رحمة ويأخذوا نعمة ويخلصون من كل التجارب ويأخذون غفراناً لخطاياهم ويصيرون مستحقين للملكوت السمائى بمراحمك وغفرانك ومحبتك للبشر . إن الله الواحد ممجد فى الثالوث الآب والابن والروح القدس الذى له المجد الآن وكل آوان والى دهر الدهور آمين .

عن كتاب صلوات التكريس والطقوس
[الخاص بالكنيسة الروسيه]

ثالثاً ـــ العذراء القديسه والدة الاله : ثيؤتوكوس

قال أحد الأباء[٧٩] :

ما سبب تكريم العذراء مريم ووضعها فى المكان السمائى ؟ إنه بسبب الحبل المقدس والنبع المختوم المحفوظ لذاك الذى ختمه ، إن العذراء تقول :

---

(٧٩) الأب نوتيوس بطريرك القسطنطينية .

إن الروح القدس قد حلّ عليّ ولم أعارض قط لأننى أمة الرب وسأصير حسب الكلمة [ليكن لى كقول الرب] وأنا سوف أخدم إرادته بفرح . ولو أن الله جعل الأشياء التى يبنى بها هيكلاً له فلأ تركه يبنى بيتاً لنفسه حسب رغبته . ولو أن الخالق إستراح فى خليقته فلأجعله يقيم فىّ جسده حسب ما يريد وبالكيفية التى يرغبها . إننى مصنوعه بيد الرب فليجعلنى حسب كلمته . فلتكمل كلمته وتتحول فىّ إلى فعل . إجعل كلمتك تكمل فىّ وتصير عملاً .

أما بالنسبة لنا فماذا نقدم للعذارء ؟ وأى كلمات تسبيح سوف نقدمها لها ؟ أى كلمات غير كلمات الملاك غبريال التى تحدث بها أولاً عند لقائه بها « سلام لك أيتها الممتلئه نعمه مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك » سلام لك لأننا رأينا شمس البر تشرق منك ويضيء للسمائين والأرضين وينزع الخطيه والشر ويشرق على المسكونه كلها بشعاع النعمة .

سلام لك أيتها المملوءه نعمه أكثر من الكل لأنك قد إرتفعت أكثر منا. فى بتوليتك وقد نمت نفسك فى النعمه وحطمت الفساد . سلام لك لأنك حملت لنا خبز الحياه الذى حل فى أحشائك وصرت مثل الخميره الفاضله التى تعطى طعاماً . سلام لك لأنك صنعت شجرة الحياة لتى تحمل لنا ثماراً . سلام لك أيتها المملوءه نعمة لأنك حملت اللؤلؤه الكثيره الثمن التى تحوى غنى خلاصنا إلى نهاية المسكونه . مباركة أنت فى النساء لأنك

نزعت عار النساء وحولت غواية المرأه إلى تسبيح جنس النساء . إن آدم الأول قد أخذ من الأرض البكر والآن آدم الثانى الذى هو المسيح ولد منك أيتها العذراء الحقيقيه . لأن منك تجسد الابن الكلمه الذى كسى آدم الأول . ولكن لماذا أنا أضع هذه المقارنه بين آدم الأول والثانى ؟ السلام لك أيتها الممتلئه نعمة اكثر من الكل لأن غذاء جنس البشر كائن منك . وبركة كل الأشياء تأتى الينا خلال حبلك .

قال أحد الأباء[٨٠] :

من هو مستحق أن يخدم كراع للأسرار ؟ من هى تستحق أن تصير أم الله وأن تعطى جسداً لذاك الذى هو غنى فى كل شىء ؟ واضح أنها العذراء إبنة يواقيم وحنه التى نحتفل بميلاد الكلمة منها الذى ظهر فى الجسد الذى هو أعظم الأسرار والذى له هذا الاحتفال العظيم المقدس الذى يقام .

إنه كان من الضرورى أن يكون جسد العذراء طاهراً ونفسها طاهره وأفكارها طاهرة حتى تعين أماً لله الخالق . إنها جاءت كطفله إلى الهيكل وهى التى وطأت هذا المكان الذى لم يطأه أحد . إنها صارت هيكلاً حياً لذاك الذى أعطاها الحياه فولدت المخلص الذى أخذ جسداً من جنسنا بدون طريق الزواج . لقد إختار الله العذراء كعروس للخدر السمائى فحفظت نفسها بالوداعه الروحيه . إنها بفضائلها صارت كالنجوم

(٨٠) الأب فوتيوس بطريرك القسطنطينية .

وشابهت السماء لتظهر لكل المؤمنين لأنها ولدت شمس البر . إنها إصطبغت بصبغة البتوليه فصارت تخدم المسكونه كلها كملكه . أى معجزه هى هذه التى لا تستطيع أن تحويها كل المسكونه أن العذراء تحبل دون أن تفقد بتوليتها . الذى لا يجسر الشاروبيم أن يحمله قد حملته العذراء فى ذراعيها البشريتين . من الرحم العقيم جاء الحبل المقدس . الذى لم تقطعه أيدى بشريه صار هو حجر الزاويه الذى هو المسيح الهنا الذى دمر هيكل الشياطين وسلطانهم . إن المسيح هو الفرن لمحى السمائى الذى حلّ على الأرض الذى هو خالقنا الذى قدم بكور الثمار على النار الالهيه [يقصد الصليب] وخبز المحصول وصنع لنفسه خبزاً من الدقيق الطاهر . ولكنه ماذا يستطيع الانسان أن يقول أو يختبر عن مواهب العذراء .

قال أحد الأباء(٨١) :

المسيح هو الله الذى ولد من العذراء وصار إنساناً . وهو قد أعطى وجوداً لمن ليسوا بموجودين . والعذراء التى ولدته لم تفقد أى شيء من بتوليتها . لأنه كما صار هو إنساناً بدون أن تتغير طبيعته أو يفقد قوته فهو فى نفس الوقت جعل العذراء أماً وفى نفس الوقت إحتفظ ببتوليتها . وهكذا توالت المعجزات الواحده تلو الأخرى . ولأن الله قد أخلى نفسه ولكن هذه منتهى الأسرار . وهكذا جعل العذراء أماً حتى حين ولدته وحين صارت أماً لم تتخلَ عن بتوليتها قط .

---

(٨١) الأب مكسيموس المعترف .

لن أكون غيوراً أيها الابن لأنك أنت معى وأيضاً مع كل البشر . أنت هو الله وأنا أعترف بذلك . وأنت هو ربى ولذلك أنا أخدمك . وأنت أخ أيضاً ولذلك أنا أحبك . أنت مانح حياة للكل حين تدخل فىّ . وأنت أيضاً تخرج منى . وحين آخذك وتصير لى فإن أسرارك الخفيه لن تتحرك منى لأنك أنت معى . وهذا ما يجعلنى أتعجب لأننى حين أراك أمام عينى فإن صورتك الحقيقيه تطبع فىّ . فى عقلى أيها القدوس تطبع صورتك المرسومه التى هى صورة آدم قبل السقوط . وفى صورتك الخفيه أنا أرى اباك الذى هو متحد معك . لأنك لست فقط ابن الانسان لان الحبل بك هو أمر جديد وميلادك أعجوبه وبدون الروح لن نستطيع أن نسبحك . إن الشهوات شديده فى داخلى . كيف ادعوك غريباً عنى وأنت واحد منا ؟ هل أدعوك إبنا ؟ هل أدعوك أخاً ؟ هل أدعوك زوجاً ؟ ربى أنا أدعوك أيها الابن الذى أعطى أمه الميلاد الثانى الذى من الماء . لاننى أنا أختك . من بيت داود ابينا كلينا . ثانية أنا أمك من أجل الحبل بك . واننى عروسك من أجل تقديسك لى . أنا إبنتك وأنا صنيعة يديك . بالدم والماء قد إشتريتنى وعمدتنى . إبن الله جاء وسكن فىّ وأنا صرت له أماً . وفى الميلاد الثانى الذى حصلت عليه ومنحنى إياه . ولأنه أخذ جسداً من أمه فإن جسدها قد التحف بمجده .

القديس مار افرآم السريانى

الفصل الثانى عشر
الخليقة الجديدة

أولاً : العمل .

ثانياً : الزيجه .

ثالثاً : تحول العالم .

رابعاً : الاسكاتولوجى [العالم الآخر] :

١ ـــ الملائكه .

٢ ـــ السماء .

٣ ـــ الدينونة .

٤ ـــ الجحيم .

الفصل الثانى عشر

الخليقة الجديدة

« إن كان أحد فى المسيح فهو خليقه جديده . الأشياء العتيقه قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً . ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحه . أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحه . اذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » .

٢ كو ٥ : ١٧ ـــ ٢٠

أولاً : العمل :

لو أن الصلاة سبقت العمل فإن الخطيه لن تدخل إلى النفس . لأنه حين يثبت خوف الله فى القلب فإن رذائل الشيطان تصير عقيمه ويبقى النزاع مع الشيطان إلى يوم الدينونه . إن الصلاة تمنع الفلاح من إرتكاب الخطيه لان ثماره سوف تزيد حتى لو كانت قطعة الأرض المزروعة صغيرة ولن تدخل الخطيه مع الرغبة فى الثمار . وهكذا أيضاً مع المسافر الذى

يستعد للزواج أو الدراسه . فكل ما ينوى الانسان أن يفعله لو أنه فعله مع الصلاة فإن العمل سوف يزدهر وسوف يحفظ من الخطيه لأنه لن يضايقه أى شيء ولن يقوده أى أمر للشهوات . وعلى عكس ذلك لو أن الانسان ترك الله وإنتبه إلى أعماله فسيصير عدواً لله لأنه سوف ينفصل عنه . لأن الاسان الذى لا يتحد مع الله خلال الصلاة فهو منفصل عنه .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

هكذا فإن الانسان المسيحى يوجه كل عمل سواء كان صغيراً أم كبيراً وفقاً لمشيئة الله . ويؤدى كل أعماله بعنايه تامه ويحفظ فكره فى الله الذى أعطاه العمل لكى يعمله وفى ذلك يكمل القول الالهى « جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمنى فلا أتزعزع » مز ١٦ : ٨ وهو أيضا يطيع الوصيه « فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » ١ كو ١٠ : ٢١ فيجب أن نمارس كل عمل كما لو كان أمام عين الرب . ونفكر كل فكر كما لو كان مكشوفاً من الرب . مكملين قول الرب : لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك .

القديس باسيليوس الكبير

كان يوجد أحد الأباء يمارس حياة الوحدة والصلاة الدائمة التى بلا توقف وفى المساء كان يجد طعاماً أمامه فكان يأكله . ثم ابتدأ هذا الأب يعمل بيديه فى الصباح ثم يرجع إلى قلايته فى المساء فكان يرغب أن يجد

الطعام الذى سبق أن كان يراه ولكنه لم يجد شيئاً فرقد فى حزن ثم ظهر له صوت يقول له : حينما كنت مشغولاً بالحديث معى كنت أنا أطعمك . ولكن حين بدأت فى العمل فيجب أن تأخذ طعامك من عمل يديك .

عن كتاب حكمة أباء البريه

أى عمل يعمله الانسان وأى كميه ينتجها يجب عليه أن يشعر أنه لم يكمل أى شيء . وحين يصوم يجب أن يقول أنا لم أصم بعد . وحين يصلى يفكر ويقول : أنا لم أصلى كما يجب . وحين يثابر فى الصلاة يقول أنا لم أثابر قط ولكنى بدأت فى ممارسة النسك والعمل . وحتى لو كان الانسان باراً أمام الله يجب عليه أن يقول أنا لم أعمل بعد ما يجب علىّ ولكننى أبدأ كل يوم .

القديس مكاريوس

قال أحد الأباء[٨٢] :

إن الايمان بدون أعمال والاعمال بدون الايمان كلاهما يستحق الدينونه . لان الذى عنده ايمان يجب أن يقدم لله الاعمال التى يعلن بها عن ايمانه . أبونا ابراهيم لم يحسب باراً بسبب ايمانه . ألم يقدم ثمار هذا الايمان إبنه الوحيد [يع ٢ : ٢١ ، رو ٤ : ٣] .

---

(٨٢) الأب ديداخوس .

إعتاد أحد الأباء حين كان فى العالم قبل الرهبنه أن يساعد المحتاجين فإذا رأى إنساناً غير قادر على زراعه حقله كان يذهب ليلاً ويأخذ بذاراً معه ويزرع حقل ذلك الانسان الفقير . وحين جاء هذا الأب إلى البريه وعاش فى الدير كان يصنع نفس هذا العمل فكان يذهب على طول الطريق يحمل الخبز والماء ويطعم المحتاجين ويساعد غير القادرين ويحمل معهم الأعباء ويطعمهم ويسقيهم لدرجة أنه لو وجد إنساناً عرياناً كان يعطيه رداءه وإذا مات إنسان كان يقوم باجراءات دفنه بعد الصلاة عليه . وهكذا كان هذا الانسان يتعب يوماً بعد يوم وكان الرب يعزيه ويعطيه نعمه .

القديس يوحنا الدمشقى

قال أحد الأباء(٨٣) :

إنه لا يوجد إحتياج لكى تسأل أى أحد عن كيفية تمجيد الله بالكلام أو الكتابه أو الاعمال الصالحه لأن ذلك مطلوباً وفقاً لامكانياتنا وقدراتنا .

فيجب أن نستخدم كل قدراتنا . فإذا فكرت مثلا أن تعمل عملاً بسيطاً فإن الشيطان يقترح عليك بالاكتفاء بالعمل الداخلى فقط [الصلاة] وأنه لا داعى للعمل إلا حين ترغبه . ولكن العمل واجب حتى حين لا نرغبه خصوصاً إذا كان هذا العمل خاصاً بخلاص نفسك فى الصلاة

(٨٣) الأب يوحنا من كرونستات .

وقراءة كلمة الله والكتب الروحيه وحضور القداسات الالهيه وعمل الأعمال الصالحه . لذلك لا تستسلم للكسل والخديعه والأعمال الجسديه الشريره لان الجسد سوف يستريح للأبد حتى لو تعب فى العمل هنا ولكنه سوف يطرح فى العذاب الأبدى اذا إستراح هنا مؤقتاً وتلذذ . وهكذا قال الرب المخلص أن ملكوت الله يغصب والغاصبون يغتصبونه لذلك إنتبهوا لأنفسكم ولشهواتكم وخصوصاً فى حياتكم اليوميه فى البيت وخارج البيت . تكلموا وإفعلوا كل شيء بصواب وبلا تشكك وبثبات وداله . تجنبوا الشك والجبن والاسترخاء والتردد « لأن الله لم يعطينا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح » ٢ تيمو ١ : ٧ وربنا هو إله القوة .

ثانياً ـــ الـــزواج :

قال الأب يولكانينوف الروسى Yelchaninov

١ ـــ إن المدنيه والاستقلاليه أوجدت بعض الصعوبات فى الحياة الزوجيه . ولكى يتم التغلب على تلك الصعوبات يجب أن يبذل كلا الزوجين جهداً مركزاً . لذلك يجب أن يبنى الزواج على مبدأ ذوبان كل طرف فى الآخر فى كل المشاكل . وهناك أمر آخر مهم يجب أن يدركه كلا الزوجين وهو أن يحتفظ كل طرف فى الحياه الزوجيه بمكانه المناسب . فالزوجه تكون راضيه بالمكانه الثانيه من أجل إتضاعها والزوج يتحمل المسئوليه ويحمل اعباء كونه رأساً . ولو

ثبت كل طرف فى ذلك وكانت رغبته حاضره فإن الله سوف يساعد الزوجين أن يجتازا طريق الصعاب وطريق الاستشهاد ولكن هو أيضاً طريق الحياة الذى يثمر ويقود للفرح الشديد . إن الزواج هو سر معلن حيث نرى فيه التحول الكامل للرجل وامتداداً لشخصيته فى الرؤيه الواضحه والحياة الجديدة التى خلالها يتم ولادة الكمال الجديد .

٢ ـــ إن إحتفال الفرح بالاكليل الذى يتم فى يوم الزواج يجب أن يمتد إلى كل أيام الحياة . كل يوم يجب أن يكون إحتفالاً . كل يوم يظهر الزوج والزوجه وجوداً فائقاً جديداً . والسبيل الوحيد لنوال ذلك هو أن كلا منهما يصير أعمق روحياً ويقدم جهداً مضاعفاً فى نمو ذاته وتحسينها . فى الزواج فقط يستطيع الانسان أن يعرف الطرف الآخر ويحس ويلمس كيان ذلك الآخر . وهذا العجب والتناسق مطابق لسر المعرفه الالهيه . ولهذا السبب فإنه قبل الزواج فإن الانسان يحلق فوق الحياة ولكن فى الزواج يغوص داخلها ويدخل فيها خلال شخصية الطرف الآخر . وهذا الفرح الذى للمعرفة الحقيقية والحياة الحقيقية يعطينا الشعور فى الوصول إلى هذا الكمال والرضا فى ذلك الغنى والحكمه .

٣ ـــ ليس لأى من الرجل أو المرأه أن يمتلك ا.توه على الطرف الآخر ولا يسيطر أى منهما على الآخر . ولا حتى ب سم الحب يصنع هكذا وإلا كنا نقتل الحب ذاته . ولكن هنا يأتى ا سؤال : هل يجب على

أحد الطرفين أن يخضع لذلك الاذعان حين يأتى من الطرف الآخر ؟ إن الزيجات غير السعيده تأتى من هنا وهى أن يحاول كل طرف أن يستعبد الطرف الآخر وعندئذ تأتى صعوبات الزواج . ولكن يجب أن نعرف أن التعبير عن الحكمه العاليه لسر الزواج هو فى تشبيهه بالزواج السمائى بين المسيح والكنيسة حيث توجد الحرية الكاملة .

إن الكتاب المقدس يربط سر الزيجه ولا يسمح بأى كسر للاتحاد الزيجى ولا يوافق على الطلاق إلا لعلة الزنا ويعتبر أن الزواج بمطلقه هو نوع من الزنا . وهكذا فإن من يطلق امرأته فإنه يزنى أى أن من طلق امرأته لغير علة الزنا فكأنه يدفعها لترتكب الزنا . وليست هى فقط التى تزنى بل وزوجها الذى كان سبباً فى إعطائها تلك الفرصة للخطيه . وهكذا إذا لم يسمح للزوجه [المطلقه] أن تتزوج فإنها سوف ترجع إلى زوجها .

القديس إكليمنضس الاسكندرى

ثالثاً ــ تحول العالم :

قال أحد الأباء(٨٤) :

حينئذ يصنع الانسان أرضاً واحده بالأتحاد مع الفردوس خلال الصلاة

---

(٨٤) الأب مكسيموس المعترف .

والحديث مع الله المملوء تقوى وعندئذ تتحد السماء مع الأرض خلال الفضيله ويصير الانسان شبيه الملائكه ويصعد إلى حضرة الله غير المنظور . فالإنسان قادر أن يصل إلى كل ما هو أسمى حيث الله ثم يرجع ثانيه إلى الخليقه المنظوره . وعندئذ يقوم الانسان بتوحيد الاشياء التى يعرفها بعقله مع الاشياء التى يعرفها بحواسه عن طريق المعرفه المشابهه لتلك التى للملائكه التى ترى كل الخليقه ولا تفصلها إلى ما هو معروف وما هو غير معروف . ولكن يصير الانسان مثل الملائكه قادراً على معرفة الحكمه العاليه الحقيقيه ويقترب .فقط لتلك المعرفه الغير معبر عنها [وهى معرفة الله] وعندئذ يتم اتحاد الطبيعة المنظورة مع غير المنظوره . وعندئذ ينظر الانسان إلى كل شىء كأنه واحد خلال قوة النعمة . فهو يرى كل الأشياء فى الله أولاً كأنها تنبع من الله إلى حيز الوجود وثانياً ترجع الاشياء مرة أخرى وترتفع إلى الله الذى هو نهاية كل تحرك المخلوقات التى هى نهاية كل قاعدة وقاموس ونهاية كل فكر وكل كلمة وكل طبيعة والغرض الأبدى غير المحدود لكل الأشياء .

• • •

قال الأب يولكانينوف الروسى :

إن علاقاتنا مع البشر تظهر فيما يلى : إن الانسان يحب أن نمجده ونمدحه ونجعله مثلاً لنا ولا نرى أى شىء ردىء فيه . وقد يكون الانسان صورته حسنه أمامنا ولكن حين يسقط فى أى عثره مثل الكذب أو التفاخر

أو الجبن أو الخيانه فإذ بنا نعيد تقييم هذا الأخ فنمحو عنه كل ما رأيناه من فضيله ثم ندفعه خارج قلوبنا . ولكننى قد فهمت أن هذه علاقة مزيفه وخاطئه بين البشر . لأنه توجد فكرتان فى علاقاتنا مع البشر كثيراً مالا ندركهما . الفكرة الأولى هى أننا فوق الخطيه والفكره الثانيه هى أن الانسان الذى أحبه هو بلا خطيه أيضاً . ولذلك لماذا نندهش ونتعجب حين نرى إنساناً تقياً وديعاً يرتكب خطيه ؟ وهذا هو إستخلاص من إنطباعى الردىء بملاحظة قلوبنا ودينونتنا للآخرين رغم جواز سقوطنا نحن فى كل أنواع الخطايا . ولذلك يجب أن يكون سلوكنا تجاه الآخرين هو الغفران الذى بلا حدود لأننا نحن أنفسنا فى إحتياج دائم للغفران . وما هو ضرورى ليس أن ننسى أن الصلاح الذى قيمناه فى الآخرين يبقى رغم الخطيه لان الخطيه دائماً موجوده رغم أننا لم نلاحظها .

إن ربنا يسوع المسيح قد جاء من السماء وتجسد . وسوف يأتى فى مجده فى نهاية العالم فى اليوم الأخير وسيكون عندئذ نهاية هذا العالم . وهذا العالم المخلوق سوف يتحول إلى شىء جديد . واثبات ذلك من الكتاب المقدس هو قول أشعياء النبى « ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمه والسقاط من التينه » أش ٣٤ : ٤ هكذا يقول الرب أيضاً « من الآن لا أشرب من نتاج الكرمه هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى » مت ٢٦ : ٢٩ وهكذا فإنه فى نهاية الأيام لن يحطم الرب السماء بل سيحولها إلى أكثر جمالاً والاشياء المرئيه سوف تفنى وستأتى الأشياء التى ننتظرها وهى أشياء

أجمل من تلك الموجوده الآن . أما بالنسبه للوقت فلا يقلق أحد لأنه « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنه والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه » أع ١ : ٧ لأنه « لا تعلمون فى أيه ساعة يأتى ربكم ... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » مت ٢٤ : ٤٢ و ٤٤ لذلك انظروا لكى لا يضلكم أحد فقد نبهنا الرب لكى ننتبه إلى ما سمعناه لان ما سمعناه ليس تاريخاً للأشياء ولكنه نبوءه عن الاشياء المقبله التى بالتأكيد سوف تتم . ولسنا نحن الذين نتنبأ لأننا غير مستحقين لذلك . ولكن الأشياء المكتوبه هى الموضوعه أمامكم . والعلامات أوضحت . وعليكم أن تلاحظوا ما تم وما هو حتى تخلصوا .

القديس كيرلس الأورشليمى

رابعاً ــ الاسكاتولوجى [العالم الآخر] :

١ ــ الملائكة :

ما هى الملائكة ورؤساء الملائكه والرئاسات والقوات والعروش والسلطات والكائنات من نفس الدرجة مثل العروش التى وصفها الكتاب المقدس والتى هى بالقرب من الله دائماً مثل الشاروبيم والسرافيم ؟ هذه الموجودات التى تفوقنا هى غير فاسده ورئاستها روحيه وسمائيه . ونحن نلاحظ أن رئاستنا البشريه تناسب طبيعتنا وامكانياتنا ووحدتنا مع الطبيعة الالهية والفضيله الالهيه . ولكن لأن هذه الملائكه هى أرواح روحانيه لذلك

فإنهم يعرفون المعرفه التى تناسبهم . ولكن لكى نتحدث بالحق فإنه يوجد واحد هو الله الذى وفقاً لأرادته يعطى كل أحد حسب إستحقاقه .

القديس ديونسيوس الأريوباغى

قال أحد الأباء[٨٥] :

إن رؤساء وقادة الجيش السمائى ليسوا مثلنا غير مستحقين . لذلك نحن نطلب منهم بدون توقف أن يحيطونا بشفاعتهم وأن يغطونا بحمايتهم بمجد أجنحتهم السمائيه . نحن نركع ونصرخ للقوات السمائيه بمثابرة لكى يخلصونا من الخطر .

طلب أحد الأباء[٨٦] فى صلاته قائلاً :

ياأفراد قادة جيش الله خدام المجد الالهى الذين ينظمون البشر ويأمرون الملائكه . أطلبوا كل ما هو صالح لنا وأطلبوا لنا الرحمة الغزيرة يارؤساء الملائكه .

٢ ــ السمـــاء :

نحن نستطيع أن ندرك عدم محدودية الطبيعة الأبديه . وهذه اللامحدوديه لا يمكن أن تكون هى طبيعة مفهومه . وهكذا كل رغبه لهذا الجمال تقودنا

---

(٨٥) الأب تروباريون Troparion .

(٨٦) الأب كونتاكيون .

إلى الصعود وتتقوى عن طريق تقدم النفس . وهذا هو المعنى الحقيقى لرؤية الله وهو عدم الاكتفاء بالرغبة ولكى تثبت عيوننا نحو هذه الأشياء التى تساعدنا على الرؤيه يجب أن نحتفظ فى أنفسنا بالرغبة أن نرى أكثر فأكثر . ولا يوجد أى حدود تقف أمامنا فى تقدمنا نحو الله أولاً لأنه لا يمكن أن توضع حدود للجمال الالهى وثانيا بسبب رغبتنا التى لا تتوقف لهذا الجمال .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

بعد القيامة حين تتحد نفوسنا مع أجسادنا سوف نصير غير فاسدين . والشهوات الجسديه التى تزعجنا الآن لن توجد فى تلك الأجساد . وسوف ننعم بالسلام حيث لن يوجد حرب من الجسد ضد النفس وسوف لا توجد تلك الحرب الداخليه حيث تحارب الشهوات الجسديه ضد ناموس العقل وتهزم النفس وتجعلها أسيره للخطيه . إن طبيعتنا سوف تتطهر عندئذ من كل تلك الرغبات وروح واحده ستكون فى كل من الجسد والروح وكل عمل جسدى سوف يتبدد من طبيعتنا .

القديس اغريغوريوس أسقف نيصص

ولسوف يشترك فى مجد المسيح كل من يثبت فى المسيح أثناء وجوده وأخذ تجديداً بالروح وإستحق أن يبقى ثابتاً فى شركة الطبيعة الالهيه غير الموصوفه .

ولن يصير أى أحد مع المسيح فى الأبديه إلا إذا أخذ النعمه هنا وتحول فى عقله بتجديد ذهنه « تغيروا عن شكلكم بتجديد ذهنكم لتختبروا ما هى إرادة الله » رو ١٢ : ٢ .

القديس اغريغوريوس السينائى

إن ملكوت السموات يشبه خيمة الاجتماع لأنه فى العالم الآخر يوجد مكانان [القدس وقدس الاقداس] مثل خيمة الاجتماع التى صنعها موسى . كل الذين إستنيروا بالنعمه سيدخلون إلى ما رواء الحجاب الأول ولكنّ الكاملين فقط سيدخلون إلى المكان الثانى .

القديس اغريغوريوس السينائى

نحن لا نبشر فقط بمجىء المسيح الأول بل أيضاً بالمجىء الثانى المملوء مجداً أكثر من الأول . لأن المجىء الأول أعطانا فكرة عن طول الأناه أما الثانى فهو يحمل اكليل الملكوت الالهى ∵ لان كل الأشياء هى نوعان بالتسبه للرب يسوع المسيح . يوجد ميلادان واحد الهى قبل الأجيال والثانى هو الميلاد من العذراء فى ملء الزمان . ومجيئه الأول لم يلاحظه أحد مثل سقوط الندى على جزة الصوف على عسك مجيئه الثانى المزمع أن يصير

القديس كيرلس الأورشليمى

دعنا ننتظر مجيء الرب على السحاب والسماء . وعندئذ سوف يبوق الملائكة والاموات فى المسيح سيقومون [١ تس ٤ : ١٦] والمؤمنون الأتقياء سوف يخطفون معه على السحاب وسيأخذون أجرة تعبهم أكثر من المكافأة البشرية لأنهم جاهدوا أكثر من البشر كما كتب بولس الرسول قائلاً « لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات فى المسيح سيقومون أولاً . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء » ١ تس ٤ : ١٦ — ١٧ .

القديس كيرلس اسقف أورشليم

٣ — الدينونه :

مخيفه هى الدينونه التى هى الحق الصحيح ومخيفه هى الأشياء المعلنه . إن ملكوت السموات موضوع أمامنا والنار الأبديه قد أعدت . وكيف سيقول الواحد كيف أهرب من تلك النار ؟ وكيف أدخل الملكوت ؟ إعلم الطريق لأنه لا يوجد أى رمز بل أكمل المكتوب « لأنى جعت فأطعمتونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريباً فآويتمونى . عريانا فكسوتمونى . مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم الىّ » مت ٢٥ : ٣٥ — ٣٦ .

القديس كيرلس الأورشليمى

إن الرب يسوع المخلص قد أعلن عن منازل كثيرة فى العالم الآخر ورغم أن الملكوت واحد إلا أنه توجد درجات متعدده وفقاً لتنوع المعرفه والفضيله لأولئك الداخلين وفقاً لدرجات تقواهم « مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر . لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد » ١ كو ١٥ : ٤١ ولكن الكل سوف يلمع فى السماء .

القديس اغريغوريوس السينائى

فى السماء سوف يتحدث القديسون مع بعضهم بعضاً والروح القدس سوف يتحدث فيهم .

القديس اغريغوريوس السينائى

قيل عن الملائكه والقديسين فى الحياه الأبديه أنهم لن يكفوا عن تقدم مواهبهم وجهادهم نحو البركه العظيمة ولن يحدث تغير أو رجوع من الفضيلة إلى الخطيه كما فى تلك الحياه .

القديس اغريغوريوس السينائى

فى الأبديه سيكون للانسان القدره على مشاركة الطبيعة الالهية وفقاً للكمال الذى عاشه هنا فى درجته الروحيه .

القديس اغريغوريوس السينائى

٤ ـ الجحيم :

وأيضاً وفقاً للعقوبه فإن كل البشر ليسوا سواسيه . فالذى فعل شراً عظيماً سوف يعذب عذاباً شديداً . والذى فعل خطيه بسيطه سيعذب بسيطا . البعض سيذهب إلى الظلمه الخارجيه حيث البكاء، وصرير الاسنان [مت ٦ : ١٢] والبعض سيلقى فى النار كاستحقاقه . والبعض سيلقى فى مكان آخر حيث الدود الذى لا يموت والنار التى لا تطفأ وسيكونوا عبره لكل جسد [أش ٦٦: ٢٤] وسوف يغلق الباب فى وجه البعض ويقول لهم الديان انى لا أعرفكم [مت ٢٥ : ١٢] وكما أن مكافأة الأعمال الصالحة ليست واحده لكل البشر هكذا بالنسبه للأعمال الشريره لان الكل لن يدانوا فى شكل واحد ولكن كل أحد حسب أعماله سوف يأخذ عقابه لأن الديان عادل ولا يبالى بالشر .

إن النار والظلمه والدود والجحيم هى عقاب كل من عاش فى الشهوات بكل أنواعها وكلهم سيحيون فى ظلمة الجهل والظمأ غير المروى للمسرات الحسيه . والرائحه الكريهه التى للخطيه هى انذار عن عذاب الجحيم . ولسوف يعذب الأشرار الذين عاشوا هنا فى العادات الشريره لمدد طويله .

القديس اغريغوريوس السينائى

فهرس الكتاب

كـتب للمـترجـم

١ - ثمار الروح القدس .

٢ - من مجد إلى مجد للقديس اغريغوريوس أسقف نيصص .

٣ - أقوال وعظات القديس دوروثيؤس .

٤ - رسالة الأنجيل فى المفهوم الأرثوذكسى .

٥ - العبد المتألم .

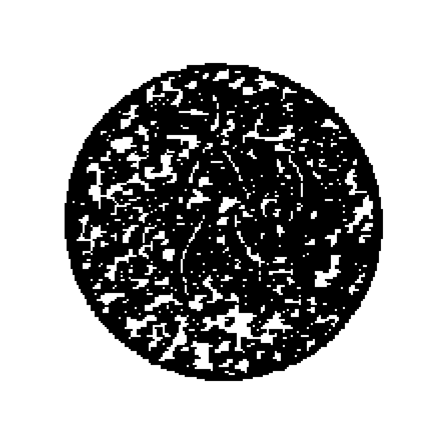
٦ - سياحة القلب - كنز من أقوال الآباء القديسين .

٧ - حياة الشركة الباخومية .

٨ - الروحانية الباخومية .

٩ - تأملات عند قدمىَ الرب . (تحت الطبع)





مكتبة السائح

طرابلس ـ لبنان

٠٦/٦٢٥٧٥١ - ٠٣/٢٩٥٧٥١